دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب

عيون الأخبار

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثالث

كتاب الإخوان — كتاب الحوائج — كتاب الطعام

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٨ هـ — ١٩٣٠ م

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب
عيون الأخبار

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثالث

كتاب الإخوان — كتاب الحوائج — كتاب الطعام

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م

فهرس

المجلد الثالث من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الإخوان

	صحيفة
الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم	١
للمودّة بالتشاكل	٧
باب المحبة	٩
ما يجب للصديق على صديقه ...	١٤
الإنصاف فى المودّة	١٨
مداراة الناس وحسن الخلق والجوار	٢١
التلاقى والزيارة	٢٤
المعاتبة والتجنّى	٢٨
باب الوداع	٣١
الهدايا	٣٤
العيادة	٤٣
التعازى وما يتمثل به فيها	٥٢
التهانى	٦٨
باب شرار الإخوان...	٧٣
باب القرابات والولد	٨٤
الاعتذار	٩٩
عتب الإخوان والتباغض والعداوة	١٠٧
شماتة الأعداء	١١٤

كتاب الحوائج

	صحيفة
استنجاح الحوائج	١١٩
الاستنجاح بالرشوة والهدية ...	١٢٢
الاستنجاح بلطيف الكلام ...	١٢٤
من يعتمد فى الحاجة ويستسعى فيها	١٣٣
الإجابة الى الحاجة والردّ عنها ...	١٣٦
المواعيد وتنجّزها	١٤٤
حال المسئول عند السؤال ...	١٥٢
العادة من المعروف تُقْطع ...	١٥٦
الشكر والثناء	١٥٨
الترغيب فى قضاء الحاجة واصطناع المعروف	١٧٤
القناعة والاستعفاف...	١٨٢
الحرص والإلحاح	١٩١

كتاب الطعام

	صفحة
صنوف الأطعمة...	١٩٧
أخبار من أخبار العرب فى مآكلهم ومشاربهم	٢٠٩
آداب الأكل والطعام	٢١٤
الجـــوع والصـــوم...	٢٢٢
أخبار من أخبار الأكلة	٢٢٤
باب الضـيافة وأخبار البخلاء على الطعام	٢٣٣
باب القدور والجفان	٢٦٥
سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره	٢٧٠
باب الحِمْية	٢٧٢
باب شرب الدواء	٢٧٣
الحدَث والحُقْنـة والتُّخَمَة ...	٢٧٥
باب القئ	٢٧٧
النَّكْهة	٢٧٧
باب المياه والأشربة	٢٧٨
باب اللُّحمان وما شاكلها	٢٨٠
مضار الأطعمة ومنافعها... ...	٢٨١
البصل والثُّوم	٢٨٣
الكـــرّاث	٢٨٦
الكرنب والقنبيط	٢٨٦
السلجم والفجل...	٢٨٧
الباذنجان	٢٨٨
الخيار والقثّاء	٢٨٨
السِّـــلق	٢٨٨
الهِلْيَون	٢٨٩
القــرع	٢٨٩
البقـــول	٢٨٩
باب الحبوب والبزور	٢٩٢
باب الفاكهة	٢٩٤
باب مصالح الطعام	٢٩٦

(مطبعة الدار ١٩٢٩/٧٩٧/٣٠٠٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الاخوان

الحثّ على اتخاذ الإخوان واختيارهم

حدّثنا سهل بن محمد قال حدّثنا الأصمعيّ قال أخبرنا العِجْليّ قال بعض الأدباء لابنه : يا بنيّ ، إذا دخلت المصرَ فاستكثر من الصديق فأمّا العدوّ فلا يهمّنّك ؛ وإياكَ والخُطَبَ فإنها مِشْوَار[1] كثيرُ العِثَارِ .

قال : وبلغني عن الأوزاعيّ عن يحيى بن كثير : أن داود النبيّ عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : "يا بُنيّ ، لا تَستَبدِلنّ بأخٍ لك قديم أخا مُستفادًا ما استقامّ لك ، ولا تَستقِلّنّ أن يكون لك عدوٌّ واحدٌ ، ولا تَستكثِرَنّ أن يكون لك ألفُ صديقٍ" .

وكان يقال : أعجزُ الناس مَنْ فرّط فى طلب الإخوان ، وأعجزُ منه مَنْ ضيّع مَنْ ظَفِر به منهم .

وفى الحديث المرفوع : "المرءُ كثيرٌ بأخيه" . وأنشد ابن الأعرابيّ :

لعمرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ * ولكنّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

(١) هكذا فى لسان العرب مادّة « شور » والمشوار : الشوط . وفى الأصل : « مشوا » .

قال أبو الجرّاح العُقَيلي : وجدتُ أعراضَ الدنيـا وذخائرَها بِعَرَضِ المتالف إلّا ذخيرةَ الأدب وعَقِيلةَ الخُلّة ، فآستكثِروا من الإخوان واستعصِموا بعُرا الأدب .

وكان يقال : الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شِمالٍ . وقال الشاعر :

إذا لم يكن للقوم عِزٌّ ولم يكن * لهم رَجُلٌ عند الإمامِ مكِينُ

فكانوا كأيدٍ أوهَنَ اللهُ بطشَها * تُرَى أشمُلًا ليستْ لهنّ يمينُ

٥

قال أيوبُ السَّختيانيّ : إذا بلغني موتُ أخٍ لي فكأنما سقَط عضوٌ منّي[1].

وقال القَطاميّ[2] :

وإذا يُصيبُكَ ـ والحوادثُ جَمّةٌ ـ * حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيك الأوثقِ

وقال آخر[3] :

أخاكَ أخاكَ إنّ مَنْ لا أخا له * كساعٍ إلى الهَيْجا بغيرِ سِلاحِ

١٠

وإنّ آبنَ عمِّ المرءِ فآعلَمْ جَناحُه * وهل يَنهَضُ البازِي بغيرِ جَناحِ

وقال الثَّقفيّ :

من كان ذا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلَامتَهُ * إنّ الذليلَ الذي ليستْ له عَضُدُ

تَنْبـو يداهُ إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ * ويأنَفُ الضَّيمَ إن أثرَى له عَدَدُ

١٥

وقال آخر :

وبَغضاءُ التقيِّ أقلُّ ضَيراً * وأسلَمُ من مودّة ذِي الفُسُوقِ

ولن تنفَكَّ تُحسَدُ أو تُعادَى * فأكثِرْ ما آستطعتَ من الصّديقِ

---

(١) في الأصل : « إذ ... ... كأنما ... ... » . (٢) بفتح القاف وضمها، وهو عمير ابن شُيَيْم التغلبيّ من بني جشم بن بكر بن الأرقم ، وقد ورد البيت في ديوانه المطبوع بليدن هكذا : وإذا أصابك الخ . وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

٢٠

طرقت جنوب رحالنا من مطرق * ما كنت أحسبها قريب المعنق

(٣) هو مسكين الدارميّ واسمه ربيعة بن عامر (أنظر خزانة الأدب للبغدادي طبع بولاق ج ١ ص ٤٦٦) .

وكتب الفضل بن سيّار الى الفضل بن سهل :

يا أبا العباس إنّى ناصحٌ * لكَ والنصحُ لذى الودّ كبيرُ
لا تُعِدّنّ ليوم صالح * إنّ إخوانَك فى الخير كثيرُ
وليكُنْ للشرّ ما أعددتَهُم * إنّ يومَ الشرّ صَعْبٌ قمطريرُ
هذه السُّوقُ التى آملُها * يا أبا العباس والعمرُ قصيرُ

قال المأمون : الإخوانُ ثلاثُ طبقاتٍ : طبقةٌ كالغِذاء لا يُستغنَى عنه، وطبقةٌ كالدواء لا يُحْتاجُ إليه إلا أحيانا، وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا .

قال حدّثنى سعيدُ بن سليان قال حدّثنا إسماعيلُ بن زكريّا عن سعيد بن طَريف عن عُمير بن المأمون قال : سمعتُ الحسنَ بن علىّ يقول : من أدام الاختلاف الى المسجد أصاب ثمانىَ خصال : آيةً محكمةً، وأخا مُستفاداً، وعلما مُستطرفًا، ورحمةً مُنتظرةً، وكلمةً تَدُلُّه على هدًى أو تَرُدّعُه عن ردًى، وتَرْكَ الذنوبِ حَياءً أو خَشْيةً .

قال وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن أبيه قال : كان يقال : الصاحبُ رُقعةٌ فى قميص الرجل، فلينظُرْ أحدُكُم بِمَ يَرْقَعُ قميصَه .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن أبيه أنه قال : كان يقال : ما وجدنا شيئًا أبلغَ فى خير أو شرّ من صاحب .

وحدّثنى الرياشىّ عن الأصمعىّ قال حدّثنا سليمانُ بن المُغيرة قال : قال يونس : آثنان ما فى الأرض أقلّ منهما ولا يزدادان إلا قِلّةً : درهمٌ يوضَعُ فى حقّ، وأخٌ يُسكَنُ اليه فى الله .

---

(١) فى الأصل : «... لذى الودّ كثير» بالثاء المثلثة، وفى الذى بعده : «إن إخوانك فى الخير كبير» بالباء الموحدة، فوضعنا كلا من الكلمتين مكان الأخرى لاستقامة الكلام .

وحدّثني شيخ لنــا عن محمد بن مُنَاذِر عن سـفيانَ بن عُيينةَ قال : قال علقمةُ ابن لَبِيد العُطَارِدِيّ لابنــه : يابنيّ ، إذا نَزَعَتْكَ إلى صحبــة الرجال حاجةٌ ، فاصحَبْ منهم مَنْ إن صحِبتَه زانك ، وإن خدَمتَــه صانك ، وإن أصابتكَ خَصَاصَةٌ مانك ، وإن قلتَ صدّقَ قولك ، وإن صُلتَ شَدّ صَوْلَك ، وإن مَدَدتَ يدكَ بفضلٍ مَدّها ، وإن رأى منكَ حســنةً عدّها ، وإن سألتَه أعطاك ، وإن سكتَّ عنــه ٱبتداك ، وإن نزَلَتْ بك إحدى الملِمّات آساك ، مَنْ لا يأتيك منه البوائق ، ولا تختلفُ عليكَ منه الطرائق ، ولا يخذُلُكَ عنــد الحقائق ، وإن حاول حوِيلًا آمَرَكَ[1] ، وإن تنازعتما مُنْفِسًا[2] آثرك .

قال محمد بن كعب القُرَظِيّ[3] لعمر بن عبــد العزيز : إنّ فيك عقلا وإنّ فيــك جهلا ، فَدَاوِ بعضَ ما فيــكَ ببعضٍ ، وآخِ من الإخوان من كان ذا مَعلاةٍ[4] في الدّين ونيّةٍ في الحقّ ، ولا تُؤاخِ منهم مَنْ تكونُ منزلتكَ عنــده على قدر حاجتهِ اليكَ ، فإذا قضى حاجتَه منك ذهب ما بينكَ وبينــه . وإذا غرَسْتَ غِراسا مر. المعروف فلا تَبغِيَنّ[5] أن تُحسِنَ تربيتَه .

وقال الأحنفُ بن قيس : خيرُ الإخوانِ مَر. إن استغنَيْتَ عنــه لم يَزِدْكَ في المودّة ، وإن احتجتَ إليه لم ينقُصْكَ منها ، وإن عثَرْتَ عضَدَكَ ، وإن احتَجْتَ الى مؤُونته رفَدَكَ . وقال الشاعر :

إنّ أخاكَ الصِّدقَ مَنْ لن يخدَعَكْ * ومَر. يضُرُّ نفســه لينفعَكْ
ومَنْ إذا رَيبُ زمانٍ صَـدَعَكْ * شتّتَ شمْلَ نفســـه ليجمَعَكْ
* وإن رآكَ ظالمـًا سَعى معَــكْ *

(١) حاول الشيء : أراده ، والحويل : الاسم منه ، وآمر : شاور . (٢) المنفس : النفيس . (٣) في الأصــل « القرصى » وهو تحريف . (٤) المعلاة : العلو والشرف . (٥) في الأصل : « فلا تبقين » .

وقال حُجيّة بن المضرّب :

أخوكَ الذى إن تدعُه لمُلِمّةٍ * يُجِبْكَ وإن تغضَبْ الى السّيفِ يغضَبِ

وكتب رجلٌ إلى صديق له : أنت كما قال أعشى باهلةَ :

مَنْ ليس فى خيرِه مَنٌّ فيُفسِدَه * على الصّديقِ ولا فى صفوِه كدَرُ

وليس فيه إذا استنظرتَه عجَلٌ * وليس فيه إذا ياسرتَه عُسُرُ[1]

٥

وقال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه :

أخوكَ الذى إن أحوجَتْكَ مُلِمّةٌ * من الدّهرِ لم يبرَحْ لها الدّهرَ واجِمَا

وليس أخوكَ الحقُّ مَنْ إن تشعّبتْ * عليكَ أمورٌ ظلّ يلحاكَ لائِمَا

وقال آخر :

إذا كانَ إخوانُ الرجالِ حرارةً * فأنتَ الحلالُ الحُلوُ والباردُ العَذْبُ

١٠

لنا جانبٌ منه دميثٌ وجانبٌ * إذا رامه الأعداءُ مَرْكَبُه صَعْبُ

وتأخذُه عند المكارمِ هِزّةٌ * كما اهتزّ تحت البارحِ الغُصُنُ الرطب

وقال آخر :

أبكى أخًا يتلقّانى بنائلِهِ * قبلَ السؤالِ ويلقَى السّيفَ مِنْ دونِى

إنّ المنايا أصابتْنِى مَصائبُها * فاستعجَلتْ بأخٍ قد كان يكفِينِى

١٥

وقرأتُ فى كتاب للهند : رأسُ المودّةِ الاسترسالُ .

وقال أكثمُ بنُ صيفىّ : مَنْ تراخى تألّفَ، ومن تشدّدَ نفّرَ، والشرفُ التغافلُ .

وقال حاتمٌ : العاقل فَطِنٌ متغافلٌ .

---

(١) العسر (بالضم و بضمتين و بالتحريك) : ضدّ اليسر .

وقرأتُ فى كتاب للهند : مِنْ علامة الصديقِ أن يكون لصديقِ صديقِه صديقًا ولعدوّ صديقه عدوّا[1] . قال العتّابىّ فى ذلك :

تودُّ عــدوّى ثم تزعُــم أنّنى * صديقُكَ، إن الرأىَ عنكَ لعازبُ

وليس أخى مَنْ ودَّنى رَأْىَ عينِه * ولكنْ أخى مَنْ ودَّنى فى المغايبُ

٥ قيل لبُزُرْجِمْهر : أخوكَ أَحَبُّ اليك أم صــديقُكَ ؟ قال : إنمــا أُحِبُّ أخى إذا كان صديقا .

وقال بعضهم : إن أحبَّ إخوانى الىّ[2]، مَنْ كثُرَتْ أياديه علىّ .

وقال رجل فى أخ له .

وكنتُ إذا الشدائدُ أرهقتْنِي * يقومُ لهــا وأقعــدُ لا أقومُ

١٠ وقال آخر :

أخٌ طالمــا ســـرّنى ذكرُه * فأصبحتُ أشجَى لدَى ذكرِهِ

وقد كنت أغدُو إلى قصره * فأصبحتُ أغدُو إلى قــبرِه

وكنت أرانى غنيًّا به * عن الناس لو مُدَّ فى عمــرِه

إذا جئتُــه طالبًــا حاجةً * فأمرِى يَجُــوزُ على أمرِه

١٥ وصف أعرابىّ رجلا قال : كان واللهِ يَتَحسَّى مِرارَ[3] الإخوانِ ويَسقِيهم عَذْبَهُ .

وقال أعرابىّ[4] :

أخٌ لكَ ما تراه الدّهرَ إلا * على العِــلّاتِ[5] بَسّاما جوَادَا

---

(١) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٧ وهو الصواب، وفى الأصل : «ولعدوّ عدوّه عدوّا» .

(٢) فى الأصل « إنّ أحب اخوانى علىّ من كثرت أياديه الىّ » . (٣) كذا بالأصل، ولم نجد هذه

٢٠ الصيغة فى كتب اللغة التى بين أيدينا ، ولعله محرّف عن «مرّ» المقابل للعذب، وهو ما يقتضيه السياق .

(٤) هذه الأبيات نسبت فى الأغانى لزياد الأعجم (ج ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق) . (٥) هو من قولهم : على علاته، أى على كل حال .

سألناه الجزيلَ فما تلكّا * وأعطَى فوق مُنْيتنا وزادا
وأحسنَ ثم أحسَنَ ثم عُدنا * فأحسنَ ثم عُدتُ له فعادا
مِرارًا لا أعودُ إليه إلّا * تبسّمَ ضاحكًا وثنَى الوِسادا

المودّة بالتشاكل

بلغني عن ابن عُيينة أنه قال: قال ابن عباس: القرابة تُقْطَعُ والمعروفُ يُكْفَر، ولم يُرَ كتقارُب القلوب.

قال رجل للعَرْجِىّ: جئتك أخطبُ إليك مودّتَك، فقال: لا حاجة بكَ الى الخِطْبة، قد جاءتك زِنًا فهو ألَذّ وأحلَى. وقال الكُميتُ بن معروف:

ما أنا بالنِّكْسِ الدَّنِيء ولا الذى * اذا صَدّ عنه ذو المودّةِ يَقْرُبُ
ولكنه إن دام دمتُ وإن يكن * له مذهبٌ عنّى فلى عنه مذهبُ
ألَا إنّ خيرَ الودّ وُدٌّ تطوّعَتْ * به النفسُ لا وُدٌّ أتى وهو مُتعِبُ

وقال الطائى:

ذو الودّ منّى وذو القُرْبى بمنزلةٍ * وإخوتى أسوةٌ عندى وإخوانِى
عِصابةٌ جاوَرتْ(١) آدابُهم أدبى * فهم وإنْ فُرِّقوا فى الأرض جيرانى
أرواحُنا فى مكانٍ واحدٍ وغدتْ * أبدانُنا بِشآمٍ(٢) أو خُراسانِ

وقال عبدُ الله بنُ عبد الله بن عتبةَ لعمرَ بن عبد العزيز:

أبِنْ لى فكُنْ مثلى أو ٱبتغ صاحبًا * كمثلك إنّى مُبتَغٍ صاحبًا مِثْلِى

(١) فى الأصل: «جاوزت» بالزاى، والتصويب من ديوان أبى تمام. (٢) فى الأصل: «لشآم» والتصويب من ديوان أبى تمام.

عزيزٌ إخائى ، لا يَنَالُ مـــودّتى * من القوم إلا مســلمٌ كاملُ العقلِ
وما يَلبَثُ الإخوانُ أن يتفــرّقوا * إذا لم يُؤلِّف رُوحُ شكل الى شكلِ

وقال الطائى :

ولَن تَنظِمَ العِقدَ الكِعَاب لزينــةٍ * كما يَنظِمُ الشملَ الشّتيتَ الشمائلُ

كتب بعضُ الكُتّاب الى صديق له : إنى صادفتُ منك جوهرَ نفسى ، فأنا غيرُ محمودٍ على الانقياد لك بغيرِ زمامٍ ، لأن النفسَ يَتْبَع بعضُها بعضًا .

قال حدّثنى محمد بن داود قال حدّثنا يزيد بن خَلَف عن يعقوب بن كعب عن بَقِيّــةَ عن صَفْوانَ بنِ عمرو عن شُرَيح عن أبى عُبيــدٍ قال : كتب أبو الدَّرداء الى سَلْمانَ : إن تكن الدارُ من الدارِ بعيــدةً فإنّ الرُّوح من الرُّوح قريبٌ ، وطيرُ السماء على إلْفِه من الأرض يَقعُ .

وقال أبو العتاهية :

يُقاسُ المــرءُ بالمرءِ * اذا ما هــو ماشَــاهُ
ولِلقلبِ على القلب * دليلٌ حين يلقاهُ
وللشّكلِ على الشّكلِ * مقاييسٌ وأشـــباهُ
وفى العين غِنًى للعيـــ * ـــنِ أن تَنطِقَ أفواهُ

وقال المُسَاحِقىّ :

يُزَهّــدُنى فى وُدّكَ ابنَ مُسَــاحقٍ * مَودَّتُكَ الأرذالَ دونَ ذوى الفضلِ
وأنّ شِرَارَ النّــاس سادُوا بِخيارِهم * زمانَكَ ، إنّ الرَّذْلَ للزّمنِ الرَّذْلِ

باب المحبّة

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن ثور بن يزيدَ عن حبيب بن عُبيد عن المِقْدام بن معدِ يكرِب، وكان أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فَلْيُعلِمْهُ أنه يُحبّه".

وحدّثنى محمد بن داود عن أبى الرّبيع عن حمّاد بن زيد عن ليث عن مجاهد قال : ثلاثٌ يُصْفِينَ لكَ وُدَّ أخيكَ : أن تبدأَه بالسلام إذا لقيتَه، وتُوسعَ له فى المجلس، وتدعُوَه بأحبّ أسمائه اليه . وثلاثٌ من العِيّ[1] : أن تَعيبَ على الناس ما تأتِى، وأن تَرى من الناس ما يخفَى عليكَ من نفسكَ، وأن تُؤذِىَ جليسك فيما لا يَعْنيكَ .

وكان يقال : لا يكن حُبُّكَ كَلَفا ولا بُغضُكَ تَلَفا . أى لا تُسرِفْ فى حبكَ وبُغضكَ . ونحوه قولُ الحسن : أَحِبُّوا هوناً فإنّ أقواما أفرطوا فى حبّ قوم فهلكوا . وكان يقال : مَنْ وجد دون أخيه سِتْرا فلا يَهتِكْه .

وقال عمر بن أبى ربيعة :

أتانى هواها قبل أن أعرِفَ الهوى * فصادفَ قلبًا فارغا فتمكّنا

قال عُمر بن الخطاب رضى الله عنه لِطُلَيحة الأسَدىّ : قتلتَ عُكّاشةَ بنَ مِحْصَنٍ ! لا يُحبّك قلبى ! قال : فمعاشرةً جميلةً يا أمير المؤمنين، فإنّ الناس يتعاشرون على البغضاء .

وكتب رجلٌ إلى صديق له : الشوقُ اليكَ والى عهد أيامكَ — التى حَسنَتْ بكَ كأنها أعيادٌ، وقَصُرتْ بك حتى كأنها ساعاتٌ — يفوت الصفات ؛ ومما جدّد الشوقَ

(١) العىّ : الجهل.

و كثُر دواعيه تَصاقُبُ الدار، وقربُ الجوار، تمم اللهُ لنا النعمةَ المتجدّدةَ فيك بالنظر الى الغُرّة المباركة التى لا وحشةَ معها ولا أُنسَ بعدها .

قال الحسن : المؤمنُ لا يَحيفُ على مَنْ يُبغِضُ ولا يأثمُ فيمن يُحِبّ .

وقرأت فى بعض الكتب : إنه لَيَبلُغُ من حسنِ شفاعةِ المحبة أنّ الحبيبَ يُسِيءُ فَيُظَنُّ به الغَلَطُ ويُذنِبُ فيُحتجّ له بالدَّالّةِ ، وذنبُه لا يَحتمِلُ التأويلَ ولا مَخْرَجَ له فى جواز العقول .

وفيه : كلُّ ذنبٍ إذا شئتَ أن تنساه نسيتَه وإن شئتَ أن تذكره ذكرتَه ، فليس بمخوفٍ . وليس الصغيرُ من الذنب ما صغّره الحبّ ، وإنما الصغيرُ ما صغّره العدلُ . وليس الذنبُ إلا ما [لا][1] يَصلُح معه القلبُ ولا يزال حاضرا الدهرَ، وإلا ما كان من نتاج اللؤم ومن نصيب المعاندة، فأما ما كان من غير ذلك فإنّ الغفرانَ يتغمّدُه والحرمةَ تشفعُ فيه .

وكتب رجل الى صديق له فى فصل من كتاب : لسانى رَطْبٌ بذكرك ، ومكانُكَ من قلبى معمورٌ بمحبّتك . ونحوه قولُ مَعْقِل أخى أبى دُلَف لمُخَارِقٍ :

لَعَمرِى لئن قَرّتْ بقربكَ أَعينٌ ۞ لقد سَخِنَتْ بالبين منكَ عيونُ

فَسِرْ أو أقِم، وَقْفٌ عليكَ مودّتى ۞ مكانُكَ من قلبى عليكَ مَصُونُ

وقال رجل لشَبِيب بن شَيْبة : واللهِ أُحِبُّكَ[2] ، قال : وما يمنعُكَ من ذلك وما أنتَ لى بجارٍ ولا أخٍ ولا قَرابةٍ[3] ! يريد أن الحسد مُوَكَّلٌ بالأدنى فالأدنى .

(١) زيادة يقتضيها المقام . (٢) فى الأصل : « والله ما أحبك » بزيادة « ما » وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٤) : « انى أحبك » بدون قسم ، ونسب هذا القول فيه لخالد بن صفوان .

(٣) ولا قرابة : أى ولا ذى قرابة ، وقد أنكر صاحب القاموس استعمال قرابة فى مثل هذا الموضع بدون اضافة . وتعقبه شارحه بأن استعماله بدون الإضافة جائز وورد فى فصيح الكلام من نثر وشعر .

قال رجل لشهر بن حوشب : إنى لأُحبّكَ قال : ولِمَ لا تحبنى وأنا أخوك فى كتاب الله ووزيرك على دين الله ومئونتى على غيرك ! قال بشار :

هــل تعلمينَ وراء الحبّ منزلةً * تُدْنِى اليك فإنّ الحبّ أقصانِى

وقال غيره :

أُحِبُّـكَ حُبّيْـنِ لِى واحدٌ * وحُبٌّ لأنكَ أهــلٌ لذاكا

فأمّا الذى أنتَ أهــلٌ له * فحُسْنٌ فَضَلْتَ به مَنْ سِـواكا

وأمّا الذى فى ضميـر الحشـا * فلستُ أرَى الحسنَ حتى أراكا

وليس لِىَ المَنُّ فى واحدٍ * ولكنْ لكَ المنُّ فى ذا وذاكا

وقال المسيّب بن عَلَس :

وعينُ السّخطِ تُبصِرُ كلّ عيبٍ * وعينُ أخى الرّضا عن ذاك تَعْمَى

ونحوه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فلستَ براءٍ عيبَ ذى الودّ كلَّه * ولا بعضَ ما فيه اذا كنتَ راضيَا

وعينُ الرّضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ * ولكنّ عينَ السُّخطِ تُبدِى المساويَا

وقال بعضُ الخلفاء لرجل : إنى لأَبغضُكَ ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنما يجزَعُ مِن فقد الحبّ المرأةُ ، ولكن عدلٌ و إنصافٌ . وقال شريحٌ :

خُذِى العفوَ منّى تَستديمِى مودّتى * ولا تنطِقِى فى سَوْرَتى حين أغضَبُ

فإنى رأيتُ الحبَّ فى الصدرِ والأذى * إذا آجتمعا لم يلبثِ الحبّ يذهَبُ

وقال أعرابىّ : إذا ثبتتِ الأصـول فى القلوب نطقتِ الألسُنُ بالفروع ، ولا يظهرُ الودّ السليمُ إلا من القلب المستقيم .

وقال آخرُ : مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقةِ رأيًا حازمًا ، فآجمَع له مع المحبـة الخالصةِ طاعةً لازمةً .

قال اليزيدىّ : رأيتُ الخليل بن أحمــد فوجدته قاعدا على طِنْفِسةٍ[1]، فأوسع لى فكرِهتُ التضييقَ عليه؛ فقال : إنه لا يضيق سَمُّ الخِياط على متحابَّين ولا تسعُ الدنيا مُتباغِضَين . وقال أبو زُبيدٍ للوليد بن عقبة[2] :

مَنْ يَخُنْكَ الصفاءَ أو يتبــدَّلْ * أو يَزُلْ مثلمــا تزولُ الظلالُ
فاْعلَمَنْ أننى أخوك أخو العهـ * ـدِ حياتى حتى تزولَ الجبالُ
ليس بُخْلٌ عليــك منّى بمــالٍ * أبدا ما اْستقلَّ سَــيفًا حِمَــالُ[3]
فلكَ النصرُ باللسان وبالكفِّ * اذا كان لليـــدين مَصَــالُ
كلُّ شىءٍ يَحتالُ فيــه الرجالُ * غيرَ أنْ ليس للمنــايا اْحتيــالُ

وقال المُنَخَّلُ اليشكرِىّ :

وأُحِبُّهــا وتُحِبُّـــنى * ويُحِبُّ ناقتَها بعيرِى

وذكر أعرابىّ رجلا فقال : واللهِ لكأنّ القلوبَ والألسنَ رِيضَتْ له ، فما تُعقدُ إلا على وُدّه، ولا تَنطِقُ إلا بحمده .

قال عبــدُ الله بن الزُّبير ذاتَ يوم : والله لودِدتُ أنّ لى بكلّ عشرةٍ من أهل العِراق رجلًا من أهل الشأم صَرْفَ الدينار بالدرهم؛ فقال أبو حاضِر : مَثَلُنا ومَثَلُكَ كما قال الأعشى :

عُلِّقتُهــا عَرَضًا وعُلِّقَتْ رَجُلًا * غَيرِى وعُلِّقَ اخرَى غيرَها الرجلُ

---

(١) الطنفســة (مثلثة الطاء والفاء) : البساط الذى له خمل رقيق . (٢) فى الأصــل : «للوليد بن عتبة» بالتاء؛ وهو تحريف . وأبو زبيد هو المنذر بن حرملة الطائى كان جاهليا قديما وأدرك الإسلام إلا أنه لم يسلم ومات نصرانيا، وكان من المعمرين وكان نديم الوليد بن عقبة (أنظر كتاب الشعر والشعراء للؤلف؛ طبع ليدن ص ١٦٧ (٣) فى حماسة البحترى (طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٩) : «وما أقل نعلا قبال» .

أحبَّك أهلُ العراقِ وأحببتَ أهلَ الشّام وأحبّ أهلُ الشام عبدَ الملك ابن مروان .

وقال عمرُ لأبى مريم السَّلولى : والله لا أُحِبُّكَ حتى تُحِبَّ الأرضُ الدَّمَ؛ قال : فتمنعُنِى لذلك حقًّا ؟ قال : لا ؛ قال : فلا ضَيرَ . وقال عمرُ أيضا لرجل همّ بطلاق امرأته : لِمَ تُطَلِّقُها ؟ قال : لا أُحِبُّها؛ قال : أوَكُلُّ البيوتِ بُنِيَتْ على الحبّ ! وأين الرعايةُ والتذمُّمُ[1] ! .

قال أعرابىّ :

أُحِبُّكِ حُبًّا لو بُلِيتِ ببعضِهِ ❊ أصابَكِ من وَجدٍ علىَّ جُنُونُ

لطيفٌ مع الأحشاء أمّا نهارُهُ ❊ فَسَبْتٌ[2] وأما ليـلُهُ فأنينُ

وكتب رجلٌ الى صديق له : اللهُ يعلم أنى أُحِبُّكَ لنفسك فوقَ محبّتى إياكَ لنفسى، ولو أنى خُيِّرتُ بين أمرين : أحدهما لى وعليك والآخر لك وعلىّ ، لآثرت المروءةَ وحسنَ الأُحدُوثةِ بإيثار حظّكَ على حظّى؛ و إنى أُحِبُّ وأُبغِضُ لك، وأُوالِى وأُعادِى فيك .

وقال بعضُهم : هَوِّنْ[3] فقد يُفْرِطُ الحبُّ فيقتُلُ ويُفْرِطُ الغمُّ فيقتُلُ ويُفرط السّرور فيقتُلُ؛ وينفتحُ القلبُ للسرور، ويضيقُ وينضمّ للحزن والحبّ .

وقالوا : العِشق اسم لما فضَل عن المحبّة . وقال بعضهم : العشق مرض قلبٍ ضَعُفَ . وقال بعضُ الشعراء[4] :

فَتَمَّ على معشُوقةٍ لا يَزِيدُها ❊ إليه بلاءُ السّوءِ الا تَحَبُّبَا

(١) التذمم للصاحب : أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٢) السبت : السكون والراحة . (٣) هوّن : خفف وأرفق، وفى الأصل : «أهون» .

(٤) هو الأعشى كما فى اللسان مادّة «تم» ، ومعنى «تم» أكمل وأجهز .

ما يجب للصديق على صديقه

حدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا عبدُ الله بن موسى عن إسرائيل عن ابن إسحاق عن الحارث عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "للمسلم على المسلم خِصَالٌ[1] ستٌّ : يُسَلِّمُ عليه إذا لَقِيَه، ويُجيبُه اذا دعاه، ويُشَمِّتُه اذا عطَس ، ويَعودُه اذا مرِض ، ويحضُرُ جنازتَه اذا مات ، ويُحِبُّ له ما يُحِبُّ لنفسه" .

قال حدّثني شَبَابَةُ قال حدّثنا القاسمُ بنُ الحكم عن إسماعيلَ بن عيَّاش عن هشام ابن عُرْوة عن أبيه عن عائشةَ رضى الله عنها قالت : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "أَعِنْ أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا ، إن كان مظلومًا فخُذْ له بحقه وإن كان ظالما فخُذْ له من نفسه" .

وحدّثني القُومِسِيُّ[2] قال حدّثنا أبو بكر الطبريّ عن عبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح عن أبي الزاهرية عن جُبير بن نُفير قال قال معاذُ بن جبل : إذا آخيتَ أخًا فلا تُمَارِه ولا تُشَارِه[3] ولا تَسأل عنه ؛ فعسى أن تُوافِقَ عدوًّا فيُخبِرَك بما ليس فيه فيُفَرِّقَ بينكما .

وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَبٍ في هذا المعنى :

جزى اللهُ عنّا حمزةَ بنةَ نَوْفَلٍ[4] * جزاءَ مُغِلٍّ[5] بالأمانةِ كاذبِ

بما سألَتْ عنّى الوُشاةَ ليكذبوا * علىّ وقد واليتُها فى النوائبِ

(١) فى الجامع الصغير : «للمسلم على المسلم ست بالمعروف : يسلم عليه ...» : (٢) نسبة الى قومس (بضم القاف وفتح الميم ، وضبطه الصاغاني بكسر الميم وهو المشهور على السنتهم) صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل . (٣) لا تماره : لا تجادله . ولا تشاره : لا تلاحه وتغاضبه . (٤) فى الأصل : "حمزة ابنى نوفل" والتصويب عن اللسان مادة «غل» . (٥) المغل : من الإغلال ، وهو الخيانة .

قال حدّثنى محمد بن داود [قال] حدّثنى سعد بن منصور عن جَرير عن عبد الحميد عن عَنْبَسةَ قال قال ٱبْنُ سِيرين : لا تُكْرِمْ أخاكَ بما يكره، ولا تحملنّ كتابا الى أمير حتى تعلَم ما فيه .

وكان يقال : يُستحسَنُ الصبرُ عن كلّ أحدٍ إلا عن الصديق .

وقال بعضُ الشعراء :

اذا ضَيَّقْتَ أمرًا ضاق جِدًّا * وإن هَوّنتَ ما قد عزّ هانَا
فلا تَهْلِكْ بشيءٍ فاتَ يأسًا * فكم أمرٍ تَصَعَّبَ ثم لانَا
سأصبِرُ عن رفيقى إن جفانى (١) * على كلّ الأذى إلا الهوانَا

وقال ٱبن المقفّع : ٱبْذُلْ لصديقك دَمَكَ ومالَكَ ، ولمعرفتك رِفْدَكَ ومحْضَرك ، وللعامّةِ بِشرك وتحيّتَكَ ، ولعدوِّكَ عدلَكَ ، وضَنّ بدينكَ وعِرضكَ عن كلّ أحدٍ .

قال أبو اليَقْظانِ : وَلِيَ خالدُ بنُ عبدالله بن أبى بَكْرَةَ قضاءَ البصرة فجعل يُحابِى ؛ فقيل له فى ذلك ؛ فقال : وما خيرُ رجلٍ لا يَقطَعُ لأخيه قِطعةً من دينه ! .

قالوا : وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على عجوزٍ ، فقال : "إنها كانت تأتينا أيامَ خديجةَ ، وإنّ حسنَ العهد من الإيمانِ" .

قال إبراهيمُ النَّخَعيّ : إنّ المعرفةَ لتنفعُ عند الأسد الهَصورِ والكلبِ العقورِ فكيف عند الكريم الحسيب ! . وقال الخليلُ بن أحمد :

وفَّيتُ كلَّ صديقٍ ودَّنى ثمنًا * إلا المؤمِّلَ دُولَاتِى وأيامِى

وقال عمرُ بن أبى ربيعة فى مساعدة الصديق :

وخِلٍّ كنتُ عينَ النُّصحِ منه * إذا نظرتْ ومُستمِعًا سميعَا

(١) فى الكامل للمبرد طبع أوربا ص ١٩٢ ج ١ : «سأصبر من ... الخ» .

أطاف بِغَيّةٍ فنهيتُ عنها * وقلتُ له أرَى أمرًا شنيعًا

أردتُ رشادَه جُهدى فلمّا * أبَى وعصَى أتيناها جميعا

وقال بعضُ الكوفيين :

فإن يشرَبْ أبو فَرُّوخَ أشرَبْ * وإن كانت مُعتَّقةً عُقارَا

وإن يأكُلْ أبو فرّوخَ آكُلْ * وإن كانت خَنانِيصًا(1) صِغارا

٥

وقال رجل من الأعراب لأخٍ له : أما واللهِ رُبَّ يومٍ كتَنُّور الطّاهى رقّاصٍ بشَرارِه، قد رميتُ بنفسى فى أجيجِ لَهيبه فأحتمِلُ منه ما أكرَهُ لما تُحِبّ(2) .

وأنشد ابن الأعرابىّ :

أُغَمِّضُ للصديق عن المساوِى * مخافةَ أن أعيشَ بلا صديق

وقال كُثَيِّر :

١٠

ومن لا يُغَمِّضْ عينَه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ

ومَن يتتَبَّعْ جاهدًا كلَّ عَثْرةٍ * يجِدْها ولا يَسلَمْ له الدهرَ صاحِبُ

وقال آخر :

إذا ما صديقٍ رابَنِى سُوءُ فِعلِه * ولم يَكُ عمّا ساءنى بمُفيـقِ

صَبَرتُ على أشياءَ منه تَرِيبُنِى * مخافةَ أنْ أبقَى بغير صديق

١٥

ومن المشهور فى هذا قولُ النابغة :

ولستَ بمُستَبْقٍ أخًا لا تَلُمُّه * على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المهَذَّبُ

---

(١) الخنانيص : جمع خنوص وهو ولد الخنزير . (٢) فى الأصل : «لما يحب» بالياء المثناة من تحت .

وكان يقال : مَنْ لك بأخيك كُلّه . وأنشدنى الرِّياشى :

إقْبَلْ أخاكَ ببعضــه * قد يُقبَلُ المعروفُ نَزْرَا
واَقبــلْ[1] أخاكَ فإنه * إن ساء عصرًا سرَّ عصرَا

ونحوه قولُ الآخر :

أَخٌ لي كأيامِ الحياةِ إخاؤه * تَلوّنَ ألوانا علىَّ خُطُوبُها
إذا عِبتُ منه خَلّةً فهجرتُه * دعتْنِي اليه خَلّةٌ لا أَعيبُها

وقال عبدُ الله بن معاوية بنِ عبد الله بن جعفر :

اصبرْ اذا عَضَّكَ الزمانُ، ومَنْ * أصبرُ عند الزمانِ مِنْ رَجُلِهْ
ولا تُهِنْ لِلصَّــديقِ[2] تُكْرِمُه * نفسَكَ حتى تُعَدَّ مِنْ خَوَلِهْ
يَحمِــلُ أثقالَه عليــكَ كما * يحمِــلُ أثقالَه على جَمَــلِهْ
ولستَ مُستبقيًا أخًا لكَ لا * تصفحُ[3] عما يكونُ من زَلَلِهْ
ليس الفتى بالذى يَحولُ عنِ الـ * ـعهدِ[4] ويُؤتَى الصديقُ من قِبَلِهْ

وقيل لخالد بن صفوان : أيّ إخوانِك أحبُّ اليك ؟ قال : الذى يَغفِرُ زَلَلِى ، ويَقبَلُ عِلَلِى[5] ويَسُدُّ خَلَلِى .

وقال بشّارٌ :

إذا أنتَ لم تَشرَبْ مرارا على القَذَى * ظَمِئْتَ وأىّ الناسِ تَصفُو مَشارِبُهْ

وقال الخُرَيْمىّ لأبى دُلَف :

تملك إن كنت ذا إربةٍ * من العالمين لشيخ وصيفْ[6]

(١) كذا بالأصل، ولعله : «وأقل أخاك» من إقالته العثرة والصفح عنه . (٢) فى حماسة البحترى : «ولا تهن للئيم» . (٣) فى الأصل : «فاصفح» . (٤) فى الأصل : «الذى» . (٥) العلل : الأعذار . (٦) كذا ورد بالأصل، ولم نوفق اليه فى مصدر آخر .

الإنصاف فى المودّة

كان يقال : لا خير لك فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

وقال جرير :

وإنّى لأستحيى أخى أن أرى له[1] * علىّ من الحق الذى لا يرى ليا

وله أيضاً[2] :

إذا أنت لم تُنْصِف أخاك وجدتَه * على طَرَف الهِجْرانِ إن كان يعقلُ
ويركب حدّ السيف من أن تَضيمَه * إذا لم يكن عن شفرة السيف مَعْدِلُ[3]
ستَقْطَعُ فى الدنيا إذا ما قطعتَنى * يمينَك ، فانظر أىّ كفٍّ تَبَدَّلُ

وقال آخر[4] :

ياضَمْر أخبِرنى ولستَ بمُخْبِرِى * وأخوك نافعُك الذى لا يَكذِبُ
هل فى القضيّةِ أنْ إذا آستغنيتُمُ * وأمِنتُمُ فأنا البعيدُ الأجنبُ
وإذا الشدائدُ بالشدائدِ مرّةً * أشْجَتكُم فأنا المُحَبُّ الأقرب
عجبًا لتلك قضيّةً وإقامتى * فيكم على تلك القضيةِ أعجبُ
ولِمالكم طِيبُ البلادِ ورعيُها[5] * ولِى الثِّمادُ[6] ورعيُهنّ المُجدِبُ

(١) أستحيى : آنف . (٢) نسب المؤلف هذا الشعر لجرير ، وفى الحماسة طبع أوروبا ص ٥٠٣ ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (طبع بولاق ص ٦٩٤) أنه لمعن بن أوس المزنى . (٣) فى الأصل : «يعدل» والتصويب عن حماسة البحترى ، وفى حماسة أبى تمام : «مزحل» . (٤) قال فى اللسان مادّة «حيس» : «هو لهنىّ بن أحمر الكنانى وقيل : هو لزرافة الباهلىّ» . (٥) ورد هذا البيت فى اللسان مادة «حيس» وشواهد العينى هكذا :

ولجندب سهل البلاد وعذبها * ولى الملاح وحزنهنّ المجدب

ثم قال العينى : «ويروى (ولمالكم أنف البلاد ورعيها) ، والمراد بالمال هنا الإبل ، وبالأنف : ما لم يرع من النبت ، والرعى : المرعى» . وفى الأصل : «ألمالك» وهو تحريف . (٦) الثماد : جمع ثمد (بالفتح وبالتحريك) وهو الماء القليل الذى لا مادة له ، وفى الأصل : "ولى الثمار" بالراء وهو تحريف .

و إذا تكونُ كريهةٌ أُدْعَى لها * و إذا يُحاس الحَيْسُ(١) يُدْعَى جُنْدَبُ
هـذا لعَمْـرُ كُمُ الصَّغَـارُ بعينِـه * لا أُمَّ لى إن كان ذاكَ ولا أبُ

وقال ابن عُيينة : سئل علىّ كرم الله وجهه عن قول الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)، فقال : العدلُ : الإنصاف، والإحسان : التفضُّلُ .

وقال الشاعر :
صَبَغَتْ أُمَيَّـةُ فى الدماءِ رِماحَنَا * وطَـوَتْ أُمَيَّـةُ دوننا دُنياها

ويقال : مَنْ سَنَّ سُـنَّةً فلْيَرْضَ أن يُحكَمَ عليه بها، و مَنْ سأل مسئلةً فلْيَرْضَ بأن يُعطَى بقدرِ بذله .

وقال أبو العتاهية :
اذا ما لم يكن لكَ حُسنُ فهمٍ * أَسأْتَ إجابةً وأسأتَ سَمْعَا
ولستَ الدّهرَ مُتَّسِعًا بفضـلٍ * اذا ما ضِـقتَ بالإنصاف ذَرْعَا

وقال حمّادُ عَجْرد :
ليتَ شعرِى أَىَّ حكمٍ * قـد أراكُمْ تحكُمُونَا
أن تكونوا غيرَ مُعطِـ * ـينَ وأنتم تأخُذُونَا

وقال آخر :
إذا كنتَ تأتِى المـرءَ تَعرِفُ حَقَّه * ويَجهَلُ منكَ الحقَّ فالتركُ أجمَـلُ
وفى العَيشِ مَنجاةٌ وفى الهجرِ راحةٌ * وفى الأرضِ عمَّن لا يُؤاتيكَ مَرْحَلُ(٢)

(١) الحيس : التمر والأقط يدقّان ويعجنان عجنا شديدا ثم يسوّى ذلك كالثريد . وفى الأصـل : « واذا يجاش الجيش » بالجيم والشين ، وهو تحريف . (٢) المرحل : المكان الذى يرتحل اليـه ، ويحتمـل أن يكون "مزحل" بالزاى بدل الراء ، والمزحل : المكان الذى ينتقل اليـه .

وقال بشّار :

إن كنتَ حاولتَ هَوانًا فما * هُنتُ وما فى الهُونِ لى من مُقامْ

فى النّاس أبدالٌ ولى مَرْحَلٌ[1] * عن منزلٍ ناءٍ ومَرْعًى وخامْ[2]

لا نائلٌ منكَ ولا موعِدٌ * ولا رَسولٌ ، فعليكَ السّلامْ

وقال آخر[3] :

له حقٌّ وليس عليه حقٌّ * ومهما قال فالحسنُ الجميلُ

وقد كان الرسولُ يَرَى حقوقا * عليه لغيره[4] وهو الرسولُ

وقال أكثمُ بنُ صَيْفِيٍّ : أحقُّ مَنْ يَشْرَكُكَ فى النِّعَم شُركاؤُكَ فى المكاره .
أخذه دِعْبِلٌ فقال :

وإنّ أولَى البرايا أن تُواسيَهُ[5] * عند السرورِ لمَنْ آساكَ فى الحَزَنِ

إنّ الكرامَ إذا ما أسهَلُوا ذَكَرُوا * مَنْ كان يألَفُهم فى المنزِلِ الخَشِنِ

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

فإنْ آثرَتْ بالوُدّ أهلَ بلادها * على نازحٍ من أهلها لا ألومُها

فلا يَستوِى مَنْ لا تَرَى غيرَ لَمَّةٍ[6] * ومَنْ هو ثاوٍ عندها لا يَرِيمُها

وقال رجلٌ لبعض السلطان : أحقُّ الناسِ بالإحسان مَنْ أحسَنَ اللهُ إليه ، وأولاهم بالإنصاف مَنْ بُسِطَتِ القدرةُ بين يديه ؛ فاستَدِمْ ما أُوتيتَ من النعم بتأدية ما عليك من الحق .

قال المستهِلّ بنُ الكُمَيت لبنى العباس :

إذا نحن خِفنا فى زمان عدوِّكم * وخِفنا كُمُ إنّ البلاءَ لَرَاكِدُ

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ بالصفحة السابقة . (٢) المرعى الوخام : الذى لا ينتجع كلؤه لسوئه .
(٣) هو عبد الله بن مصعب الزبيرى ويسمى عائذ الكلب ، قاله فى عبد الله بن حسن بن حسن (انظر الكامل للمبرد طبع أوربا ص ٣١) . (٤) كذا فى الكامل . وفى الأصل : «لأهلها» .
(٥) (انظر العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٧) فقد ورد فيه هذا البيت ببعض مخالفة عما هنا .
(٦) اللمة : المرة من الإلمام ، والإلمام الزيارة غبا . ولا يريمها : لا يفارقها ولا يتحول عنها .

مداراة الناس وحُسن الخُلُق والجوار

قال حدّثنا الحسينُ بنُ الحسن [قال] حدّثنا عبدُ الله بن المبارك عن وُهيب قال : جاء رجل الى وهب بن منبّه فقال : إنّ الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وقد[1] حدّثتْ نفسي ألّا أخالطَهُم ؛ فقال له وهبٌ : لا تَفعلْ ، فإنه لا بدّ للناس منك ولا بدّ لك منهم ؛ لهم إليكَ حوائجُ، ولكَ اليهم حوائجُ ، ولكن كُنْ فيهم أصمَّ سميعًا ، وأعمى بصيرًا ، وسَكُوتًا نَطُوقًا .

قال وحدّثنا حسينُ بن الحسن قال حدّثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عُلَيّ[2] ابن رَبَاح[3] قال : سمعت أبي يُحدّثُ عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : أربعُ خلالٍ إن أُعطيتَهُنَّ فلا يضرُّكَ ما عُدِلَ به عنكَ من الدّنيا : حُسْنُ خليقةٍ ، وعَفَافُ طُعمةٍ[4] ، وصِدقُ حديثٍ ، وحفظُ أمانةٍ .

قال : وبلغني عن وكيع عن مِسْعر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن بَابَاهْ قال : قال عبد الله بن مسعود : خالِطُوا الناسَ وزَايِلوهُمْ[5] .

عن وكيع عن سفيانَ عن حبيب بن ميمون قال : قال صعصعةُ بنُ صُوحان لابن أخيه : إذا لقيتَ المؤمنَ فخالِطه[6] ، وإذا لقيتَ الفاجرَ فخالِفْه ، ودينَكَ فلا تَكْلِمَنّه .

قال المسيحُ صلّى اللهُ عليه : «كُنْ وَسَطًا وآمشِ جانبًا»

---

(١) فى الأصل : « فقد » . (٢) كذا ضبطه فى تهذيب التهذيب بالتصغير .

(٣) فى الأصل : «رياح» بالياء المثناة ، والتصويب عن تهذيب التهذيب . (٤) الطعمة : وجه المكسب طيبا أو خبيثا . (٥) كذا فى النهاية لابن الأثير . وزايلوهم : فارقوهم . وفى الأصل : «وتزايلوهم» . (٦) كذا فى العقد الفريد ، وفى الأصل : «فخالصه» بالصاد ، وخالصه فى العشرة : صافاه . وهذا المعنى وإن صح على الجملة فالمخالطة فى هذا المقام أنسب .

وروى أبو معاوية عن الأحوص بن حكيم عن أبى الزاهرية قال قال أبو الدَّرداء : إنّا لنَكْشِر(١) فى وجوه أقوام و إنّ قلوبنا لتلعنهم .

ودخل لبيدة العجلى(٢) على عمر رضى الله عنه ، فقال له عمر : أقتلت زيدا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قتلتُ رجلا يسمّى زيدا ، فإن يكن أخاك فهو الذى أكرمه الله بيدى ولم يُهِنِّى به ؛ ثم لم يَرَ مِن عمر بعد ذلك مكروها .

قال محمد بن أبى الفضل الهاشمى : قلتُ لأبى : لِمَ تجالسُ الى فلانٍ وقد عرفتَ عداوته ؟ فقال : أُخْبِى نارا وأقدَحُ عن وُدٍّ . وقال المهاجر بن عبد الله الكلابى :

و إنّى لأُقصِى المرءَ من غيرِ بِغْضةٍ * وأُدنِى أخا البغضاءِ منّى على عَمْدِ
لِيُحدِثَ وُدًّا بعد بَغْضاءَ أو أرَى * له مَصْرَعاً يُردِى به اللهُ مَنْ يُرْدِى

وقال عِقَالُ بنُ شَبَّة : كنتُ رَدِيفَ أبى، فلقيه جريرٌ على بغلٍ فحيّاه أبى وألطفه ؛ فلمّا مضى قلتُ : أبَعْدَ ما قال لنا ما قال ! قال : يا بُنىّ ، أَفَأُوسِّعُ جُرْحِى ! .

قال ابنُ الحنفيّة : قد يُدفَعُ باحتمالِ مكروهٍ ما هو أعظمُ منه .

قال الحسنُ : حُسْنُ السؤالِ نصفُ العلمِ ، ومُداراةُ الناسِ نصفُ العقلِ ، والقصدُ فى المعيشة نصفُ المؤونةِ .

مدح ابنَ شِهابٍ شاعرٌ فأعطاه ، وقال : مَنِ ابتغى الخيرَ اتّقى الشرَّ .

---

(١) الكشر : ظهور الأسنان للضحك يقال : كاشره اذا ضحك فى وجهه و باسطه . وفى رواية « و إنّ قلوبنا لتقليهم » بدل « تلعنهم » . (٢) لم نعثر على هذا الاسم وقد راجعنا ترجمة زيد بن الخطاب فى كتاب الطبقات الكبير لابن سعد وفى تهذيب التهذيب لابن حجر ، وفيهما أن زيدا كان يحمل راية المسلمين يوم اليمامة وجعل يشتدّ بالراية و يتقدّم بها فى نحر العدوّ ثم ضارب بسيفه حتى قتل ، وقيل إن قاتله الرحال بن عنفوة كما قيل إنه أبو مريم الحنفى .

وفى الحديث المرفوع : "أوّلُ ما يُوضعُ فى الميزان الخلقُ الحسن" . وقال : إنّ حسنَ الخُلُق وحُسنَ الجوارِ يُعَمِّران الديار، و يَزيدانِ فى الأعمار . وقال : مَنْ حَسَّنَ اللهُ خَلْقَهُ وخُلُقَهُ كان من أهل الجنة .

قال الشاعر :

فَتًى إذا نَبَّهتَه لم يَغْضَبِ ※ أبيضُ بَسَّامٌ و إن لم يَعْجَبِ

مُوَكَّلُ النفسِ بحفظ الغَيَّبِ ※ أقصَى رفيقَيْه له كالأجنبِ (١)

وقرأتُ فى كتب العجم : حُسْنُ الخُلُقِ خيرُ قرينٍ، والأدبُ خيرُ ميراثٍ، والتّوفيقُ خيرُ قائدٍ .

وقالت عائشةُ رضى الله عنها : ما تُبالى المرأةُ اذا نزَلَتْ بين بيتينِ من الأنصار صالحين ألَّا تنزلَ مِنْ أبوَيْها .

وقال جعفر بن محمد : حسنُ الجوارِ عِمارةٌ للدار، وصَدقةُ السرِّ مَثْراةٌ للمال .

وقال عبدُ الله بن عمرو بن العاص : ثلاثةٌ من قريشٍ أحسنُها أخلاقا وأصبحُها وجوها وأشدُّها حياءً، إن حَدّثوكَ لم يكذبوكَ، و إن حدّثتَهم بحقّ أو باطل لم يُكَذِّبوك : أبو بكر الصدّيقُ، وأبو عبيدةَ بنُ الجرّاح، وعثمانُ بنُ عفّانَ رضى الله عنهم .

وقال يزيد بنُ الطَّثَرِيَّةِ :

وأبيضَ مثلِ السيفِ خادمِ رُفقةٍ ※ أشمَّ ترى سِرْبًا لهُ قد تَقَدَّدَا (٢)

كريمٍ على علّاتِه لو تَسُبُّهُ (٣) ※ لَقَدّاكَ رِسْلًا لا تراه مُرَبَّدَا (٤)

يُجيبُ بلبَّيْهِ (٥) إذا ما دعوتَه ※ ويحسبُ ما يُدعَى له الدهرَ أرشَدَا

(١) لعله : «كالأقرب» ليستقيم المعنى . (٢) تقدد : تقطع و بلى . (٣) فى الشعر والشعراء : «غزاته» . (٤) مربد : متغير الوجه من الغضب . (٥) كذا بالأصل، والأصل فى هذه الكلمة أن تضاف الى ضمير المخاطب (انظر شرح الأشمونى على الألفية فى باب الإضافة) .

وقرأت فى كتاب للهند : مَنْ تزوّد خمسًا بلّغته وآنسته : كفُّ الأذى ، وحسن الخُلُقِ ، ومجانبةُ الرِّيَب ، والنُّبلُ فى العمل ، وحسنُ الأدب .

وقال المَرّار فى مداراة القرابة :

ألا إنّما المولى كعظْمٍ جبرتَهُ * فلا تَخْرِقِ المولى ولا جابرُ العظم

٥ وقال آخر فى مداراة الناس :

وأنزلَنِى طولُ النّوى دارَ غُرْبةٍ * إذا شئتُ لاقيتُ امرأً لا أشاكلُهْ

فحامقتُهُ حتى يُقالَ سجيّةٌ * ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقلُهْ

وقال بشّار :

خليلىّ إنّ العسرَ سوفَ يُفيقُ * وإنّ يسارًا فى غدٍ لخليقُ

١٠ وما أنا إلا كالزمان إذا صحا * صحوتُ وإن ماقَ الزّمانُ أموقُ

التلاقى والزيارة

حدّثنا محمد بن عُبيد قال حدّثنا الفضلُ بن دُكين عن طلحةَ بن عمرَ عن عطاء عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «زُرْ غِبًّا تزدَدْ حُبًّا» .

وقال الأصمعىّ : دخل حبيبُ بنُ سُويدٍ على جعفر بن سليمانَ بالمدينة ، فقال ١٥ جعفر : حبيب بن سويد وادُّ الصّديقِ ، حسَنُ الثّناءِ ، يكره الزيارةَ المُمِلّةَ ، والقعدةَ المُنسِيَةَ .

وقرأت فى كتاب للهند : ثلاثة أشياءَ تزيد فى الأنس والثّقة : الزيارةُ فى الرَّحْل[1] ، والمؤاكلة ، ومعرفة الأهلِ والحَشَم .

وقال الطائىّ :

٢٠ وحظُّكَ لَقْيَةٌ فى كل عامٍ * مُوافقةً على ظهر الطريقِ

(١) الرحل : منزل الرجل ومسكنه وبيته ، يقال : دخلت على الرجل رحله أى منزله .

قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الصوّاف عن موسى بن يعقوب السَّدوسيّ عن أبي السِّنان عن عثمانَ بن أبي سَوْدةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ عاد مريضًا أو زار أخا ناداه مُنادٍ من السماء : أن طِبتَ وطاب ممشاكَ تبوأْتَ من الجنة منزلًا".

كتب رجل الى صديق له : مَثَلُنا، أعزّك الله، في قُرْب تجاوُرِنا وبُعْدِ تزاوُرِنا ما قال الأوّلُ :

ما أقربَ الدارَ والجوارَ وما * أبعــدَ مع قُربِنـا تلاقِينا

وكلُّ غفلةٍ منك محتمَلةٌ، وكل جَفوةٍ مغفورةٌ، للشّغف بك، والثِّقةِ بحسن نيّتكَ، وسآخذ بقول أبي قيس (١) :

ويُكرِمُها (٢) جاراتُها فيزُرْنَها * وتعتلُّ عن إتيانهنّ فتعــذرُ

وقالت أعرابية :

فلا تحمَدُوني في الزيارةِ إنّني * أزوركُمُ إذ لم أجِدْ متعلَّلَا

وكتب رجل الى صديق له يستزيره : طال العهدُ بالاجتماع حتى كِدْنا نتناكرُ عند التلاقِي، وقد جعلك الله للسّرور نِظاما، وللأنس تماما، وجعلَ المَشاهِدَ مُوحِشَةً إذ خلتْ منك .

وقال سهل بن هارون :

وما العيشُ إلّا أن تَطُولَ بنائلٍ * وإلا لقاءُ المرءِ ذي الخُلُقِ العالِي

(١) هو أبو قيس بن الأسلت والأسلت، لقب أبيه؛ واسمه عامر بن جشم بن وائل الخ (أنظر الأغاني ج ١٥ طبع بولاق) . (٢) كذا في خزانة الأدب للبغدادي ج ٢ ص ٤٨ والأغاني ج ١٥ ص ١٦٦ طبع بولاق، وفي الأصل «ويكرمنها» باثبات النون وهي لغة رديئة .

وقال بشار :

تسقُط الطيرُ حيث تَلتقطُ الحَبَّ (١) وتُغشَى منــازلُ الكُرَماءِ

قال رجل لصديق له : قد تَصدّيتُ للقائك غيرَ مرّة فلم يُقْضَ ذلك ، فقال له الآخرُ : كلُّ بِرٍّ تأتيه فأنت تأتى عليه .

٥ قال ٱبن الأعرابىّ :

وأَرْمِى الى الأرض التى من ورائكم * لِتَرْجِعَنى يومًا عليــك الرواجعُ

وقال آخر :

رأيتُ أخا الدنيا و إن بات آمنا * على سفرٍ يُسْرَى به وهو لا يَدْرِى

تثاقلْتُ إلا عن يدٍ أستـفيدُها * وزَوْرةِ ذى وُدٍّ أَشُدُّ به أَزْرى

١٠ وقال آخر :

أزورُ محمــدا وإذا ٱلتقينا * تكلمتِ الضمائرُ فى الصــدورِ

فأرجعُ لم أَلُمْــه ولم يَلُمْـنِى * وقد رضِىَ الضميرُ عن الضمير

كان سفيانُ بن عُيينةَ يقول : لا تعفِّرُوا الأقدامَ إلا الى أقدارها ؛ وأنشد :

نضعُ الزيارة (٢) حيث لا يُزْرِى بنا * شَرَفُ الملوكِ ولا تَخيبُ الزُّوَرُ

١٥ وكان يقال : اِمْشِ مِيلًا وعُدْ مريضا ، وامشِ مِيلين وأصلِح بين اثنين ، وآمش ثلاثةَ أميال وزُرْ أخا فى الله .

وقال بعض المحدّثين :

إذا شِئتَ أن تُقْــلَى فَزُرْ متتابِعًا * وإنْ شئت أن تزدادَ حُبًّا فزُرْ غِبًّا

(١) الذى فى الأغانى فى ترجمة بشار : «يَنْتثِر الحَبُّ» . (٢) فى الأصل : «يضع الزيارى» وهو تحريف .

٢٠

وقال آخر :

أقلل زيارتك الصديـ * ـق يراك كالثوب استجده[1]

إن الصديق يمله * ألا يزال يراك عنده

قال رجل لصديق له : ما أخلو وإن كان اللقاء قليلا من سؤالٍ أو مُطالعةٍ لكَ ، فقلبي يقوم مَقام العيانِ .

وقال آخر لصديق له : قد جمعتْنا وإياكَ أحوالٌ لا يُزرِى بها بعدُ اللقاءِ ولا يُخِلّ بها تنازُحُ الديار .

وقال آخر : لولا ما في بَديه اللقاءِ من الحَيْرَةِ والتعرّض به قبل معرفة العَينِ للجفوة، لم أتوقّف على مُطالعةٍ حتى أصيرَ اليك .

وقال الشاعر :

ومالىَ وجهٌ فى اللئام ولا يدٌ * ولكنّ وجهى فى الكرام عريضُ

أَصِحُّ اذا لاقيتُهم وكأنّنى * اذا أنا لاقيتُ اللّئامَ مريضُ

وقال علىّ بن الجَهْم :

أَبلِغْ أخًا ما تولّى اللهُ صحبتَنا * أنّى وإن كنتُ لا ألقاهُ ألقاهُ

وأن طَرْفِىَ موصولٌ برؤيته * وإن تباعدَ عن مَثواىَ مَثواهُ

اللهُ يعلَمُ أنى لستُ أذكره * وكيف أذكره إذ لستُ أنساهُ

(١) كذا فى نهاية الأرب ج٢ ص٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية ، وقد نسب فيه هذا الشعر لمسلم بن الوليد وفى الأصل : «تكن كثوب تستجده» .

المعاتبـــــة والتجنّى

قال حدّثنا محمدُ بن داود عن المَضَاءِ عن فرج بن فَضالةَ عن لقمانَ بن عامر قال قال أبو الدَّرْداء : معاتبـةُ الأخ خيرٌ من فقده ، ومَنْ لك بأخيكَ كلّه ! .

وكان يقال : التجنّى وافدُ الصَّرْم .

٥ وقرأت فى الإنجيل : إن ظلمك أخوكَ فاْذهبْ فعاتبـه فيما بينك و بينه . فإن أطاعك فقـد ربحتَ أخاكَ وإن هو لم يُطِعْك فاْستتبعْ رجلا أو رجلين يشهدان ذلك الكلامَ ، فإن لم يستمع فاْنْهِ أمرَه الى أهل البِيعةِ (١) ، فإن لم يستمعْ من أهـل البِيعةِ فليكن عندكَ كصاحب المَكْس .

وقال ابن أبى فَنَنٍ :

١٠ إذا كنتَ تغضبُ من غيرذنبٍ * وتعتِبُ من غير جُرمٍ عليّا
طلبتُ رضاكَ فإن عزّنى * عددتُكَ ميْتاً وإن كنتَ حيّا
قنِعتُ وإن كنتُ ذا حاجةٍ * فأصبحتُ من أكثر الناس شيّا
فلا تعجبَنَّ بما فى يديكَ * فأكثرُ منـه الذى فى يديّا

وقال أبو نَهْشَل يعاتب صديقًا له :

١٥ عَدلتَ عن الرّحاب الى المَضيق * وزرتَ البيتَ من غير الطريقِ
وتَظلِمُ عنـد طاعتـك المَوالى * وليس الظلمُ من فعل الصديقِ
تجودُ بفضـل عدلكَ للأقاصى * وتمنعُه من الخِـلّ الشـفيقِ
أمَا والراقِصاتِ (٢) بذات عِرقٍ (٣) * وربِّ البيت والركنِ الوثيـقِ
لقـد أطلَقتَ لى تُهَمًا أراها * ستحمِلُنى على مَضَضِ العُقوقِ

٢٠ (١) البيعة : (بالكسر) متعبد النصارى . (٢) الراقصات : النوق ، لأنها ترقص فى خببها .
(٣) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

وقال آخر :

فدعِ العِتابَ فربَّ شرٍّ هاجَ أوَّلُهُ العِتابُ

وقال الجَعْدِيّ :

وكان الخليلُ اذا رابني * فعاتبتُه ثم لم يُعتِبِ (١)

هَوايَ له وهَوَى قلبِه * سواي وما ذاكَ بالأصوبِ

فإني جَرِيءٌ على صُرْمه * اذا ما القرينةُ لم تُصْحِبِ (٢)

قال رجلٌ لصديق له يعاتبه : ما أشكوكَ إلا اليكَ ، ولا أستبطِئك إلّا لكَ ، ولا أستزيدكَ إلا بكَ ، فأنا منتظرٌ واحدةً من آثنتين : عُتْبَى تكون منكَ ، أو عُقْبَى الغِنَى عنك .

وقال آخرُ : قد حميتُ جانبَ الأمل فيكَ وقطعتُ الرجاء لك ، وقد أسلمني اليأسُ منك الى العَزاء عنك ، فإن نزعتَ من الآن فصفحٌ لا تثريبَ فيه ، وإن تماديتَ فهجرٌ لا وصلَ بعده .

وقال بعض الشعراء :

ولا خيرَ في قُرْبى لغيركَ نفعُها * ولا في صديق لا تزالُ تُعاتبُهْ

يخونُكَ ذو القربى مِرارا وربّما * وفَى لكَ عند الجَهْد مَنْ لا تُناسِبُهْ

وقال آخر وهو أوسُ بنُ حَجَر :

وقد أُعتِبُ آبنَ العمّ إن كان ظالما * وأغفرُ عنه الجهلَ إن كان أجهلَا

وكتب رجل الى صديق له : الحالُ بيننا تحتملُ الدَّالّةَ ، وتُوجِبُ الأُنسَ والثِّقةَ ، وتبسط اللسانَ بالاستزادة .

---

(١) أي لم يُرضِني ، من أعتب الرجلُ صاحبَه اذا أرضاه . (٢) القرينة هنا : النفس ، وأصحبت : انقادت .

وكتب رجل آخرُ الى صـــديق له : قـد جعلك اللهُ ممن يحتمل الدّالّة الكبيرة لذى الحُرمةِ اليسيرةِ، ورفعكَ عن أن تبلغ آستزادةَ المستزيد بعُنْف الحَمِيّة .

والعرب تقول لمن عُوتِب فلم يُعتِبْ : «لك العُتْبى بأن لا رضيتَ»[١] .

ونحوه قول بشر بن أبى خازم :

غَضِبَتْ تميمٌ أن تُقتَّل عامرٌ ۞ يوم النِّسارِ[٢] فأُعتِبُوا بالصَّيْلَمِ

وقال أوسُ بن حارثةَ لآبنــه : العِتابُ قبل العِقاب . وهذا نحو قول الآخر : ليكن إيقاعُكَ بعد وعيدك، ووعيدُكَ بعد وَعْدك .

وقال إياسُ بن معاوية : خرجتُ فى سفرٍ ومعى رجل من الأعراب، فلمّا كان ببعض المناهل لقِيَه آبنُ عمٍّ له فتعانقا وتعاتبا والى جانبهما شيخٌ من الحىّ، فقال لهما الشيخ : أنعِمَا عيشًا، إنّ المعاتبةَ تبعَثُ التجنّى، والتجنّىَ يبعثُ المخــاصمةَ، والمخاصمةَ تبعثُ العداوةَ، ولا خيرَ فى شيءٍ ثمرتُه العداوةُ، فقلت للشيخ : مَن أنتَ ؟ قال : أنا آبن تَجرِبَةِ الدهرِ ومَنْ بَلَا تلوُّنَه، فقلت له : ما أفادكَ الدّهرُ ؟ قال : العلم به، قلت : فماذا رأيتَ أحمدَ؟ قال : أن يُبقِيَ المرءُ أُحدوثةً حسنة بعده، قال : فلم أبرحْ ذلك المــاءَ حتى هلك الشيخُ وصلّيت عليه .

وقال رجل لصـــديق له : أنا أُبقِى على مودّتك من عارضٍ يغيّره[٣] وعتابٍ يقدَح فيه، وأُؤمّل نائيًــا من رأيك يُغنِى عن آقتضائك .

---

(١) أى أن إعتابى إياك بقولى لك : لا رضيت، على وجه الدعاء أى لا رضيت أبدا .

(٢) يوم النسار : ذكره أبو عبيدة فقال : تحالفت أسد وطيء وغطفان فغزوا بنى عامر فقاتلوهم قتالا شـــديدا فغضبت بنو تميم لقتل بنى عامر فتجمعوا وحلفاءهم يوم الفجار فقتلوا طيئا أشدّ ما قتلت عامرا يوم النسار . والصيلم : السيف .

(٣) لعله ذكر الضمير باعتبار أن مرجعه الود .

وقرأتُ فى كتاب العتّابىّ : تأنّينا إفاقتَك من سكر غفلتك، وترقّبنا انتباهكَ من وَسَنِ رَقدتك، وصبَرنا على تجرّع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأسُ من خيرك، وكشف لنا الصبرُ عن وجه الغلِط فيك، فها نحن قد عرفناكَ حقَّ معرفتكَ فى تعدّيك لِطويل حَقّ مَنْ غَلِط فى اختيارك .

وقال الشاعرُ : ٥

فأيُّهما يا ليـلَ إن تفعلِى بنا * فآخرُ مَهجورٍ وأوّلُ مُعتَبِ

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب : يجب على المرءوس اذا تجاوزَ به الرئيسُ حقَّ مرتبته بعمله، وكان تفضيلُه إنما وقع له بخفته على القلب ومحلّه من الأدب، أن يقابل ذلك بمثله إن كان مُحامياً على محلّه، و إلا فلن يؤمَنَ عليه . معنى بيتِ شريح : ١٠

فإنى رأيتُ الحبَّ فى الصّدر والأذى * اذا اجتمعا لم يَلْبَث الحبُّ يَذهَبَ

باب الوَداع

قال حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنا مسـلم حدّثنا سَلْمُ بن قتيبة عن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن يزيدَ[1] بن أمية عن نافع عن ابن عمر : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم كان يقول اذا ودّع رجلا "أَستَودِعُ اللّه دينَـكَ وأمانتكَ وخواتيمَ عملِكَ وآخر عمرِكَ[2]" . ١٥

قال وحدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا مسلم بن ابراهيم عن سعيد بن أبى كعب الأزدىّ عن موسى بن مَيْسرة عن أنس بن مالك : أن رجلا أتى النبيَّ

(١) كذا فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى والخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى فيمن اسمه إبراهيم . وفى الأصل : «إبراهيم بن عبد الرحمن عن زيد بن أمية» وهو تحريف . (٢) ذكر هذا الحديث فى الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٠ ولم تذكر فيه هـذه الجملة الأخيرة . ٢٠

صلى الله عليه وسلم فقال : إنّى أُريدُ سفرًا غدًا فقال " فى حفظِ اللهِ وكنفه زوّدك الله التقوى وغفرَ ذنبَكَ ووجّهكَ للخيرِ حيثُ كنتَ " .

المعتمرُ عن إياس بن دَغْفَلٍ قال : رأيت الحسَـنَ ودّع رجلا وعيناه تهملان وهو يقول :

٥ وما الدهرُ إلا هكذا فآصطَبِرْ له ※ رَزِيئـــةُ مالٍ أو فِراقُ حبيبِ

قال وودّع رجلٌ صديقا له وهو يقول :

وَدَاعُكَ مثـــلُ وداعِ الربيعِ ※ وفقدُكَ مثـــلُ آفتقادِ الدِّيَمْ[1]

عليـــكَ الســـلامُ فكَمْ من وفاءٍ ※ نُفَارِقُه منـــكَ أو من كَرَمْ

وقال الطـــائى :

١٠ بِيّنَ البينُ فَقْـــدَها، قَلَّمَـــا تَعْـ ※ ـرِفُ فقـــدًا للشمسِ حتى تغيبا

وقال جريرٌ :

يا أختَ ناجيـــةَ الســـلامُ عليكمُ ※ قبلَ الرحيلِ وقبـــلَ لَوْمِ العُذَّلِ

لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عهـــدِكم ※ يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لم أفعـــلِ

أو كنتُ أرهبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجلٍ ※ لقنعتُ أو لسألتُ ما لم يُسْألِ

١٥ وبلغنى عن بكرٍ المـــازنىّ أنه قال : دخلتُ على الواثق حين أمر بحملى، فقال لى : ما آسمُكَ؟ فقلت : بكرٌ، قال : مَنْ خلّفت وراءكَ، قلتُ[2] : بُنَيّةٌ، قال : ما قالت عند وداعك؟ قلتُ : قالت :

اذا غِبتَ عنّا وخلّفتنا ※ فإنّا سواءٌ ومَنْ قد يَتِمْ

(١) الديم : جمع ديمة وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . (٢) فى الأصل : «قال» .

أَبَانَا فلا رِمْتَ مِنْ عندنا [(١)] * فإنا بخــيرٍ اذا لم تَرِمْ

أبانا اذا أضمرتكَ البلا [(٢)] * دُ نُجْفَى وتُقطَعُ منّا الرَّحِمْ

قال : فما قلتَ لها أنتَ؟ قال : قلت ما قال جرير :

ثِقِى بالله ليس له شريكٌ * ومِنْ عندِ الخليفةِ بالنَّجاحِ

كان لبنى عُقَيلٍ عبـدٌ رضيعٌ بِلِبَانِ بعضهم فباعوه، فقال حين شَخَص به مواليه ٥
شــعرا :

أشوقًا ولمّـا يمْضِ بى غيرَ ليـلةٍ [(٣)] * فكيف إذا سار المطىُّ بنا شهرا

وقال مسلمُ بن الوليد :

وإنّى وإسماعيــلَ عنـد وَدَاعه * لكالغِمْدِ يومَ الرَّوْعِ زايَلَه النَّصلُ

فإن أغشَ قومًا بعــدهم وأزورهم * فكالوحش يُدْنِيها من الأَنَسِ [(٤)] المَحْلُ ١٠

وقال آخرُ عند توديعه :

عجِبتُ لتطويحِ النّوى مَنْ نُحِبُّهُ * وتدنو بمَنْ لا يُســتَلَذُّ له قُربُ

وقال آخر :

مالتْ تُودّعنى والقلب يَغْلِبُها * كما يَميلُ نسيمُ الريحِ بالغُصُنِ

ثم آستمرّتْ وقالتْ وهى باكيةٌ * ياليتَ معـرفتى إيّاكَ لم تكنِ ١٥

وقال آخرُ لرجل ودّعه : بقى علينا أن نَكُفَّ من غَرْبِ [(٥)] الشُّؤونِ، ونَستعينَ على فُرْقةِ الوَحْشة بالكُتُب، فإنها ألسُنٌ ناطقة، وعيونٌ رامقة .

---

(١) يقال : ما رمت من عند فلان أى ما برحت . (٢) الذى فى اللسان مادّة «ضمر» : أرانا اذا أضمرتك الخ بدل «أبانا» . وقال : وأضمرته الأرض : غيبته إمّا بموت أو سـفر .

(٣) الرواية المشهورة : أشـوقا ولم يمض لى غير ليـلة * فكيف اذا خب المطى بنا عشرا ٢٠

(٤) الأنس : الإنس . (٥) الغرب : مسيل الدمع، والشؤون : الدموع .

وقال البُحترى :

اللهُ جارُكَ فى انطلاقكْ * تلقاء شامك أو عراقكْ

لا تعـذُلنّى فى مسيـ * ـرى يوم سِرتُ ولم ألاقكْ

إنّى خشيتُ مواقفًا * للبَيْن تسفح غَرْب ماقكْ

وعلمتُ ما يلقى المودّ * عُ عند ضمّك[1] واعتناقكْ

فتركتُ ذاك تعمّدًا * وخرجتُ أهربُ من فراقكْ

الهـــدايا

قال حدّثنا يزيدُ بن عمرو قال حدّثنا عُمير بن عِمْران قال حدّثنا الحارث بن عتبة عن العَلاء بن كَثيرٍ عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تصافحوا فإنّ المصافحة تُذهب غِلّ الصدور، وتهادَوْا فإنّ الهديّة تذهَبُ بالسّخيمة[2]" .

وحدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا بِشر بن المفضّل عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو أُهدِيَتْ لى ذِراعٌ[3] لقَبِلت، ولو دُعيتُ الى كُرَاع[4] لأجبتُ" .

وفى حديث آخر : "تهادَوْا تحابُّوا فإنّ الهدية تفتحُ البابَ المُصْمَتَ[5] وتَسُلُّ سخيمةَ القلب" .

قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال : سمعْتُ نافعا يحدّث قال : كان ابن عمر يقول : الهدايا من أمراء الفتنة .

---

(١) كذا فى ديوان البحترى . وفى الأصل : «شمك» . (٢) السخيمة : الضغينة والحقد . (٣) كذا فى الأصل والمحاسن والأضداد ص ٣٦٦ ؛ وقد ورد هذا الحديث فى البخارى ج ٣ ص ١٥٤ هكذا : "ولو دعيت الى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدى إلىّ ذراع أو كراع لقبلت" . (٤) الكراع بالضم : يد الشاة . (٥) المصمت : المغلق .

وروى الزُّبيرُ بن بَكَّار عن عمه قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبى رَبيعة يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صَفْوانَ، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعثُ الى الحارث فى كلّ يوم بقِرْبةٍ من ألبان إبله ، فاختلفَ ما بينهما فأتى عمرٌو أهلَه [فقال] (١) : لا تبعثُوا للحارث باللبن فإنا لا نأمنُ أن يَرُدَّه علينا ؛ وآنقلب الحارثُ الى أهله فقال : هل أتاكم اللبنُ؟ قالوا : لا ؛ فلما راح الحارثُ بعمرو قال (٢) : ياهذا لا تجمعنَّ علينا الهجرَ وحبسَ اللبن ؛ فقال : أمّا اذ قلتَ هذا فلا (٣) يحملُها اليك غيرى ، فحملها من رَدْمِ (٤) بنى جُمَح الى أجيادْ (٥) .

وبعث النضرُ بن الحارث الى صديق له يسكن عَبَّادانَ (٦) بنعلين مخْصُوفتين وكتب اليه : بعثتُ اليك بهما وأنا أعلمُ أن بكَ عنهما غِنًى ، ولكنّى أحببتُ أن تعلَمَ أنك منى على ذُكْرٍ .

وقال بعضُ الشعراء :

إنّ الهديّةَ حُلوةٌ * كالسِّحر تجتَلِبُ القلوبَا

تُدنِى البغيضَ من الهوى * حتى تُصَيِّرَه قريبَا

وتُعيدُ مُضطغِنَ العَدَا * وةِ بعد نُفْرَتِه حبيبَا

أهدى رجلٌ إلى صديق له عبدا أسودَ ؛ فكتب إليه : أما بعد، فلو علمتَ عددًا أقلّ من واحد أو لونا شرًّا من الأسود لبعثْتَ به إلىّ . وهذا نظيرُ قول الآخر

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) فى الأصل : «فقال» . (٣) فى الأصل : « لا » . (٤) ردم بنى جمح : موضع بمكة سمى بذلك لوقعة كانت فيه بين بنى جمح بن عمرو وبين محارب بن فهر رُدِمَ فيه كثير من بنى جمح . (٥) أجياد : موضع بمكة ، يلى الصفا ، واختلف فى سبب تسميته بهذا الاسم فقيل : سمى بذلك لأن تبّعًا لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وقيل غير ذلك . (٦) عبادان (بفتح العين وتشديد الباء) : جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين فى بحر فارس .

وقد سُئل كم لك من الولد ؟ قال : خبيثٌ قليل . قيــل : وكيف ؟ فقال : لا أقلّ من واحد ولا أخبث من بنت .

أهــدى رجلٌ الى بعض الأمراء هديةً، فكتب اليه الأميرُ : قد قبلتُها بالموقع ورددتُها بالإبقاء .

٥ وكان ابن عباس يقول : مَنْ أُهدِيَتْ اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها . فأهدَى اليه صديقٌ ثيابا من ثياب مصرَ وعنــده أقوام فأمر برفعها ، فقال له رجل : ألم تُخبِرنا أنّ مَن أُهديَتْ له هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنّما ذلك فيما يؤكَل ويُشربُ ويَشم، فأمّا فى ثياب مصر فلا .

وقال خلفُ الأحمرُ :

١٠ أتانى أخٌ من غَيْبــةٍ كان غابهــا * وكنتُ اذا ما غاب أنشُــده رَكْبا (١)

فجاء بمعــروفٍ كثيرٍ فدسّــه * كمادسّ راعى السَّوء فى حِضنه الوَطْبا (٢)

فقلت له هـــل جِئتَنى بهـــديّة * فقال بنفسى قلت أتحِفْ بها الكلبا

هى النفسُ لا أرثِى لها [من] بليّةٍ (٣) * ولا أتمـــنى أن رأيتُ لها قُــــربا

أهدى رجل إلى صديق له وكتب إليه : الأُنسُ سهّل سبيلَ الملاطفة ، فأهديتُ ١٥ هديّةَ من لا يَحْتَشِم ، إلى من لا يَغْتنِم .

وحدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حُبَابة بنت عَجْلان عن أمّها أم حفص عن صفيّة بنت جرير عن أم حكيم بنت وَدَاع الخُزاعيّــة قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما جزاءُ الغنيّ من الفقير ؟ قال : "النصيحة والدعاء"

(١) نشده : عرّفه وسأل عنه . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) تكملة يقتضيها ٢٠ المعنى والوزن .

قلت : يُكْرَه ردُّ اللَّطَف[1] ؟ قال : "ما أقْبَحه ، لو أُهـديتْ إلىّ ذِراع لقَبِلتُ ، ولو دُعيتُ إلى كُرَاع لأجبتُ ، تهادَوْا فإنه يُضْعِفُ[2] الحُبَّ ويَذْهَب بغوائل القلوب".

وحدّثنى محمد بن سَلّام الجُمَحىّ قال حدّثنى خلّاد بن يزيد الباهلىّ قال : أُهدِيتْ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرة فى يوم المِهْرَجان هدايا وهو أمير العراق فصُفّت بين يديه ؛ فقال خلف بن خليفة وكان حاضرا :

كأنّ شماميسَ فى بِيعـةٍ ﴿ تسبّح فى بعض عِيداتِها
وقد حضرتْ رسلُ المِهْرجا ﴿ نِ وصَـفُّوا كريمَ هَدِيّاتِها
علوتُ برأسىَ فوق الرءوس ﴿ فأشخصتُه[3] فـوق هاماتها
لأَكسِبَ صاحبتى صَحْفَةً ﴿ تغيظ[4] بهـا بعضَ جاراتها

فأمر له بجامٍ من ذهب ، ثم أقبل يفرّق بين جلسائه تلك الهدايا ، ويُنشد :

لا تبخَلَنّ بدُنيـا وهى مقبـلةٌ ﴿ فليس يَنْقُصها التبذيرُ والسَّرَفُ
فإنْ تولّتْ فأَحْرَى أن تجودَ بها ﴿ فالحمدُ منها اذا ما أدبرتْ خَلَفُ

كتب رجلٌ من أصحاب السـلطان الى بعض العمال يَستهديه مِهارةً[5] من ناحية عمله . فكتب اليه العامل : أمّا المِهارةُ فإن أهل عملنا يصونونها صيانةَ الأعراض ، ويسترونها سَتْرَ الحُرَم ، ويسومون بهـا مهور العقائل ؛ وأنا مستخلِص لك منهـا ما يكون زينَ المَرْبِط وحُمْلانَ[6] الصديق ، إن شاء الله .

(١) اللطف : اسم من ألطفه بكذا اذا برّه . (٢) يضعف الحب : يضاعفه .
(٣) كذا فى الشعر والشعراء ، وفى الأصل : «فأشخصتها» والرأس مذكر . (٤) كذا فى الشعر والشعراء . وفى الأصل «تفيض» : وهو تحريف . (٥) المهارة : جمع مهر بالضم ، وهو ولد الفرس . (٦) الحملان : ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه مما يحمل عليه .

وقال بعضهم : الهديّة اذا كانت من الصغير الى الكبير، فكلّما لطفت ودقّت كان أبهى لها ، واذا كانت من الكبير الى الصغير، فكلّما عظمت وجلّت كان أوقع لها وأنجع .

وكتب أبو الشّمقمق :

بدولة جعفرٍ حسُنَ الزمانُ * لنا بك كلّ يومٍ مهرجانُ
ليوم المهرجان بك آختيالٌ * وإشراقٌ ونورٌ يستبانُ ٥
جعلتُ هديّتى لك فيه وَشْياً * وخيرُ الوشْى ما نَسَج اللسانُ

أهدى حُسَام بن مِصَكّ الى قتادة نعلاً رقيقة ، فجعل قتادة يزنها بيده ، وقال : إنك تعرف سُخْفَ عقل الرجل فى سخف هديّته .

وقال الشاعر :

سقى حَجّاجنا نَوءُ الثريّا * على ما كان من بُخْلٍ ومَطْلِ ١٠
همُ جمعوا النعالَ وأحرزوها * وسدّوا دونها باباً بقُفْلِ
فإن أهديتُ فاكهةً وجدياً * وعشرَ دجائجٍ بعثوا بنعلِ
ومسواكَيْنِ طولُهما ذراعٌ * وعشرٍ من رديء المُقْلِ حُسْلِ[1]
فإن أهديتُ ذاك ليحملونى * على نعلٍ فدقّ الله رِجْلِى
أُناسٌ تائهون[2] لهم رُواءٌ * تَغِيم سماؤهم من غير وَبْلِ ١٥
اذا آنتسبوا ففرعٌ من قريشٍ * ولكنّ الفعالَ فعالُ عُكْلِ[3]

كتب رجل الى صديق له : لولا أنّ البضاعة قصّرت بى عن بلوغ الهمّة لأتعبتُ المسابقين الى برّك . وكرهتُ أن تُطْوَى صحيفةُ البِرّ وليس لى فيها ذِكر ،

(١) المقل : ثمر الدوم ، وحسل : جمع حسيل ، والحسيل : رذال الشيء . (٢) تائهون : متكبرون ، وصف من التيه . (٣) عكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة و يستحمق : عكلىّ . ٢٠

فبعثت اليك بالمبتدأ بيُمنه و بركتِه، والمختومِ بطيبه ورائحتِه : جرابِ مِلْح، و جراب أُشْنَان[١] .

أهدى الطائىّ الى الحسن بن وهب قلماً وكتب اليه :

قد بعثنا إليك أكرمك اللـ * ـه بشىءٍ فكن له ذا قَبُولِ

لا تقِسْه الى نَدَى كفّك الغَمْـ * ـرِ ولا نَيْلِك الكثيرِ الجزيلِ

وٱغتفِر قلّةَ الهــديّةِ مِنّى * إنّ جهــدَ المُقِلّ غيرُ قليــل

وبعث أبو العَتَاهِيَة الى الفضل بن الربيع بنعلٍ وكتب معها :

نعــلٌ بعثتُ بهــا لتلبَسَها * تسعى بهــا قدمٌ الى المجــدِ

لو كان يمكن أن أُشَرِّكَها[٢] * جِلْدِى جعلتُ شِراكَها خَدِّى

وقال بعض الشعراء فى نحو ذلك :

أَوَ ما رأيتَ الــوردَ أتحفَنَــا به * إتحافَ مَنْ خَطَر الصــديقُ ببالِهِ

لو كان يُهْــدَى لٱمرئٍ ما لا يُرَى * يُهْــدَى لعُظْمِ فِراقــه وزِيالِهِ

لرددتُ تُحفتَه عليــه و إن علتْ * عن ذاك وٱستهديتُ بعضَ خِصالِهِ

وقال المهدىّ :

تفّاحةٌ من عنــد تفّاحةٍ * جاءتْ فماذا صنعتْ بالفؤادْ

واللهِ ما أدرى أأبصــرتُها * يقظانَ أم أبصرتُها فى الرّقادْ

قال : وكتب بعض العمال إلى صديق له : إنى تصفّحتُ أحوالَ الأتْباع الذين يجب عليهم الهــدايا إلى السّادة فى مثل هــذا اليوم والتأسّى بهم فى الإهداء ، و إن قَصّرتِ الحالُ عن قَدْرك ، فرأيْتُنِى إن أهديتُ نفسى فهى مِلكٌ لك لا حظّ فيها لغيرك ،

(١) الأشــنان : نبات وهو أجناس كثيرة ، وكلها من الحمض ، وتغسل به الثياب وغيرها .

(٢) أشركها : أجعل لهــا شراكا ، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

ورميتُ بطَرْفي الى كرائم مالى فوجدتُ أكثرها منك ، فكنت إن أهديتُ شيئًا منه كالمُهْـدِى مالَكَ إليك ومُنفِق نفقتِك عليك ، وفزِعتُ الى مودّتى وشكرى فوجدتُهما خالصَيْنِ لك قديمين غيرَ مستحدثَيْن ، ورأيتُ إن أنا جعلتُهما هديّتى لم أُجدّد لهـذا اليوم الجديد برًّا ولا لَطَفا . ولم أَقِسْ منزلةً من شكرى بمنزلةٍ من نعمتك إلا كان الشكر مُقصِّرا عن الحق ، وكانت النعمةُ زائدةً على ما تبلُغه الطاقة ، ولم أسلك سبيلا ألتمس بها برًّا أعتـدّ به أو لَطَفا أتوصّل إليه ، إلا وجدتُ رِضاك قد سبقنى اليه . فجعلتُ الاعتراف بالتقصير عن حقّك هديّةً اليك ؛ وقد قلت فى ذلك :

إنْ أُهْدِ نفسى فهى من مِلْكِه * أو أُهـــدِ مالى فهو من ماله

لـما قَدِم معاويةُ المدينةَ مُنصرِفا من مكة ، بعث إلى الحسن والحُسين وعبد الله ابن جعفر وعبدِ الله بن عمر وعبدِ الله بن الزُّبَير وعبد الله بن صَفْوان بن أُميّة بهدايا من كُسًى وطِيبٍ وصِلاتٍ من المال ، ثم قال لرسله : ليحفَظْ كلُّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمع من الردّ . فلما خرج الرسل من عنـده ، قال لمن حضر : إن شئتم أنبأتكم بما يكون من القوم ؛ قالوا : أخبِرْنا يا أمير المؤمنين ؛ قال : أمّا الحسن فلعله يُنيـل نساءَه شيئًا من الطِّيب ويُنْهِب ما بَقِي مَنْ حَضَره ولا ينتظر غائبا . وأما الحســين فيبدأ بأيتامِ من قُتِل مع أبيه بِصِفِّين ، فإن بقِىَ شىء نَحَر به الجُزُر وسَقَى به اللبن . وأما عبـد الله بن جعفر فيقول : يا بُدَيح[1] ! اقْضِ به دَيْنى ، فإن بقى شىء فأنفِذْ به عِدَاتى . وأما عبد الله بن عمر فيبـدأ بفقراء عَدِىّ بن كعبٍ ، فإن بقِىَ شىء آدّخره لنفسه ومانَ به عيالَه . وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولى وهو يسبّح فلا يلتفت إليه ثم يعاوِده الرسولُ فيقول لبعض كُفَاته : خذوا من رسول مُعاوية ما بعث به ، وصَله الله وجَزاه خيرا ، لا يلتفت اليها وهى أعظم فى عينه من أُحُدٍ ، ثم ينصرف الى أهله

(١) بديح : اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر .

فيَعْرِضُها على عينه ويقول: آرفعوا، لعلّي أن أعودَ بها على ابن هند يوما ما .

وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليلٌ من كثير، وما كل رجل من قريش وصل اليه هكذا، رُدّوا عليه؛ فإن رَدّ قَبلناها . فرجع رسلُه من عندهم بنحو مما قال معاوية؛ فقال معاوية : أنا ابنُ هند! أعلم بقريش من قريش .

قال يونس بن عُبَيد : أتيتُ آبنَ سِيرِينَ فدعوتُ الجارية ، فسمعتُه يقول : قولوا له : إني نائم — يريد: سأنام — ؛ فقلت : معي خَبِيص[1]؛ فقال : مكانَك حتى أخرج إليك .

قال رجل لأبي الدَّرْداء : إن فلانا يُقْرِئك السلام؛ فقال : هديّةٌ حسنة ومَحْمَل خفيف .

وبعث رجلٌ الى جارية يقال لها «راح» براحٍ، وكتب اليها :

قل لمن يملك الملو * كَ وإن كان قد مُلِكْ
قد شَرِبناكِ فآشربي * وبعثنا إليكِ بِكْ

أهدى رجل الى عُبيد[2] بن الأخطل شاةً مهزولة ، فكتب اليه عبيد :

وهبتَ لنا يا أخا مِنْقَرٍ * وعِجْلٍ وأكرمَها أوّلَا
عجوزًا أضرَّ بها دهرُها * وأنزلها الذُّلّ دارَ البِلَى

(١) الخبيص : نوع من الحلواء يصنع في الطناجير، وهو أنواع كثيرة ذكرها ووصف كيفية صنعها صاحب كتاب الأطعمة فراجعها في نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٢ ٥ علوم معاشية .

(٢) نسب أبو الفرج هذا الشعر في الأغاني (ج ٣ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب) لبشار بن برد، وروى أنه بعث به الى فتى من بني منقر أمه عجلية، وكان يبعث الى بشار في كل عام بأضحية من الأضاحي التي كان أهل البصرة يسمنونها سنة وأكثر للأضاحي؛ فأمر وكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه فأرسل اليه نعجة عيدلية من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول، فأرسل اليه بشار بهذه الأبيات . وقد وردت هذه القصيدة في الأغاني باختلاف في بعض الأبيات والكلمات عما هنا .

سَــلُوحًا[1] حسِبتُ بأنّ الرِّعاء * سَـــقَوْها الغَرِيقُونَ[2] والحنظلا

وأجدبَ من ثورِ زَرّاعةٍ[3] * أصــاب على جوعه سنبلا

وأزهـــدَ من جِيفةٍ لم تَدَعْ * لها الشمسُ من مَفْصِلٍ مفصلا[4]

فاهـــوتْ يمينى الى جنبهـا * نَخلتُ حراقيفَها[5] جَنْـــدلا

٥ وأهوتْ يَسَـارى لعُرْقوبهـا * نَخلتُ عَرَاقيـــبَها مِغْـــزَلا

فقلت أبيـــع فـلا مَشْـــرَبًا[6] * تُؤدِّى إلىّ ولا مَأْكَلا

أمَ آجعـــلُ من جلدها حَنْبلًا[7] * فأقـــذِرْ بحنبلهـا حنبـــلا

إذا هى مرّت عـــلى مجلسٍ * من العُجْبِ كبّر أو هـــلّلا

رأوْا آيةً خلفـــها سـائقٌ * يَحُثّ وإن هرولتْ هرولا

١٠ فكنتَ أمرتَ بها ضَخْمـــةً * بشحمٍ ولحـــمٍ قد آسْـتُكْمِلا

ولكنّ رَوْحًا عَدا طَـــوْرَه * وما كنتُ أحسب أن يفـعلا

فعَـــضَّ الذى خاننى حاجتى * بإستِ آمّـــه بَظْرَها الأغرَلا[8]

فلولا مكـانُك خَضّـــبتُها * وعلّقتُ فى جِيـــدها جُلْجُلا

بجـاءت لكيما ترى حالَهـا * فتعـــلمَ أنّى بهـا مُبتـــلَى

١٥ سأُلْتِـــكَ لحمًـا لِصبيـانِنـا * فقـــد زِدتَنى فيهـــمُ عَيّـــلَا

فخُـــذْها وأنت بهـا مُحسِـــنٌ * وما زالتَ بى مُحسِناً مُجمِـــلَا

---

(١) سلوح : وصف من السلح ، وهو للطير والبهائم كالتغوط للإنسان ، وقد يستعمل للإنسان تجوّزا

(٢) الغريقون : ترياق للسموم مفتح مسهل . (٣) الزراعة : موضع الزرع كالملاحة لموضع الملح .

(٤) فى الأصل : «من مفصل يفصلا» وهو تحريف . (٥) الحراقيف جمع حرقفة وهى رأس

٢٠ الورك . (٦) كذا فى الأغانى اعتمادا على بعض أصوله الخطية . وفى الأصل : «فلا مشترى»

وهو تحريف . (٧) الحنبل : الفرو . (٨) الأغرل : الذى لم يختن .

وبعث رجل إلى دِعْبِل بأُضحيّة، فكتب إليه :

بعثتَ إلىّ بأُضحيّــــةٍ * وكنتَ حَريًّا بأن تفعلَا
ولكنها خرجتْ غَثّــــةً * كأنك أرعيتَهـا حَرْمَلا[1]
فإن قَبِـــل الله قُرْبانَها * فسبحانَ ربِّك ما أعدلَا

قيل لرجل قَدِم من مكة : كيف أثمان النِّعال بمكة؟ قال : أثمان الجِدَاء[2] بالعراق .

وقال مُسْلم بن الوليد :

جزَى الله من أهدَى الأُتْرُنْجَ[3] تحيةً * ومَنَّ بما يهوى عليــه وعجّلا
أتتنا هدايا منــه أشبهن رِيحَه * وأشبهَ فى الحسن الغزالَ المكحّلَا
ولو أنه أهـــدَى إلىّ وِصالَه * لكان إلى قلبى ألذَّ وأوصـلا

وكتب رجل الى صديق له شَرِب دواءً :

تأنّق فى الهـــديّةِ كلُّ قومٍ * إليــك غداةَ شُرْبِكَ للدواءِ
فلمّـا أنْ هَممتُ به مُدِلًّا * لموضع حُرْمَتى بك والإخاءِ
رأيتُ كثيرَ ما أُهْدِى قليــلًا * لعبدك فاقتصرتُ على الدُّعاءِ

وكتب رجل الى صـــديق له : وجدتُ المودّة منقطِعة ما كانت الحِشْمةُ عليها متسلِّطة، وليس يُزيل سلطانَ الحِشمة إلا المؤانسـةُ، ولا تقع المؤانسـةُ إلا بالبِرّ والملاطفـــةِ .

العيـــــــادة

قال حدّثنا يزيد بن عمـرو قال حدّثنا يزيد بن هارون قال حدّثنـا شَريك عن أبى نُصَيْر عن أنَس بن مالك، قال : عاد رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم رجلا من

(١) الحرمل : حب نبات كالسمسم يمتنع عن الأكلة، ولا يأكله إلا المعزى، وقد يداوى به المحموم.
(٢) الجداء : جمع جدى . (٣) الترنج : ثمر شجر بستانى من جنس الليمون ناعم الورق والحطب .

الأنصار من رَمَدٍ كان بعينه . ومن حديث أبي هُرَيرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : "ثلاثة لا يُعَادُون صاحبُ الدُّمَّل والرمد والضرس" .

وحدّثني القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهانيّ عن إسماعيل بن عيّاش عن أَرْطاةَ بن المُنْذر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانيا .

٥ قال الشَّعْبيّ : عِيادةُ النَّوْكَى أشدّ على المريض من وَجَعه .

شَيْبان عن أبي هَـدِيّة عن أبي هِلَال قال : قال بكر بن عبد الله لقوم عادوه فأطالوا عنده : المريضُ يُعاد، والصحيحُ يُزار .

عاد قومٌ عليلاً فأطالوا عنده، فقال لهم : إن كان لكم في الدار حقٌّ فخذوه وآنصرفوا .

١٠ عاد رجل رَقَبةَ، فنعى رجالًا آعتلّوا مثلَ عِلّته، فقال له رقبة : إذا دخلتَ على مريضٍ فلا تَنْعَ إليه الموتى، وإذا خرجتَ من عندنا فلا تَعُدْ إلينا .

عاد أعرابيّ أعرابيًّا فقال : بأبي أنت! بلغني أنك مريض، فضاق والله عليّ الأمرُ العريض، وأردتُ إتيانَك فلم يكن بي نهوض ؛ فلما حملتني رِجلان، وليستا تحملان ؛ أتيتُك بجُرْزةِ(١) شيح ما مسّها عِرْنِينٌ(٢) قطّ، فآشمُمْها وآذكر نجداً، فهو الشفاء

١٥ بإذن الله .

قال كُثَيّر :

أَلَا تلك عزّةُ قـد أقبلتْ * تقلّبُ للبين طَرْفًا غَضِيضَا

تقـول مَرِضتُ وما عُدْتَنا * فقلتُ لها لا أُطِيق النهوضا

كلانا مَرِيضانِ في بلدةٍ * وكيف يعودُ مريضٌ مريضا

---

٢٠ (١) الجرزة : الحزمة . (٢) العرنين : الأنف .

وقال آخر[1] :

إذا مَرِضْنا أتيناكم نعودكُمُ * وتُذْنبون فنأتيكم فنعتـــذِرُ

وقال بشّار :

لو كانت الفِدْيةُ مقبولةً * لقلتُ بى لا بك حُمّاكا

وكتب آخر الى عليل :

نُبِّئْتُ أنّك معتـــلٌّ فقلتُ لهم * نفسِى الفِداءُ له من كلّ محذورِ

ياليتَ علّتَـــه بى غيرَ أنَّ لـه * أجرَ العليـــلِ وأنّى غيرُ مأجورِ

وكتب آخر الى عليل :

أقولُ بحـــقٍّ واجبٍ لك لازمٍ * وإخلاصِ شكرٍ لا يغيّره الدهرُ

بِيَ السوءُ والمكروهُ لا بك كلّما * أراداك كانا بى وكان لك الأجرُ

وقال آخر فى مثله :

فإنْ تكُ حُمّى الغِبِّ[2] شفّك وِرْدُها[3] * فعُقْباكَ منها أن يطـولَ لك العمرُ

وَقَيناكَ ! لو نُعْطَى المُنَى فيك والهَوَى * لكان بِى الشكوَى وكان لك الأجرُ

وفى الحديث المرفوع "حَصِّنوا أموالكم بالزكاة، وداوُوا مَرْضاكم بالصدقة، وآستَقْبِلوا البلايا بالدعاء" . وفى حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال يومًا لأصحابه : "مَنْ أصبح منكم صائما؟" قال عمر : أنا، قال : "فمن شَيّع جنازةً؟" قال عمر: أنا، قال : "فمن عاد مريضا؟" قال عمر : أنا، قال : "فمن فيكم تصدّق بصدقة؟" قال عمر : أنا، فقال صلى الله عليه وسلم : "وجبتْ وجبتْ وجبتْ" . وفى حديث

(١) هو المؤمل بن أميـل (نهاية الأرب ج ٣ ص ٩٢ طبعة أولى) . (٢) حمى الغب : التى تنوب المريض يوما بعد يوم . (٣) الورد من أسماء الحمى وقيـل : هو يومها الذى تأخذ فيه صاحبها .

آخر : أنه صلى الله عليــه وسلم قال : " إتمامُ عيادتكم المريضَ أن يَضَع أحدكم يده على جَبْهته أو على رأسه أو يدَه فى يده و يسأله كيف هو، وتمـامُ تحياتكم المصافحة" .

وقال الشاعر :

إن كنتُ فى ترك العِيادةِ تاركًا * حَظِّى فإنى فى الدعاءِ لجاهـدُ

٥ فلربمـا ترَك العيادةَ مُشــفِقٌ * وأتى على غِلِّ الضميرِ الحاسدُ

أبو حاتم قال حدّثنا العُتْبىّ عن أبيـه قال : كان يقال : إذا آشـتكى الرجلُ ثم عُوفِى ولم يُحْدِث خيرًا ولم يَكُفّ عن سُـوء، لقيتِ الملائكةُ بعضُها بعضًا وقالت : إن فلانًا داويناه فلم ينفَعْه الدواء .

وقال أبو حاتم حدّثنا القَحْذَمىّ قال : أَطْلع[1] معاويةُ فى بئر بالأَبْواء[2] فأصابتْه لَقْوَة[3]، ١٠ فآعتمّ بعمامةٍ سوداء وسدَلها على الشقّ الذى أُصيب فيه ، ثم أذِن للناس فقال : أيها الناس، إنّ ابن آدم بعَرَض بلاء : إما مُعاتَبٌ ليُعْتِب، وإما مُعاقَب بذنب، أو مبتلًى ليؤجَر، فإن عُوتبتُ فقــد عُوتب الصالحون قبلى، وإنى لأرجو أن أكون منهم؛ وإن عُوقبتُ فقــد عوقب الخطّاءُون قبلى، وما آمن أن أكون منهم؛ وإن مَرِض عضو منّى فما أُحْصِى صحيحى ولمَـا عُوفيتُ أكثر، ولو أن أمرِى الى ما كان لى على ١٥ ربّى أكثرُ ممـا أعطانى . وإنى وإن كنتُ عاتبًا على خاصّ منكم فإنى حَدِب على جماعتكم، أُحبّ صلاحكم . وقد أُصبتُ بمـا ترَوْن، فرحم الله آمرأً دعا لى بعافية ! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء .

---

(١) أطلع : أشرف . (٢) الأبواء : قرية من أعمـال الفرع من المدينة بينها و بين الجحفة ممـا يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، وقيــل : الأبواء : جبل عن يمين آرة و يمين الطريق للصعد الى مكة .

٢٠ (٣) اللقوة (بالفتح) : داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبى العنق .

مَرِض أبو عمرو بن العَلَاء مَرْضةً ، فأتاه أصحابه وأبطأ عنده رجل منهم ، فقال : ما يُبْطِئ بك ؟ قال : أُريد أن أُسَاهِرَك ، قال : أنت مُعافىً وأنا مبتلىً ، فالعافية لا تدعُك تسهَر والمرض لا يدعنى أنام ، فأسألِ اللهَ أن يسوق الى أهل العافية الشكرَ ، والى أهل البلاء الصبرَ والأجر .

حدثنى عبد الرحمن عن الأصمعىّ قال : اشتكى رجل من الأعراب ، فجعل الناسُ يدخلون عليه فيقولون : كيف أصبحت وكيف كنت ؟ فلما أكثروا عليه قال : كما قلتُ لصاحبك .

قال : وقع رجل من أهل المدينة فوَثِئَتْ (١) رِجلاه ، فجعل النـاسُ يدخلون عليه ويسألونه ، فلما أكثروا عليه وأُضْجِر كتب قصّته فى رُقعةٍ ، فكان اذا دخل عليه [عائد] (٢) وسأله دفع اليه الرقعة .

الهَيْثم بن عَدِىّ قال : كان رجل من أهل السَّوَاد مجهودا (٣) لا يَقْصِد فى شىء إلا آنصرف عنه ، فغاب مرّةً فأطال ، فلما قَدِم أتاه الناس فجعلوا يسألونه عن حاله وما كان فيه ، وكان فيه بَرَمٌ ، فأخذ رُقعةً فكتب فيها :

وما زلتُ أقطع عَرْضَ الفلاةِ * من المَشْرِقيْنِ الى المَغْرِبَيْنِ
وأطوِى الفيافِىَ أرضًا فأرضًا * وأستمطر الجَدْىَ والفَرْقَدَيْنِ
وأطوِى وأنشُر ثوبَ الهمومِ * الى أن رجعتُ بخُفَّىْ حُنَيْنِ

(١) وثئت رجله أو يده : أصابها وهن لا يبلغ أن يكون كسرا . (٢) زيادة يقتضيها السياق .
(٣) المجهود : هو الذى نكد عيشه . وفى الأصل « مجدود » بالدال ، والمجدود : المحظوظ ، والسياق يأباه .

فقـيرًا وَقِيرًا[1] أخا عُسْرةٍ * بعيدًا من الخير صِفْرَ اليدينِ
كئيبَ الصّديق بهيجَ العدوّ * طويلَ الشّقا زانيَ الوالدينِ

وطرحها فى مجلسه، فكلّ من سأله عن حاله دفع اليه الرقعة .

قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه أن نَبَطِيًّا وقع من موضع عالٍ، فدخلوا يسألونه :
٥ كيف وقعت ؟ فلما أكثروا عليه أخذ جَرّةً وألقاها من يده وقال : هكذا وقعتُ .

أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أحدبُ فسقط فى بئر فذهبت حَدَبتـه فصار آدر[2]، فدخلوا يسألونه ويهنئونه بذهاب حَدَبتـه، فجعل يقول : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب .

المدائنىّ قال : سقط ابن شُبْرُمة القاضى عن دابّته فوَثِئتْ رِجلُه، فدخل يحيى
١٠ ابن نوفل الحِمْيرىّ عليه فقال :

أقول غداةَ أتانى الخبير * فـدسّ أحاديثَـه الهَيْنَمَهْ[3]
لك الويلُ من مُخْبرٍ ماتقول؟ * أبِنْ لى وعَدِّ عن الجَمْجَمَـهْ[4]
فقال خرجتُ وقاضى القضا * ة مُنْشَـقَلةٌ رِجلُه مُؤلَمَـهْ
فقلت وضاقت علىّ البلاد * وخفتُ المُجَـلّلة المُعظَمَهْ
١٥ فَغَزْوانُ حرٌّ وأمّ الوليـد * إنِ اللهُ عافى أبا شُـبْرُمَهْ
جزاءً لمعـروفه عنـدنا، * وما عِتقُ عبدٍ له أو أمَـهْ ؟

قال : وفى المجلس جار ليحيى بن نوفل يعـرف منزلَه ، فلمـا خرج تبِعه وقال : يا أبا معمر، مَنْ غزوان وأم الوليد ؟ فضحك وقال : أوَ ما تعرفهما؟ هما سِنّوْرانِ فى البيت .

---

٢٠ (١) الوقير : الذليل المهان . (٢) الآدر : المصاب بانتفاخ فى إحدى خصيتيه .
(٣) الهينمة : الصوت الخفىّ . (٤) الجمجمة : عدم الإبانة فى الكلام .

قال حدّثنا الرِّيَاشيّ عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدُّقَيش وهو شاكٍ ، فقلنا له : كيف تجِدُك ؟ قال : أجِدُني أجد ما لا أشتهى وأشتهى ما لا أجِد ، ولقد أصبحتُ في شرّ زمانٍ وشرّ أناسٍ : مَنْ جاد لم يَجِدْ ومن وَجَد لم يَجُد .

قيل : لعمرو بن العاص وقد مَرِض مرةً : كيف تجِدُك؟ قال أجِدني أذوب ولا أثوب ، وأجد نَجْوِى[1] أكثرَ من رُزْئى ، فما بقاءُ الشيخ على هذا ! .

سئل عليلٌ عن حاله فقال : أنا مُبِلٌّ غير مُستقِلّ ، ومتماثِلٌ غير متحامِل .

وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال أجِدُنى لم أرض حياتى لموتى .

وقيل لرجل من العجم : ما حالك ؟ قال : ما حال مَنْ يريد سفرًا طويلًا بلا زادٍ ! ويَنزِل منزِلًا مُوحِشا بلا أنيس ! ويَقْدَم على جبّار قد قدّم العذرَ بلا حجّة ! .

قيل لِعِكْرِمة : كيف حالك ؟ قال : بِشَرٍّ ، أصبحت أجرَبَ مبسورا[2] .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : قيل لشيخ من العُبّاد : كيف أنت ، وكيف أحوالُك ؟ فقال : ما كلُّها كما أشتهى .

قيل لآخر : ما تشتكى ؟ قال : تمامَ العِدّة وانقضاءَ المدّة .

وبلغنى عن مُعاوية بن قُرّة قال : مَرِض أبو الدَّرْداء ، فعاده صديقٌ له فقال : أىَّ شيء تشتكى ؟ قال : ذُنوبى ؛ قال : فأىَّ شيء تشتهى ؟ قال : الجنة ؛ قال : فندعو لك بالطبيب ؟ قال : هو أمرضنى .

سئل رجلٌ عن حاله فقال :

كنا اذا نحن أردنا لم نَجِدْ * حتى اذا نحن وجدنا لم نُرِد

---

(١) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط ، والرزء : ما يناله الانسان من الطعام .

(٢) مبسورا : به داء البواسير .

أَرْجف الناسُ بعلّة معاوية وضعفه، فدخل عليه مَصْقَلة بنُ هُبَيرة، فأخذ معاوية بيده ثم قال: يا مَصْقَل :

أبقى الحـــوادثُ من خليـ * ـــلك مثل جَنْدلة المَــرَاجِمْ

قـد رامنى الأقـــوامُ قبـ * ـــلك فٱمتنعتُ من المظالمْ

٥ فقال مَصْقَلة : أمّا قولُ أمير المؤمنين: «أبقى الحوادث من خليلك»، فقد أبقى الله منك جبلًا راسيًا وكَلَأً مَرْعِيًّا لصديقك وسمًّا ناقعًا لعدوّك . وأماقولك : «قد رامنى الأقوام قبلك»، فمن ذا يَرُومك أو يظلمك! فقد كان الناس مشركين فكان أبو سفيانَ سيّدَهم، وأصبح الناس مسلمين وأصبحتَ أميرَهم؛ فأعطاه معاوية فخرج؛ فسئل عنه فقال : والله لغَمَزنى غمزةً كاد يَكسِر منها يدى وأنتم تزعُمونه مريضا .

١٠ وقال المَدائنىّ: دخل كُثَيِّر عَزّة على عبدالملك بن مروان، فقال : ياأميرالمؤمنين، لولا أنّ سرورك لا يَتِمّ بأن تَسْـلَمَ وأسـقَم لدعوتُ الله أن يَصرِف ما بك إلىّ ، ولكن أسألُ الله لك أيهــا الأمير العــافيةَ ولى فى كَنَفك النعمةَ ؛ فضحك وأمر له بمــال؛ فقال :

ونعودُ سيِّدَنا وسـيِّدَ غيرِنا * ليت التَّشكِّى كان بالعُوّادِ

١٥ لو كان يُقْبَــلُ فِديةٌ لفديتُه * بالمصطفَى من طارِفى وتِلادى

وقال آخر :

لا تَشكُوَنْ دهرًا صَحَحتَ به * إنّ الغِنَى فى صحـــة الجسمِ

هَبْكَ الخليفةَ، كنتَ منتفعًا * بلذاذة الدنيا مع السُّـــقْمِ؟

اعتلّ المِسْوَر فجاءه ابنُ عباس يعوده نصفَ النهار، فقال المسور: يا أبا عباس[1] هلّا ساعةً غيرَ هذه! قال ابن عباس: إنّ أَحَبَّ الساعاتِ إليّ أنْ أُؤَدِّيَ فيها الحقَّ أشقُّها عليّ.

وكتب رجل إلى صديق له: كيف أنت؟ بنفسي أنت! وكيف كنت؟ لازلت! وكيف قوّتُك ونشاطك؟ لا عَدِمتَهما ولا عَدِمْنا هما منك، وأعادك الله الى أحسنِ ما عوّدك! لولا عوائقُ يُوجب العذرَ بها تفضُّلُك لم أدَعْ تعرّفَ خبرك بالعين، فإنها أشفى للقلب وأنقع للغليل وأشدّ تسكينا للاعج الشوق.

وقرأت فصلا فى كتاب[2]: لئن تخلّفتُ عن عيادتك بالعذر الواضح من العلّة لما أغفل قلبي ذكرَك ولا لساني فَحصًا عن خَبَرك فى مُمْساك ومُصْبَحك وتنقل الحال بك تبعث من تقسم جوارحه وصبك وزاد فى ألمها ألمك ومن تتّصل بك أحواله فى السراء والضراء. ولما بلغتنى إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية مخبرًا بالعذر، معفيًا من الجواب إلا بخبر السلامة إرسالا.

وقال عبد بني الحَسْحَاس:

تَجَمَّعْنَ من شَتَّى ثلاثٌ وأربعٌ * وواحدةٌ حتى بلغْنَ ثمانيَا
سُلَيْمى وسَلْمى والرَّبابُ وزينبُ * وهندٌ ودَعْدٌ والمُنَى وقَطامِيَا
وأقبلنَ من بعض الخيام يَعُدْنَني * ألَا إنّ بعضَ العائداتِ دوائيَا

---

(١) أبو العباس: كنية عبد الله ابن العباس. (٢) كذا ورد هذا الفصل بالأصل، ولم نوفق اليه فى مصدر آخر سوى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٤٣) وورد فيه هكذا: «لئن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لساني فحصا عن خبرك يحب أن تقسم جوارحه وصبك وإن زاد فى ألمها ألمك وأن تتصل به أحوالك فى السراء والضراء. ولما بلغتنى إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية معفيا من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله». وظاهر أن رواية العقد أوفق من رواية الأصل غير أن فيها كلمة «يحب» نابية، ولعل أصل العبارة: وكيف بمن يحب الخ أو نحو ذلك.

وقال عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيرىّ :

ما لى مَرِضتُ فلم يَعُدْنى عائد * منكم ويَمرَضُ كلبُكم فأعود

فسُمِّى «عائدَ الكلب»، وولدُه الآن يسمُّون «بنى عائد الكلب» .

التعازى وما يُتَمَثَّل به فيها

٥ حدّثنى محمد بن داود عن غسّان بن الفَضْل قال قال عبد الوهاب الثَّقَفِىّ : أتانى ابن جُرَيج بمكة يُعَزِّينى عن بعض أهلى، فقال : إنه مَنْ لم يَسْلُ أهلَه إيمانًا واحتسابًا سلا كما تسلو البهائم .

كتب إبراهيم بن يحيى الأَسْلمىّ إلى المهدىّ يعزّيه عن ابنته : أما بعد، فإن أحقَّ مَنْ عرَف حقَّ الله فيما أخذ منه من عَظَّم حقَّ الله عليه فيما أبقى له .
١٠ واعلم أنّ الماضى قَبلَكَ هو الباقى بعدك ، وأنّ أجر الصابرين فيما يُصابون به أعظم عليهم من النعمة فيما يُعافَوْن منه .

ونحوه قول سهل بن هارون : التهنئةُ على آجل الثواب ، أولَى من التَّعْزية على عاجلِ المصيبة .

وقال بعض الشعراء :

١٥ كَمْ مِنْ يدٍ لا يُستَقلُّ بشكرها * لله فى ظِلِّ المَكارهِ كامِنهْ

وسقطت مَقاديمُ فم معاوية فشَقّ ذلك عليه، فقال له يزيد بن مَعْمَر السَّلَمىّ : والله يا أمير المؤمنين، ما بلغ أحدٌ سِنَّك إلا أبغض بعضُه بعضًا، فَفُوكَ أهونُ علينا من سمعك وبصرك .

وقال صالح المُرِّىّ لرجلٍ يعزِّيه : إن لم تكن مصيبتُك أحدثت فى نفسك مَوْعِظةً فمصيبتُك بنفسك أعظم . ونحوه : شرٌّ من المَرْزِئةِ سوءُ الخلف عنها . ومثله قول الشاعر :

إن يكن ما به أُصبتَ جليلًا * فلَفَقْدُ العزاء فيه أجلُّ

عَزَّى شَبِيبُ بن شَيْبة المَهْدِىَّ عن بانُوقة،(1) فقال : يا أمير المؤمنين، ما عند الله خير لها مما عندك، وثوابُ الله خيرٌ لك منها .

عزّى رجلٌ عبدَ الله بنَ طاهر عن ابنته فقال : أيها الأمير، ممّ تجزَع ؟

* الموتُ أكرمُ نَزّالٍ على الحُرَمِ *

وقال جرير :

وأهونُ مفقودٍ اذا الموتُ ناله * على المرء مِنْ أصحابه من تَقَنَّعَا

وقال آخر :

ولم أرَ نعمةً شَمِلتْ كريمًا * كنعمة عورةٍ سُتِرت بقبرِ

وعزّى رجل رجلا فقال : لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما يُنسيكَها .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز :

تَعَزَّ أميرَ المؤمنين فإنه * لِمَا قد ترى يُغْذَى الصغيرُ ويولَدُ

هَل ٱبنُك إلّا من سُلالةِ آدمٍ * لكلٍّ على حوض المنيّةِ مَوْرِدُ

عزّى أبو بكر عمرَ رضى الله عنهما عن طفل أُصيب به ، فقال : عوّضك الله منه ما عوّضه منك .

وقال محمودٌ الورّاق :

يمثّل ذو اللبّ فى نفسه * مصائبَه قبل أن تنزِلَا

(1) بانوقة : بنت كانت للمهدىّ .

فإن نزلتْ بغتـــةً لم تَرُعْه * لِمَا كان فى نفسه مثَّلا
رأى الهمَّ يُفْضى الى آخرٍ * فصـــيَّر آخره أوَّلا
وذو الجهـــل يأمَنُ أيامَه * ويَنْسى مصارعَ من قدخلا
فإن بدَهَتْهُ صروفُ الزمانِ * ببعض مصائبـه أَعْوَلا
٥ ولو قـــدَّم الحزمَ فى أمره * لعلَّمه الصبرَ عنـد البَلا

عزَّى موسى بنُ المهدىّ سليمانَ بنَ أبى جعفر عن آبنٍ له ، فقال : أيَسُرُّك وهو بليَّة وفتنة ، ويحْزُنك وهو صلاة و رحمة ! .

وعزَّى رجل موسى بنَ المَهْدِىّ عن آبنٍ له فقال : كان لك من زِينة الحيـاةِ الدنيا ، وهو اليومَ من الباقياتِ الصالحات .

١٠ توفِّى سُهَيل بن عـبد العزيزبن مروان ، فكتب الى عمَرَ بنِ عبد العزيز بعضُ عمّاله وأَطْنب فى كتابه ، فكتب اليه عمر :

حَسْبِى(١) حياةُ الله من كلّ ميّتٍ * وحسبِى بقاءُ الله من كلّ هالك
إذا ما لقِيتُ اللهَ عـنِّىَ راضياً * فإنّ شفاءَ النفس فيما هنـالك

كتب آبنُ السَّمَّاك الى الرشيد يعزِّيه بآبنٍ له(٢) : أما بعدُ ، فإن آستطعتَ أن يكون ١٥ شـكرُك لله حينَ قبَضـه أكثرَ من شكرِك له حينَ وهَبه(٣) ، فإنّه حينَ قبضه أحرَز لك هِبتَه ، ولو سلِم لم تَسْلَم من فِتْنتِه ؛ أرأيتَ حزَنك على ذهابه وتلهُّفَك لفراقه ! أَرضيتَ الدارَ لنفسك فتَرْضَاها لآبنـك ! أمّا هو فقد خلَص من الكدر ، وبقِيتَ أنت معلّقا بالخَطَر . وآعلم أن المصيبةَ مصيبتان إن جزِعْتَ ، وإنمـا هى واحدة إن صبرت ، فلا تَجْمَعِ الأمرين على نفسك .

٢٠ (١) دخله الخرم وهو حذف فاء فعولن . (٢) كذا فى الأصل ولعله «يعزيه عن ابن له» .
(٣) حذف هنا الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام .

كتب عبدُ الله بن طاهر إلى أبي دُلَف : المصائب حالّةٌ لابدّ منها ، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفا بعبده، وآيةُ ذلك أن يوفّقه للصبر ويُلهِمَه الرضا ويَبْسُطَ أملَه فيما عنده من الثواب الآجل والخَلَف العاجل . ومنها ما يكون سُخْطا وانتقاما ، أوّله حُزْن وأوسطُه قُنُوط وآخرُه ندامة ،وهي المصيبةُ حقًّا الجامعةُ لخُسْران الدنيا والآخرة . ولم تَزَلْ عادةُ الله عندك الإخلافَ والإتلاف . وإن يَكُ ما نالك الآن أعظمَ مما أتى عليك في مَوَاضِي الأيام، فالأجرُ المأمولُ على قدر ذلك .

وكتب أبو دُلَف اليه : إن تكن المصيبةُ جلَّتْ ،فإنّ فيما أكرمني الله به مِنْ جَميل رأيِ الأمير وما وضَح للناس من فضل عنايته وآبتدائه[1] إيّايَ بكُتُبه، ما عجّل العِوضَ من المفقود .

وفي كتاب آخر: لئن كانت المصيبة جلّت ، إن فيما أبقى اللهُ ببقاء الأمير عِوضا وافيا وخَلَفا كافيا . وحقيقٌ بمن عظُمت النعمةُ عليه فيما أبقى اللهُ أن يَحْسُن عَزَاؤُه عما أُخِذ منه . وأحقُّ ما صُبِر عليه ما لا يُستطاع دفعُه .

وقرأت في كتابٍ لبعض الكُتّاب في تَعْزِيةٍ : أسأل الله أن يَسُدّ بك ما ثلَمتِ الأيامُ من مكانه، ويعمّر ما أَخْلتْ من مَشَاهِده وأوطانه حتى لا يَعْفُوَ الداثِر، وأن يَسْتقبِلَ لكم أيّامَكم بأحسنِ ما أَمْضاها لمن مضَى منكم ، فيجعلَكم الخَلَف الذي لا وحشةَ معه ولا وحشةَ عليه، ويتولّاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليُّه .

وقرأت في كتابِ تعزيةٍ : لا لومَ على دمعةٍ لا تُملك أن تَسْفَحها، ولا على ألمٍ في القلب لا يُدْفع أن يظهرَ فيك، ولا عذر في سواهما مما أَحْبَط أجرَك وأَشْمت عدوّك وضعّف رأيَك، ولم يرجع إليك فائتا ولا الى شقيقك بمكانه رُوحًا ولا الى من خلّف

(١) في الأصل : « ... وما وضح للناس فإن فضل عنايته وابتدايته إياى ... الخ » .

حفظا . واعلم أن فرقَ ما بين ذى العقل وذى الجهل فى مصيبتيهما تعجُّل العـاقل من الصبر ما يتأجّل الجاهلُ .

وقرأتُ فى كتاب تعزية : لو كانت النوائب مدفوعة عن أحدٍ بكثرة مَنْ يَقيه ذلك من إخوانه ويَفْديه منه بالأخصّ من أعِزّته والأنفس من ماله ، سلِمتَ من مُلِمّها ، وكان سَبْقى الى ذلك أبرزَ سَبْق ، وحظّى بالتقدّم فيه أوفرَ حظّ .

وقرأت فى كتاب : مصيبتُك لى مصيبةٌ ، وما نالك من ألمها لى مُوجِع . ولو كان فى الوُسْع أن أعلم كُنْهَ ما خامر قلبَك من ألمها لحملتُ مثلَه على نفسى ، فإنى أُحبّ أن أكون أُسْوتَك فى كل سارٍّ وغامٍّ ، وألّا أتمتّع بأيام غُمُومِك ، ولا أقصّر فيها عن مقدار حالك .

وقرأت فى كتاب : نسـأل اللهَ حسنَ الاستعدادِ لمـا نتوكّفُه[1] ونتوقّع حلولَه ، وألّا يَشْغَلَنا بمـا يَقِلُّ الانتفاعُ به وتَعْظُمُ التَّبِعةُ فيه عمّا نحتاجُ اليه يومَ تجد كلُّ نفس ما عَمِلت من خيرٍ مُحْضَرا ، وما عَمِلتْ من سُوءٍ تودّ لو أنّ بينَها و بينَـه أمدًا بعيدا ، وأن يجعل ما وهب لنا من الصـبر والعزاء إيمانًا و إيقانا ، ولا يجعلَه ذُهُولًا ونِسْيانا .

قال أسماءُ بنُ خارجة اذا قَدُمتِ المصيبةُ تُرِكت التعزية ، واذا قدُم الإخاء قَبُح الثنـاء .

قيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءَك ! فقالت : إن فَقْدى إياه أمّننى من المصيبةِ بعده . ونحوه قول الشاعر[2] :

وكنتُ عليه أحذَر الموتَ وحدَه * فلم يبـق لى شيء عليـه أُحاذِرُ

---

(١) نتوكفه : نتوقعه . (٢) هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، وهذا البيت من أبيات قالها فى محمد الأمين ، وقبل هذا البيت :

طوى الموت ما بينى و بين محمد * وليس لمـا تطوى المنية ناشر

ومثـــله :

وقد كنتُ أستعفِى الإلهَ اذا اشتكَى * من الأجرِ لى فيه و إن سرَّنى الأجرُ

وقال أبو العَتَاهِيَة :

وكما تَبْـــلى وجوهٌ فى الثَّرَى * فكذا يبـلَى عليهن الحَـزَنْ

وفى الحديث : "مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصبْ منه"[1]. ٥

و يقال : المصيبة المُوجِعة تُدِرّ ذكرَ الله فى قلب المؤمن .

قال الأصمعى : مررتُ بأعرابيّــة وبين يديها فتًى فى السِّياق[2]، ثم رجعتُ ورأيتُ فى يدها قدَح سَوِيق تشربه ، فقلت لهـا : ما فعل الشابّ ؟ فقالت : واريْناه ؛ فقلت : فما هذا السَّوِيق ؟ فقالت :

على كلِّ حالٍ يأ كل القومُ زادَهم * على البؤس والبَـلْوَى وفى الحَدَثانِ ١٠

قيـــل لأعرابىّ : كيف حزنُك اليوم على ولدك؟ فقـــال : ما ترك حبُّ الغَدَاء والعَشَاء لى حزنا .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما الجَزَعُ قبلَ المصيبة ، فإذا وقعتْ فالْهُ عمّا أصابك .

اِشتكى بعضُ أهل محمد بن علىّ بن الحسين فجَزِع عليه ، ثم أُخبِر بموته فسُرِّىَ عنه ؛ فقيل له فى ذلك ، فقـــال : ندعو اللهَ فيما نحبّ ، فإذا وقع مانكره لم نخالف الله فيما أَحَبّ . ١٥

لمـــا مات عُتْبة بن مسعود قال عبد الله : إذا ما قضَى اللهُ فيه ماقضى فما أُحبُّ أنّى دعوتُه فأجابنى .

---

(١) يصب منه : يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها . (٢) السياق : نزع الروح كأن روحه تساق لتخرج من بدنه .

قال رجل من طيّئ :

فلولا الأُسَى[1] ما عِشْتُ فى الناس ساعةً * ولكن إذا ما شئتُ أسعدنى مثـــلى

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسْلُ آصطبارًا وحِسْبةً * سلوتَ على الأيام مثلَ البهائم

٥ عزّى محمدُ بن الوليد بن عُتْبة الوليدَ بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ليَشْغَلْكَ ما أقبل من الموت اليك ، عمن هو فى شُغُل مما[2] دخل عليك ، وأَعِدْ لنزوله عُدّة تكون لك حجابا من الجزَع وسِترًا من النـار . فقال يا محمد ، أرجو ألا تكون رأيتَ غفْلة تُنَبّه عليهـا ولا جزعًا يُستتَر منه ، وما توفيقى إلا بالله . فقال محمد : يا أمير المؤمنين ، إنه لو آستغنى أحدٌ عن مَوْعظةٍ بفضلٍ لكُنْتَه ، ولكنّ اللهَ يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فإنَّ

١٠ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال الطائىّ :

ويفـــرَح بالشىء المُعَــارِ بقــاؤه * ويحــزن لمّـا صـار وهو له ذُخْرُ

عليك بثوب الصبر إذ فيه مابسٌ * فإنّ آبنَك المحمودَ بعد آبنِك الصبرُ

وقال أيضا :

١٥ أَمالِكُ إنّ الحـــزنَ أحلامُ نائمٍ * ومهما يَدُمْ فالوجدُ ليس بدائم

تأمّلْ رُوَيْدًا هل تَعُدّنّ سالمًـا * الى آدمٍ أم هل تَعُدُّ آبنَ سالم

وقال آخر :

اِصبِرْ لكلّ مصيبةٍ وتجــلَّدِ * وآعلم بأن الدهر غيرُ مخــلَّدِ

(١) الأسى : جمع أسوة (بالضم و يكسر) وهى ما يتعزى به الحزين . (٢) كذا فى الأصل

٢٠ ولعله : « عما » .

أوَما ترى أنّ الحوادثَ جمّةٌ * وترى المنيةَ للعباد بمَرْصَدِ
وإذا أتتك مصيبةٌ تَشْجَى بها * فاذكر مُصابَك بالنبيّ محمدِ

عزّى رجل الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين، كان لك الأجرُ لا بك، وكان العزاءُ منك لا عنك .

يعزّى أهلُ نجرانَ بعضُهم بعضًا بهذا الكلام : لا يُحْزِنْكم الله ولا يَفْتِنْكم، أثابكم الله ثوابَ المتّقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة .

عزّى بعضُ الزُّبَيْرِيّين رجلا فقال : لا يَصْفَرْ (١) رَبْعُك، ولا يُوحِشْ بيتُك، ولا يَضِعْ أجرُك، رحِم الله متوفّاك، وأحسن الخلافةَ عليك .

قال بعض الشعراء :

أسُكّانَ بطنِ الأرض لو يُقْبَلِ الفِدَى * فَدَيْنا وأعطينا بكم ساكنَ الظهرِ
فياليت مَنْ فيها عليها وليت مَنْ * عليها ثوى فيها مقيمًا الى الحَشْرِ
وقاسمني دهري بَنِيَّ بشَطْرِه * فلما توفّى شطرَه مال فى شَطْرِى
فصاروا ديونا للمنايا ومن يكن * عليه لها دين قضاه على عُسْرِ
كأنّهمُ لم يعرِفِ الموتُ غيرَهم * فثُكْلٌ على ثُكْلٍ وقبرٌ على قبرِ
وقد كنتُ حيَّ الخوفِ قبلَ وفاتِهم * فلما تُوفُّوا مات خوفى من الدهرِ
فللّه ما أعطَى ولله ما جزَى * وليس لأيام الرزيّة كالصبرِ
فحَسْبُك منهم مُوحِشًا فقدُ بِرّهم * وحَسْبُك منهم مُسْلِيًا طلبُ الأجرِ

عزّى شَبيبُ بن شَيْبة رجلا من اليهود فقال : أعطاك الله على مُصيبتك أفضل ما أعطى أحدًا من أهل مِلّتك .

(١) لا يصفر : لا يخلو .

وقال العُتْبِيّ :

ما عالج الحزنَ والحرارةَ فى الـ * أحشاءِ مَنْ لم يَمُتْ له ولدُ
فُجعتُ بآبىٍّ ليس بينهما * إلا ليالٍ ليستْ لها عددُ
وكلُّ حزنٍ يَبْلَى على قِدمِ الدَّهرِ وحُزنى يُجدِّده الأبدُ

٥ وقال أيضا :

ألا يزجرُ الدهرُ عنا المَنُونا * يُبَقِّى البناتِ ويُفنى البنينا
وأنحى علىّ بلا رحمةٍ * فلم يُبْقِ لى فى جُفونى جفونا
وكنتُ أبا سبعةٍ كالبدورِ * أُفَقِّى بهم أعينَ الحاسدينا
فمرّوا على حادثاتِ الزمان * كَمَرِّ الدراهيم بالناقدينا
١٠ فأفنتْهُمُ واحدًا واحدًا * الى أنْ أبادتهمُ أجمعينا
وألْقَيْنَ ذاك الى ضارِحٍ (١) * وألْقَيْنَ هذا الى دافنينا
وما زال ذلك دَأْبَ الزما * ن يُفْنِى الأوائلَ فالأولينا
وحتّى بكى لىَ حُسّادُهم * فقد أقرحُوا بالدموع الجفونا
وحَسْبُك من حادثٍ بامرئٍ * تَرَى حاسديه له راحمينا
١٥ وكانوا على ظهرها أنجمًا * فأضحَوْا الى بطنها يُنْقَلونا
فمن كان يُسْلِيه مَرُّ السنين * فحُزْنى يجدّده لِى السنونا
ومما يسكّن وجدى بهم * بأن المَنُون ستلْقَى المنونا

كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عزّى رجلا قال : ليس مع العزاء مصيبةٌ ولا مع الجزع فائدة؛ الموت أهون مما قبله وأشدُّ مما بعده؛ اذكروا فقدَ رسول الله صلى الله
٢٠ عليه وسلم تَصْغُرْ مصيبتُكم؛ وعظَّم الله أجرَكم .

(١) الضارح : وصف من ضرح للميت اذا حفر له .

وكان علي رضي الله عنه إذا عزّى رجلا يقول : إن تجزعْ فأهلُ ذلك الرَّحِمُ، وإن تصبرْ ففي الله عِوَضٌ من كل فائت؛ وصلى الله على محمد، وعظّم الله أجركم .

وقال أعرابيّ :

أيُغسَل رأسي أو تَطيبُ مَشارِبي * ووجهُك معفورٌ وأنت سَليبُ
نَسيبُك من أمسى يُناجيك طرفُه * وليس لمن وارَى التراابُ نَسيبُ
وإني لأستحيي أخي وهو ميّتٌ * كما كنتُ أستحييه وهو قريبُ

وقال أعرابيّ :

وما نحن إلا مثلُهم غيرَ أننا * أقمنا قليلًا بعدهم وتقدّموا

وقال آخر :

وقد كنتُ أستعفي الإله إذا اشتكى * من الأجرِ لي فيه وإن سرَّني الأجرُ
وأجزَع أن ينأى به بَيْنُ ليلةٍ * فكيف ببَيْنٍ صار ميعادَه الحشرُ

وقال آخر :

وإنّا وإخوانًا لنا قد تتابعوا * لكالمغتدِي والرائح المتهجِّرِ

وقال سليمان الأعجميّ

ربّ مغروسٍ يُعاش به * عَدِمتْه كفُّ مغترِسهْ
وكذاك الدهر مأتمُه * أقربُ الأشياءِ من عُرُسهْ

وتمثّل معاويةُ بن أبي سفيان يوما فقال :

إذا سار مَنْ خلفَ امرئٍ وأمامَه * وأَوحش من جيرانه فهو سائرُ

وقال آخر :

وإذا قيل مات يومًا فلانٌ ... راعنا ذاك ساعةً ما نُحيرُ
نذكُرُ الموتَ عند ذاك وننسا ... ه اذا غيّبتْه عنا القبورْ

وقال آخر :

٥ نُرَاع من الجنائز قابلتْنا * ونلهو حين تخفَى ذاهباتِ
كرَوْعة ثَلَّةٍ[1] لمُغَارِ سبع * فلما غاب ظلّت راتعاتِ

وقال أبو نواس :

سبقونا الى الرَّحيـ * ـلِ وإنّا لبالاثَرْ

وكتب رجل الى بعض الأمراء فى تعزية : الأمير أذكرُ لله من أن يُذكَّر به ،
١٠ وأعلمُ بما قضاه على خلقه من أن يُدَلَّ عليه ، وأسلكُ لسبيل الراشدين فى التسليم لأمره والصبر على قدَرِه والتنجُّز لوعده ، من أن يُنَبَّه من ذلك على حظّه ، أو أن يحتاج معزّيه عند حادثِ المصيبة الى أكثرَ من الدعاء فى قضاء حقّه . فزاده الله توفيقًا الى توفيقه ، وأحضره رشدَه ، وسدّد للصواب غرضَه ، وتولّاه بالحُسْنى فى جميع أموره ، إنه سميعٌ قريب . وقد كان من حادث قضاء الله فى المتوفَّى ما أنْقضَ[2] وأرْمض ، وفجع وأوْجع ،
١٥ علما بما دخل على الأمير من النقص ، وعلى سروره من اللوعة ، وعلى أُنسه من الوحشة ، الى ما خصّنى منه بماسِّ الرَّحِم وأوشَجِ القَرَابة . فأعْظم اللهُ للأمير الأجر ، وأجْزل له الذُّخر ، وعصَمه باليقين ، وأنجز له ما وعد الصابرين ؛ ورحِم المتوفَّى ولقّاه الأمنَ والرَّوْحَ ، وفسح له فى المَضْجَع ، وجمعه[3] وإيّاه بعد العمر الطويل فى الدار التى لا خوفٌ عليهم فيها ولا هم يحزنونَ .

---

٢٠ (١) الثلة (بالفتح) : جماعة الغنم الكثيرة ، والثلة (بالضم) جماعة الناس . (٢) أنقض : أثقل وأرمض : أوجع . (٣) فى الأصل : «وجمع له وإياه» .

وفى كتاب : نحن نحمدُ الله أيها الأمير إذ أخذ[1] على ما أبقى منك، وإذ[1] سلب على ما وهب بك؛ فأنت العوضُ من كل فائت، والجابرُ لكلّ مصيبة، والمؤنسُ من وحشة كلّ فقد؛ وحقٌّ لمن كنت له وليًا وعضدًا أن يشغله حمدُ الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

وكتب سعيد بن حُميد الى محمد بن عبد الله : ليس المعزّى على سلوك السبيل التى سلكها الناسُ قبله والمُضِىّ على السنّة التى سنّها صالحو السلف له ؛ وقد بلغنى ما حدث من قضاء الله فى أمّ الأمير، فنالنى من ألم الرّزيّة وفاجع المصيبة ما ينال خدمه الذين يخصّهم ما خصّه من النعم، ويتصرفون معه فيما تناوله اللهُ به من المحَن . فأعظم الله للأمير الأجر، وأجزل له المثوبة والذخر، ولا أراه فى نعمةٍ عنده نقصا، ووفّقه عند النعم للشكر الموجب للمزيد، وعند المحَن للصبر المحرز للثواب، إنه هو الكريم الوهاب . ورحم الله الماضية رحمةَ مَنْ رضِىَ سعيَه وجازاه بأحسن عمله . ولو كانت السبيل الى الشخوص الى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجلّ الأميرَ عن أن يعزّيه مثلى بالرسول دون اللقاء، وبالكتّاب دون الشّفاه، ولكن الكتاب لقاءُ مَنْ لا سبيل له الى الحركة، وقبول العذر عمّن حيل بينه وبين الواجب .

ولابن مكرم : ومما حرّكنى للكتّاب تعزيتُك بمن[2] لا ترميك الأيامُ بمثل الحادث فيه، ولا تعتاض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل اليك والصبر على مكروه جفائك، مع ما كان اللهُ أعاره من قوّة العقل وأصالة الرأى، ومدّ له من عِنانه الى قُصْوَى الغايات، فإنا لله وإنا اليه راجعون على ما أفاتتْنا الأيامُ منه حين تمّ واستوى، وغالَى فى المروءة وتناهى، وعند الله يُحتسب المصاب به، وعظّم الله لك فيه الأجر، ومهّل لك فى العمر،

(١) فى الأصل : «إذا» . (٢) لعله «عمن» .

وأجزل لك العوض والذُّخر، فكلّ ماضٍ من أهلك فأنت سِدادُ ثُلْمته وجابر رزيّته، وقد خلّف من أنت أحقُّ الناس به من عجوزٍ وليتْ تربيتك وحياطتك فى طبقات سِنّك، وولَدٍ رُبُّوا فى حِجْرك ونبَتوا بين يديك، ليس لهم بعد الله مرجع سواك، ولا مَقيل إلا فى ذَرَاك؛ فأَنْشُدك اللهَ فيهم فإنه أَخْرب أحوالهم بعِمارة مروءته، وقطَعهم بصِلة فضله، والله يَجْزيه بجميل أثره ويُخْلِفه فيهم بما هو أهله.

وفى فصل من كتاب: وقد جرى قضاءُ الله فى هذه النازلة ما[(1)] نطق عمّا نالك وأبقَى عندك، وهو حقٌّ مِثلها وقَدْرُ مُلِمّها.

وفى فصل آخر: لو كان ما يَمَسُّك من أذى يُشترى أو يُفتدى، رجوتُ أن أكون غيرَ باخلٍ بما تَضَنُّ به النفوس، وأن أكون سِترًا بينك وبين كل مُلِمٍّ ومحذور. فأَعْظم الله أجرك، وأَجْزل ذُخْرك، ولا خذَل صبرك ولا فتَنك، ولا جعل للشيطان حظًّا فيك ولا سبيلا عليك.

المدائنى قال: قدم رجل من عَبْس، ضَريرٌ محطوم الوجه، على الوليد، فسأله عن سبب ضُرّه، فقال: بِتُّ ليلةً فى بطن وادٍ ولا أعلم على الأرض عبسيًّا يزيد مالُه على مالى، فطرقنا سيلٌ فأذهب ما كان لى من أهلٍ ومالٍ وولدٍ إلا صبيًّا رضيعا وبعيرا صعبًا، فندَّ[(2)] البعيرُ والصبيُّ معى فوضعتُه وٱتّبعتُ البعيرَ لأحبسه، فما جاوزتُ إلّا ورأسُ الذئب فى بطنه قد أكله، فتركتُه وٱتّبعْتُ البعيرَ فٱستدار فرمَحنى رَمْحةً حطَم بها وجهى وأذهب عينى؛ فأصبحت لا ذا مالٍ ولا ذا ولد. فقال الوليد: ٱذهبوا به إلى عُرْوة ليعلمَ أن فى الناس من هو أعظم بلاءً منه؛ وكان عروة بن الزّبير أُصيب بٱبنٍ له وأصابه الداء الخبيث فى إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول: كانوا أربعة ــ

(1) لعله: «بما». (2) ندّ البعير: شرد.

يعنى بنيه — فأبقيتَ ثلاثة وأخذتَ واحدا، وكُنَّ أربعا — يعنى يديه ورجليه — فأخذتَ واحدة وأبقيتَ ثلاثًا[1]، أحمَدُك، لئن كنتَ أخذت لقد أبقيت، ولئن كنتَ أبقيت لقد عافَيتَ. وشخَص الى المدينة فأتاه الناس يَبْكون ويتوجّعون، فقال: إن كنتم تَعِدُّونَنِي للسِّباق والصِّراع فقد أَوْدَى، وإن كنتم تَعِدُّونِنِي للّسان والجاه فقد أبقى الله خيرا كثيرا.

وقال علىّ بن الجَهْم:

مَنْ سبَق السَّلوةَ بالصبرِ * فاز بفضل الحمد والأجرِ
يا عَجَبًا من هَلِعٍ جازِعٍ * يُصبح بين الذمّ والوِزْرِ
مصيبةُ الإنسان فى دِينِه * أعظمُ من جائحة الدهرِ

وقال بعضُ الشعراء[2]:

ليتَ شعرى ضَلَّةً * أىُّ شىءٍ قتَلَكْ
والمنايا رَصَدٌ * للفتى حيث سلَكْ
كلُّ شىء قاتلٌ * حين تلقَى أجلَكْ
ليت نفسى قُدِّمتْ * للمنايا بَدَلَكْ
أىُّ شىءٍ حَسَنٍ * للفتى لم يَكُ لكْ

وقال آخر:

غُرَّ آمرؤٌ مَنَّتْه نفـ * ـسُ أن تدومَ له السلامَهْ
هيهاتَ! أعيا الأوليـ * ـن دواءُ دائك يادِعامه

(١) فى الأصل: «ثلاثة» باثبات التاء.

(٢) كذا بالأصل. وفى شرح أشعار الحماسة (ص ٤١٤ طبعة أوروبا) أن هذه الأبيات لأم تأبط شرّا، ويقال لأم السليك بن السلكة، وأوّلها:

طاف يبغى نجوة * من هلاك فهلك

ورجح التبريزى فى نهاية الأبيات أنها لأم السليك وذكر لهذا خبرا.

وقالت صفيّة الباهليّة فى أختها :

كنّا كغصنين فى جُرْثومةٍ[1] سَمَوَا * حِينًا بأحسنِ ما تسمُو له الشجرُ

حتّى إذا قيل قد طالتْ فروعُهما * وطاب قِنْواهما[2] وٱستُنْظِرَ الثمرُ

أخنى على واحدى ريبُ الزمانِ ولا * يُبقِى الزمانُ على شىءٍ ولا يَذَرُ

٥ كنّا كأنجمِ ليلٍ وَسْطَنا قمرٌ * يجلو الدُّجى فهوَى من بيننا القمرُ

ومن هذا أخذ الطائىّ قوله :

كأنّ بنى نَبْهانَ يومَ وفاته * نجومُ سماءٍ خرّ من بينها البدرُ

وقال آخر :

لكلّ أُناسٍ مَقْبرٌ[3] بِفنائهم * فهم ينقُصون والقبورُ تَزِيدُ

١٠ وما إن يزالُ رسمُ دارٍ قد ٱخلقتْ * وبيتٌ لميْتٍ بالفِناء جديدُ

هُمُ جيرةُ الأحياءِ أمّا جِوارُهم * فدانٍ وأمّا الملتقَى فبعيدُ

وقال آخر :

لا يُبْعِد اللهُ أقوامًا لنا ذهبُوا * أفناهمُ حَدَثانُ الدهرِ والأبدُ

نَمُدُّهم كلَّ يومٍ من بقيّتنا * ولا يَؤوبُ الينا منهمُ أحدُ

١٥ وقال النابغة :

حَسْبُ الخليلَينِ أنّ الأرضَ بينهما * هذا عليها وهذا تحتها بالِي

وقال آخر :

وقد كنتُ أرجُو أن أُمَلَّاكَ[4] حِقْبةً * فحال قضاءُ الله دون رجائيَا

ألا لِيَمُتْ مَنْ شاءَ بعدَك إنما * عليك من الأقدارِ كان حِذَارِيَا

٢٠ (١) جرثومة الشىء : أصله . (٢) القنو : العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .
(٣) المقبر : موضع القبور . (٤) أملاك : أمتع بك ، يقال : ملاك الله حبيبك أى متعك به وأعاشك معه طويلا .

وقال آخر :

لَعَمْرُك ما وارَى الترابُ فِعالَهُ * ولكنه وارَى ثيابا وأعظُما

فَضالةُ بن شَريك[1] :

رمى الحِدْثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ * بفادحةٍ سَمَدْنَ[2] لها سُمُودا

فردّ شعورَهنّ السودَ بِيضًا * وردّ وجوهَهن البيضَ سُودا

وقال آخر :

أمّا القبورُ فإنّهنّ أوانِسٌ * بجوارِ قبرِك والديارُ قبورُ

عمّتْ مصيبتُه فعمّ هلاكُه * فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ

ردّتْ صنائعُه عليه حياتَه[3] * فكأنه من نَشْرِها منشورُ

منصور النَّمَرِىّ :

فإنْ يَكُ أفنتْه الليالِى فأوشكتْ * فإنّ له ذِكْرًا سيُفْنِى اللياليَا

وقال طُفَيْلٌ يذكر الموت :

مَضَوْا سَلَفًا قصدُ السبيل عليهمُ * وصَرْفُ المنايا بالرجال تَقَلَّبُ

وقال هشام أخو ذى الرُّمّة :

تعزَّيتُ عن أوفَى بغَيْلانَ بعده * عزاءً وجفنُ العينِ مَلآنُ مُتْرَعُ

ولم تُنْسِنِى أوفَى المصيباتُ بعدَه * ولكنّ نَكْءَ[4] القَرْحِ بالقرحِ أوجعُ

(١) نسب هذا الشعر فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٥ طبعة دار الكتب) للكميت بن معروف الأسدى. ونسب فى شرح أشعار الحماسة (ص ٤٢٧ طبعة أوروبا) وشرح القاموس مادة سمد لعبد الله بن الزبير الأسدى.
(٢) السمود: الغفلة وذهاب القلب ومنه قوله تعالى: (وأنتم سامدون) أوهو تغير الوجه من الحزن كأنه أصابها السماد. وقيل معناه رفعن رءوسهن يحزن.
(٣) كذا فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٧٨ طبع دار الكتب المصرية) وهو الذى يستقيم به معنى الشعر. وفى الأصل: «إلى».
(٤) النكء: مصدر نكأ القرحة اذا قشرها قبل أن تبرأ فنديت.

وفى فصل من كتاب لبعض الكتّاب : لست أحتاج مع علمك بما فى الصبر عند نازل المصيبة من الفضيلة، وما فى الشكر عن[1] حادث النعمة من الحظ، الى أكثر من الدعاء فى قضاء الحقّين، ولا إلى إخبارك عمّا أنا عليه من الارتماض[2] لضرّائك والجذل بسرائك، لمعرفتك بشركتى لك واتّصال حالك بى فى الأمرين .

التـــــــهانى

حدّثنى زيد بن أخزم[3] قال حدّثنا أبو قُتَيبة قال حدّثنا ميمون [قال] حدّثنا أبو عبد الله النّاجى قال : كنت عند الحسن، فقال رجل : ليَهْنِئك الفارس، فقال : لعله يكون بغّالا[4]، ولكن قل : شكرتَ الواهبَ، وبُورك لك فى الموهوب، وبلغ أشُدَّه، ورُزِقتَ بِرَّه .

قال مُجَاهد : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا دعا لمتزوّج قال : "على اليُمْن والسعادة والطير الصالح والرزق الواسع والمودّة عند الرحمن" .

قال أبو الأسود لرجل يهنّئه بتزويج : باليمن والبركة، وشدّة الحركة، والظفر فى المعركة .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَنْهَى أن يقال : « بالرِّفاء والبنين » .

وكان يقال : إن أوّل مَنْ هنّأ وعزّى فى مَقام واحد عَطاءُ بن أبى صَيْفىّ الثَّقَفىّ، عَزّى يزيدَ بنَ مُعَاوية بأبيه وهنّأه بالخلافة، ففتح للناس بابَ الكلام، فقال : أصبحتَ رُزِئتَ خليفةً وأُعطيتَ خلافةَ الله . قضى معاويةُ نحبَه، فغفر الله ذنبَه، ووَلِيتَ الرياسة، وكنتَ أحقّ بالسياسة، فآحتسبْ عند الله أعظمَ الرزيّة، وآشكر الله على أعظم العطيّة . وعَظّم اللهُ فى أمير المؤمنين أجرَك، وأحسنَ على الخلافة عَوْنَك .

وقالت أعرابيّة للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العبّاس : أعظم الله أجرَك فى أخيك، لا مصيبةَ على الأمة أعظمُ من مصيبتك، ولا عِوَضَ لها أعظمُ من خلافتك .

(١) لعله : « عند » . (٢) الارتماض : الحزن . (٣) أخزم بمعجمتين .
(٤) البغال : راكب البغال، والبغال تعجز عن شأو الأفراس .

قال الحجّاج لأيّوبَ بن القِرِّيّة: اخطُبْ علىّ هندَ بنتَ أسماء، ولا تزِدْ على ثلاث كلمات. فأتاهم فقال: أتيتُكم من عند مَنْ تعلمون، والأميرُ مُعطيكم ما تسألون، أفتنكحون أم تردّون[1]؟ قالوا: بل أنكحنا وأنعمنا. فرجع آبنُ القِرِّيّة الى الحجّاج فقال: أقرّ الله عينك، وجمع شملَك، وأنبت رَيْعَك، على الثبات والنبات، والغنى حتى الممات، جعلها الله وَدُودا وَلُودا، وجمع بينكما على البركة والخير.

كتب بعضُ الكتّاب إلى رجل يهنئه بدار انتقل إليها: بخير مُنتَقَلٍ، وعلى أيمنِ طائر، ولأحسنِ إبّان، أنزلك الله عاجلًا وآجلًا خيرَ منازلِ المُفلحين.

وقال آبن الرّقاع لمتزوّج:

قمرُ السماء وشمسُها آجتمعا * بالسَّعدِ ما غابا وما طَلَعا

ما وارتِ الأستارُ مثلَهما * فيمن رأيناه ومَنْ سَمِعا

دام السّرور له بها ولها * وتهنّآ طولَ الحياةِ معا

وكتب رجل الى صديق له يهنئه بالدخول على أهله: قد بلغنى ما هيّأ الله لك من آجتماع الشَّمْل، بضمِّ الأهل؛ فشركتُك فى النعمة، وكنتُ أُسوتَك فى السرور، وشاهدتُك بقلبى، ومثّلتُ ما أنت فيه لعينى، فحللتُ بذلك محلَّ المُعاين للحال وزينتها، فهنيئًا هنّأك الله ما قسم لك، وبالرِّفاء والبنين، وعلى طول التعمير والسنين.

وكتب آخرُ من الكتّاب الى عامل: نحن من السرور، بما قد آستفاض من جميل أثرك فيما تَلِي من أعمالك، وخَطْمك وزَمّك إيّاها بحَزْمك وعَزْمك، وآنتياشك أهلَها من جور مَنْ وليهم قبلَك، وسرورِهم بتطاوُل أيامك والكونِ فى ظلِّ جناحك، فى غايةِ مَنْ تخصّه وتعُمّه نِعَمُك، وتجُولُ به الحال حيث جالت بك. فالحمد لله الذى جعل العاقبةَ لك، ولم يردُدْ علينا آمالَنا منكوسةً فيك، كما ردّها على غيرنا فى غيرك. وهنيئًا هنّأك الله نعمَه خاصَّها وعامَّها، وأوزعك شكرَها، وأوجب لك بالشكر أحسن المزيد فيها.

[1] فى الأصل: «أو تردون» والمقام هنا يقتضى «أم» المتصلة.

وكتب رجلٌ من الكتّاب إلى نَصْرانىّ قد أسلم يهنئه : الحمــدُ لله الذى أرشدَ أمرَك ، وخصّ بالتوفيق عزمَك ، وأوضح فضيلةَ عقلك ، ورَجاحةَ رأيك ، فما كانت الآدابُ التى حويتَها ، والمعرفةُ التى أوتيتَها ، لتدوم بك على غَوايةٍ وديانةٍ شائنةٍ لا تليق بلُبّك ، ولا يبرح ذَوُو الحجا من موجبى حقك يُنكرون إبطاءك عن حظّك وتركَك البِدارَ الى الدّين القيِّم الذى لا يقبَـل الله غيرَه ولا يُثيب إلا به ، فقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، وقال : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ . والحمد لله الذى جعلك فى سابق علمه ممن هَدَاه لدينه ، وجعله من أهل وِلَايته ، وشرّفه بوَلَاء خليفته . وهنأك الله نعمتَه ، وأعانك على شكره ؛ فقد أصبحتَ لنـا أخًا ندين بمودّته ومُوالاته بعد التأثّم من خُلْطتك ومخالفةِ الحقّ بمشايعتك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أو إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ .

وكتب رجلٌ من الكتّاب تهنئةً بحجٍّ : الحمدُ لله على تمـام مُهاجَرِكَ ، وسلامةِ بَدْأَتك ورَجْعتك ، وإعظامه المِنّةَ بأوْبتك ؛ وشكر الله سعيَك ، وبرّ حجّك ، وتقبل نُسكك ؛ وجعلك ممن قلبه مُفلحا مُنجِحا ، قد رَبِحتْ صفقتُه ، ولم تَبُرْ تجارتُه ، ولا أعدمَك نيّةً تفضُلُ عملَك ، وتوفيقًا يَحُوط دِينَك ، وشكرا يرتبط نعمتك ؛ فهنأكم اللهالنعمةَ ، وجمعكم فى دار الخلافة ، وجعلكم ساسةَ الائمة والمتقدّمين عند الإمام — أيده الله بالطاعة والنصيحة — فإنّكم زَيْنُ السلطان ، وعُمْدةُ الإخوان ، وأضدادُ أكثرِ أهلِ الزمان .

وكتب الى رجلٍ عن صديق له يهنّئه بفطام مولود : أنا — أعزّك الله — لما حمّانى الله من أياديك ، وأودعنى من إحسانك ، وألزمنى من شكرك ، آخذ نفسى بمراعاة أمورك ، وتفقُّد أحوالك ، وتعرُّف كلّ ما يُحدثه الله عندك ، لأقابلَه بما يَلْزمنى ، وأقضى

الحقّ فيه عنّى بمَبْلَغ الْوُسع ومقدارِ الطاقة، وإن كانا لا يبلُغان واجبَك، ولا يستقِلّان بثقل عارفتك . وكلّ ما نقّل الله الفتى [و]بلّغه من أحوال البلوغ ورقّاه فيه من درجات النموّ، فنعمةٌ من الله حادثةٌ تُلزِم الشكرَ، وحقٌّ يجب قضاؤه بالتهنئة. وكتب الىّ وكيلى المقيمُ ببابك بذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفِطام، وصَلاح جسمه عند الطعام، وسَلْوتهِ عن أوّل الغذاء، وسرورِك ومَنْ يليك بما وهب الله فى هذه الحال من عافيته وحسنِ المدافعة عنه؛ فأكثرتُ لله الحمدَ، وأسهبتُ فى الدعاء والرغبة، وتصدّقت عنه بما أرجو أن يتقبّله؛ وكتبت مهنئا بتجدّد النعمة عندكم فيه . فالحمدُ لله المتطوِّل علينا قِبلَه بما هو أهله، والمُجْرى لنا فيما يُوليك على حسن عادته . وهَنَأك الله النعم، وصانها عندك من الغِيَر، وحرَسها بالشكر، وبلَغ بالفتى أقصى مبالغ الشرف، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العِيان واليقين، بمنّه وفضله .

وكتب بعض الكُتّاب تهنئةً بحجٍّ الى صاحبه : الحقُّ للسادة عند ما يجدّده اللهُ لهم من نعمه فى الدعاء، من جلائل حقوقهم على أوليائهم. وقد خصّ اللهُ حقَّك بما لا يَسَعُنى معه ٱدّخارُ مجهودٍ فى تعظيمه وشكره . ولولا أنّ الطاعة من حدوده، لم أنتظر إذنَك لى فى تلقّيك راجلًا بالأَوْبة، إذ كان الكِتابُ بها دون السعى بأبلغ نصيبٍ من التقصير. وأنا أسأل الله الذى أوفدك الى بيته الحرام، وعَمَر بك مَشاهِدَه العِظَام، وأوردك حَرَمَه سالمًا، وأصدرك عنه غانمًا، ومنّ بك على أوليائك وخدمك، أن يَهْنِئَك بما أنعم به عليك فى بَدْأتك ورَجْعتك، بتقبُّل السعى ونُجْح الطَّلِبة وتعريف الإجابة .

وكتب بعض الكُتّاب تهنئةً بولاية : فإنه ليس من نعمةٍ يجدّدها الله عندك، والصنعُ الجميلُ تُحدثه لك الأيّام، إلّا كان ٱرتياحى له وٱستبشارى به وٱعتدادى بما يَهَب الله لك من ذلك، حَسَبَ حقّك الذى توجبه، وبِرّك الذى أشكره، وإخائك

الذى يعزّ ويَجلّ عندى موقعُه ، جعل الله ذلك فيه وله ، ووصَله بتقواه وطاعته .
وبلغنى خبرُ الولاية التى وَلِيتَها ، فكنتُ شريكك فى السرور وعديلَك فى الارتياح ،
فسألت الله أن يُعرِّفك يُمْنَها وبركتَها ، ويرزُقك خيرَها وعادتَها ، ويُحسنَ معونتَك على
صالح نِيّتك فى الإحسان إلى أهل عملك والتألّف لهم ، واستعمال العدل فيهم ،
ويرزقَك محبتهم وطاعتهم ، ويجعلهم خير رعيّة .

وكتب رجلٌ الى معزول : إن أكثر الخير(١) فيما يقع بكُرْه العباد ، لقول الله عزّ وجلّ :
﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ . وقال
أيضا : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . وعندك بحمد الله من
المعرفة بتصاريف الأمور ، والاستدلالِ بما كان منها على مايكون ، مَغْنًى عن الإكثار
فى القول . وقد بلغنى انصرافُك عن العمل على الحال التى انصرفتَ عليها من رضا رعيّتك
ومحبّتهم وحسنِ ثنائهم وقولهم ، لِمَا(٢) بقّيتَ من الأثر الجميل عند صغيرهم وكبيرهم ،
وخلّفتَ من عَدْلك وحسنِ سيرتك فى الدانى منهم والقاصى من بلدهم ؛ فكانت
نعمةُ الله عليك فى ذلك وعلينا ، نعمةً جلّ قدرُها ووجب شكرُها . فالحمدُ لله على
ما أعطاك ، ومَنَح فيك أولياءك وأرغم به أعداءك ، ومكّن لك من الحال عند مَنْ
ولّاك ؛ فقد أصبحنا نعتدّ صَرْفَك عن عملك مِنَحًا(٣) مجدَّدا ، يجب به تهنئتُك ، كما يجب
التوجّعُ لغيرك .

وكتب رجلٌ من الكتّاب فى تهنئةٍ بحجّ : لولا أنّ عوائقَ أشغالٍ يوجبُ العذرَ
بها تفضُّلُك ويَبْسُطه احتمالُك ، لكنتُ مكانَ كتابى هذا مهنّئًا لك بالأَوْبة ، ومجدِّدًا

(١) فى الأصل : «الخيار» . (٢) فى الأصل : «ما بقيت» . (٣) بالأصل : «منعا»
بالعين المهملة .

بك عهدًا، ومُحييًا نفسى بالنظر اليك. وأنا أسأل اللهَ أن يشكُر سعيَك، ويتقبَّلَ حجَّك، ويُثبِت فى عِلّيين أثرَك، ولا يجعله من الوِفادةِ اليه آخرَ عهدِك .

وكتب بعض الكتّاب : لا مُهَنِّئَ أولى ما يكون مهنّئا، تعظيمًا لنِعَمِه فيما جدّد الله لك يامولاى بالولاية، منّى؛ إذ كنتُ أرجو بها انضمامَ نَشْرى، وتَلافِيَ الله بعنايتك المتشتّتَ من أمرى. فهنّأك الله تجدُّدَ النعم، وبارك لك فى الوِلاية، وافتتحها لك بالصُّنع الجميل، وختمها لك بالسلامة، إنه سميع قريب . ٥

باب شِرار الإخوان

ذكر خالدَ بنَ صَفْوان[1] شَبِيبُ بن شيبة فقال : ذاك رجلٌ ليس له صديقٌ فى السرّ ولا عدوٌّ فى العلانيَة .

وقال الشاعر : ١٠

وإنّ من الخُلّان مَنْ تَشْحَطُ النَّوَى * به وهو داعٍ للوِصالِ أمينُ
ومنهم صديقُ العينِ أمّا لِقاؤُهُ * فحُلْوٌ وأمّا غَيْبُه فظَنُونُ[2]

أقبل عُيَينة بن حِصْن الى المدينة قبل إسلامه، فلقيه ركبٌ خارجون منها؛ فقال: أخبرونى عن هذا الرجل (يعنى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم)، فقالوا : الناسُ فيه ثلاثةُ رجال : رجل أسلم فهو معه يقاتل قريشًا وأفْناء العرب[3]، ورجل لم يُسلم فهو يقاتله، ورجل يُظهِر الإسلامَ إذا لقى أصحابَه ويُظهِر لقريش أنه معهم ١٥ اذا لقيهم؛ فقال : ما يسمَّى هؤلاء؟ قالوا : المنافقون؛ قال : فاشهدوا أنّى منهم، فما فيمن وصفتم أحزمُ من هؤلاء .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٨) : «وسئل شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان فقال : ذاك رجل الخ»، وهى تزيد الضبط الذى أثبتناه . (٢) ظنون : لا يوثق به . ٢٠
(٣) أفناء العرب : أخلاطهم النزاعون من هاهنا وهاهنا ولا يُدرى من أىّ القبائل هم .

وكان رجل يدعو فيقول: اللّهم ٱكْفِنى بوائقَ الثِّقاتِ، وٱحفظْنى من الصّديق.

وكتب رجلٌ على باب داره: جَزَى الله مَنْ لا يعرفنا ولا نَعرِفه خيراً، فأمّا أصدقاؤنا فلا جُزُوا ذلك، فإنّا لم نؤتَ قطّ إلا منهم.

وكتب إبراهيم بن العبّاس الى محمد بن عبد الملك الزّيات:

وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ * فلما نَبَا صِرتَ حرباً عَوَانَا
وقد كنتُ أشكو اليك الزمانَ * فأصبحتُ فيك أذُمُّ الزمانا
وكنت أُعِــدُّك للنائبـات * فهأنا أطلبُ منـك الأمانا

وقال محمد بن مهدىّ:

كانَ صديقِى وكانَ خالصتِى * أيّامَ نجرِى مَجَارِىَ السُّـوَقِ
حتى اذا راحَ والملوكَ معــا * عَدّ ٱطّراحى من صالحِ الخُلُقِ
خَلّيتُ ثوب الفِراقِ فى يده * وقلتُ هذا الوداعُ فانطلِقِ
لَبِستُه لِبْسَةَ الجديدِ على الـ * ـفَقْرِ وفارقتُ فُرْقــةَ الحَـلَقِ

وقال آخر:

إذا رأيتَ ٱمرأً فى حال عُسْرتِهِ * مُواصِــلاً لك ما فى وُدّه خَلَلُ
فلا تَمَنَّ له أنْ يستفيدَ غِنًى * فإنه بٱنتــقال الحالِ ينتــقلُ

وكتب رجلٌ الى صديق أعرض عنــه: لولا أنّى أشفقتُ من أشتات ظنى [فى] إجابتك إلى ما يعلم الله براءتى منه فيك ولك لمعجبك ولكفيتك مُؤنتى[(١)]، ثقةً بأنّ ٱزديادك من معرفة الناس ســتردّك الىّ؛ فان رجعتَ قَبِلتُ وتمسّكتُ وٱغتبطتُ، وإن أصررتَ لم أتبَــعْ مُوَلِّياً، ولم آسَ على مُدْبِرٍ، ولم أسامح نفسى على تعلُّقها بك،

(١) كذا بالأصل ولم نوفق الى هذا الكتاب فى مصدر آخر بعد طول البحث عنه فى مظانّه.

ولم أساعِدْها على نزاعها اليك . فكم من زمانٍ تركتُك فيه وسَوْمَك ثم أبى قلبي ذلك ، فكررتُ وعطفتُ أسّى على أيّامى معــك وما تَوَكَّد بيني و بينــك . وما من كَرَّةٍ لى اليك إلا وهى داعيةٌ إلى ما أكرَهُه من آستخفافك ونُفورك . ولو فهمتَ ما آستحققتُ به عليك ما أشكوه لخَفَّ تَحَمُّـلُ(1) ما يكون منك علىّ ولا حمدت فى عتابك ورضاك .

٥ وفى جواب كتابٍ : وقـد وزَعنى ما ضربتَه لى من الأمثال فى كتابك عن آستبطائك . على أنى لا أستزيد إلا من أحتاج الى صَلاحه وأرغب فى بقيّته، وقد قيــل :

يأبَيْنَ إلا جفــوةً وظلمَا * من كثرة الوصل تجنِّى(2) الحُرَمَا

وفى كل ما أجبتنى ظلمت فى معارضتى عن مَسْخى جوابَك بإيحاشى ، وفى اعتدادك

١٠ علىّ بما أنت جانيه وعليك الحجة فيه . وما أُنكر الخلافَ بين الأب وآبنه والأخ وشقيقه اذا وقعت المعاملة ، ولذلك سبب لا أعرفه بنى و بينــك قطّ ، فإنى لم أُخالفْــك ولم أشاجِحْكَ ولم أنازعكَ ولم أعارض نَعَمَكَ بِلَا ولا أمرَك بنهى .

وقال الحسن بن وَهْب :

سأُكرِمُ نفسى عنك حَسْبَ إهانتى * لهـا فيك إذ قرّت وكفّ نِزَاعُها

١٥ هى النّفسُ ما كَلّفتُها قطُّ خُطّــةً * من الأمر إلا قلّ منــه امتناعُها

صدَقت لعمرى أنتَ أكبرُ همِّها * فأَجهَــدُها إذ قلّ منــك آنتفاعُها

هَبْ آنّىَ أعمى فاتتِ الشمسُ طَرْفَه * وغُيِّبَ عنــه نورُها وشُــعاعُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رأيتُ فُضَــيلًا كان شيئًا مُلفَّقًا * فكشّــفه التمحيصُ حتى بَدَا لِيَــا

٢٠ (1) كذا بالأصل (2) أصله تتجنى حذفت إحدى تاءيه .

فأنت أخى ما لم تكن لى حاجةٌ * فإن عرضتْ أيقنتُ أنْ لا أخا ليَا
فلا زاد ما بينى و بينك بعـــد ما * بلوتُك فى الحـاجات إلا تمـاديَا
فلستَ براءٍ عيبَ ذى الوُدّ كلَّه * ولا بعضَ ما فيه إذا كنتَ راضيا
فعين الرضـا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ * ولكنّ عينَ السُّخط تُبدى المَساوِيا
٥ كِلانا غَنِيٌّ عن أخيه حيـاتَه * ونحن إذا مُتْنا أشـــدُّ تغانِيـا

وكتب أيضا الى بعض إخوانه : أما بعدُ، فقد عاقنى الشكّ فيك عن عزيمة الرأى فى أمرك؛ ابتـدأتنى بلطف عن غير خِبرة(١)، ثم أعقبتنى جفاءً من غير ذنب؛ فأطمعنى أوّلُك فى إخائك، وآيسنى آخرُك من وفائك؛ فلا أنا فى غير الرجاء مُجْمِعٌ لك آطّراحا، ولا أنا فى غدٍ وآنتظارِه منك على ثقة؛ فسبحانَ مَنْ لو شاء كشَف بإيضاح
١٠ الرأيِ فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك، فأقمنا على آئتلاف، أو آفترقنا على اختلاف .

وكتب رجلٌ الى صـديقٍ له : نحن نسـتكثرك بآعتزالك ، ونسـتديم صلتك بجفائك، ونرى الزيادة فى الغمِّ(٢) أدوَمَ لجميل رأيك . ومثلُه قول كُثَيِّر :

وإنْ شَحَطتْ يوما بكيتُ وإن دَنَتْ * تدلّلتُ وآســـتكثرتُها بآعتزالهـا

ونحوه قولُ الكُمَيْت :

١٥ وقد يخـذُلُ المولى دُعائى ويجتدِى * أذاتى وإن يَعدِلْ به الضيمُ أغضَبِ
فأُونِس من بعضِ الصـديق ملالةَ الدُّنُوّ — فأ ستبقيهـــمُ — بالتجنُّبِ

وقال آخر :

إنك ما أعـــلمُ ذو مَـــلّةٍ * يُذهلك الأدْنَى عن الأقدمِ

(١) كذا فى المحاسن والمساوى للبيهقى والمحاسن والأضداد للجاحظ . وفى الأصل : «ابتدأتنى بلطف
٢٠ عن غير حرمة» . (٢) كذا فى الأصل ولعله : « ونرى الزيادة فى الغب أدوم الخ » .

وقال عبد الرحمن بن حسّان :

لا خيرَ فى الودّ ممن لا تزال له * مستشعراً أبدًا من خِيفةٍ وَجَلا
اذا تغيّب لم تَبرحْ تُسيء به * ظنًّا وتسأل عمّا قال أو فعلا

وقال مُرّة بن مَحْكان :

ترى بيننا خُلُقًا ظاهراً * وصدراً عدوًّا ووجهاً طليقا ٥

ونحوه قول المرّار :

كَذِبٌ تخرّصه علىّ لقومه * سَلْمُ اللسانِ محارِبُ الإسرار

وحدّثنى أبو حَمْزةَ الأنصارىّ قال : حدّثنا العُتْبِىّ قال : قالت أعرابية لابنها : يا بنىّ ، إياك وصُحبةَ مَن مودّته بِشْرُه فإنه بمنزلة الريح .

وكان يقال : الإخوان ثلاثة : أخٌ يُخْلِص لك وُدَّه ، ويبلُغ فى محبتك جهدَه ، ١٠ وأخٌ ذو نيّة يقتصر بك على حُسْن نيّته ، دون رِفْده ومَعُونته . وأخ يَلْهوِقُ لك لسانه (١) ، و يتشاغل عنك بشانِه ، ويُوسِعك من كذبِه وأَيْمانِه .

وقال المُثَقّب العَبْدىّ :

فإمّا أن تكونَ أخى بصدقٍ * فأعرِفَ منك غَثّى من سَمِينى
وإلا فاجْتنبْنى واتّخِذْنى * عدوًّا أتّقيك وتتّقينى ١٥

وقال أَوْس بن حَجَر :

وليس أخوك الدائمُ العهد بالذى * يسوءك إن ولّى ويُرضيك مُقْبِلا
ولكن أخوك النائى ما دمتَ آمنا * وصاحبُك الأدنى إذا الأمرُ أَعْضلا

(١) كذا فى الأصل ولعله : «بلسانه» والالهوقة والتلهوق : أن يبدى الانسان غير ما فى طبيعته و يتزين بما ليس فيه من خلق ومروءة وكرم . ٢٠

وقال آخر :

لَعَمْـــرُكَ ما وُدُّ اللسان بنـــافعٍ * إذا لم يكن أصلُ المودّة فى القلب

وقال أبو حارِثة المَدَنىّ : ليس لِملولٍ صديقٌ، ولا لحسودٍ غِنًى، والنظرُ فى العواقب تلقيح العقول .

قال العباس بن الأحنف :

أشكو الذين أذاقونى مودّتهم * حتى اذا أيْقظونى فى الهوى رقدُوا

وٱستنهضونى فلمّا قمتُ مُنتَهِضًا * بِثِقْلِ[1] ما حمّلونى فى الهـوى قعَدُوا

ونحوه قول المجنون :

وأَدْنَيتِنى حـــتى إذا ما سَبَيْتِنى * بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ[2] سَهْلَ الأباطح

تجافيتِ عنّى حينَ لا لِىَ حِيـلةٌ[3] * وخلَّفتِ ما خلَّفتِ بين الجوانح

وقال آخر :

ولا خـــير فى وُدٍّ إذا لم يكن له * على طول مَرّ الحادثات بقـــاءُ

وأنشد ٱبنُ الأعرابىّ :

لحا الله مَن لا ينفع الودُّ عنـــده * ومَن حبـــلُه إن مُدّ غيرُ متين

ومن هو إن يُحدِثْ له الغيرُ نظرةً * يُقطِّعْ بها أسبابَ كلِّ قرين

(١) فى الأصل : « لثقل » باللام وليس هذا مقامها ، ورواية الديوان :

واستنهضونى فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملوا من ودّهم قعدوا

(٢) العصم : جمع أعصم ، والأعصم من الظباء والوعول : ما فى ذراعيه أو فى أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . (٣) نسب القالى فى أماليه (ج ٢ ص ٢٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) هذين البيتين لكثير ، وقد نسبهما أبو الفرج فى الأغانى (ج ٢ ص ٩٠ طبعة دار الكتب) للمجنون .

ويقال : صاحب السوء جذوةٌ من النار .

وقال علىّ عليه السلام : " لا تؤاخ الفاجر فإنه يزيّن لك فعله ويحبّ لو أنك مثلُه ويزيّن لك أسوأ خِصاله ، ومَدْخَلُه عليك ومَخْرَجُه من عندك شَيْن وعار . ولا الأحمقَ فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرُّك ، فسكوتُه خيرٌ من نطقه ، وبعدُه خير من قُرْبه ، وموته خير من حياته . ولا الكذّابَ فإنه لا ينفعك معه عيش ، يَنقُل حديثَك وينقل الحديثَ إليك حتى إنه ليحدِّث بالصدق فما يُصدَّق " .

قال أبو قَبِيل : أُسِرتُ ببلاد الروم فأَصبتُ على ركن من أركانها :

ولا تَصْحَبْ أخا الجهل * وإيّاك وإيّـــاهُ
فكم من جاهـــل أَرْدَى * حليماً حين آخاهُ
يُقـاسُ المرءُ بالمـــرء * إذا ما هـــو مَاشَاهُ
وللشيء عـــلى الشيء * مقـاييسٌ وأشـــباهُ
وللقلب عـــلى القلب * دليلٌ حينَ يلقـاهُ

وقال عَدِىّ بن زيد :

عن المرء لا تسألْ وأَبْصِرْ قرينَه[1] * فإنّ القرينَ بالمُقارن مقتـــدِى

وأنشد الرِّياشىّ :

إن كنتَ لا تَصْحَبُ إلا فتًى * مثـــلَك لم تُؤتَ بأمثـالِكا

---

(١) ورد هذا البيت فى حماسة البحترى (ص ٣٠٧ طبعة أوروبا) بلفظ : « وسل عن قرينه » وكتب بهامشه : « خ : وأبصر قرينه » إشارة الى نسخة أخرى . وورد فى ديوان طرفة بن العبد (ص ١٥٣ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م) ضمن الأبيات المنسوبة اليه والراجح أنه لعدىّ بن زيد ، من داليته المشهورة ، وهى من مجمهرات أشعار العرب التى ذكرها أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى فى كتابه « جمهرة أشعار العرب » (ص ١٠٢ طبعة بولاق) ومطلعها :

أتعرف رسم الدار من أمّ معبد * نعم ورماك الشوق قبل التجلد

إنّ لك الفضـــلَ على صُحْبتى * والمسكُ قد يَسْتَصْحِب الرَّامِكَا[1]

هَبْنِى آمرأً جئتُ أُريد الهدى * بخُــذْ على ضَعْفى بإسلامكا

وكتب يحيى بن خالد : أُحبّ أن تكونَ على يقين أنّى بك ضَنين ، أُريدك ما أردتنى ، وأُريدك أن تتوبَ عنّى ما كان ذلك بى وبك جميلا يَحْسُن عند إخواننا ، وإن وقعت المقــادير بخلاف ذلك لم أعْدُ ما يجب . والذى هاجنى على الكتّاب أنّ أبا نوح معروفَ بن راشد سألنى أن أبوح له بمــا عندى ، والله يعلم أنّى ما تبدّلت وما حُلْتُ عن عهد ، بجمعنا الله وإيّاك على طاعته ومحبّة خليفته .

وقرأتُ فى كتاب للهند : ثِقْ بذى العقل والكرم وآطمئنّ إليه ؛ وواصل العاقل غيرَ ذى الكرم ، وآحترس من سيّئ أخلاقه وآنتفــع بعقله ؛ وواصــل الكريم غير ذى العقل[2] وآنتفع بكرمه وآنفعه بعقلك ؛ وآهرُب من اللئيم الأحمق .

وقال حمّاد عَجْرَد :

كَمْ من أخٍ لك لستَ تُنْكِرُه * ما دمتَ من دنياك فى يُسْر

مُتَصَــنِّع لك فى مَــوَدّته * يَلْقــاك بالتّرحيب والبِشْر

يُطْرِى[3] آلوفاءَ وذا آلوفاء ويَلْ * حَى الغَدْر مجتهِدا وذا الغدر

فإذا عدا ، والدهرُ ذو غِيَر ، * دهرٌ عليك عَدَا مع الدهر

فارفُضْ بإجمــالٍ أُخُوّةَ[4] مَنْ * يَقْلِى المُقِلّ ويَعْشَق المُثْرِى

وعليــك مَنْ حالاه واحدةٌ * فى العُسر إمّا كنتَ واليسر

لا تَخْلِطَنّهـــمُ بغـــيرهم * من يَخْلِط العِقْيانَ بالصُّفْر[5] !

(١) الرامك : شىء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٢) فى الأصل : «العاقل» وهو تحريف . (٣) كذا فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) . وفى الأصل : «يطوى» وهو تحريف . (٤) فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) : «مودّة» . (٥) الصفر : النحاس الأصفر .

وقال سُوَيْدُ بن الصامت[1] :

أَلَا رُبَّ مَن تدعُو صديقا ولو تَرَى * مَقالَتَه بالغَيْبِ ساءَكَ ما يَفْرِى

مَقالتُه كالشَّحْمِ ما كانَ شاهِدا * وبالغيبِ مأثورٌ[2] على ثُغْرةِ النَّحْرِ

تُبِينُ لك العَيْنانِ ما هو كاتِمٌ * من الضِّغْنِ والشَّحْناء بالنَّظَرِ الشَّزْرِ[3]

فَرِشْنِي بخيرٍ طالَما قد بَرَيْتَنِي * وخيرُ الموالى من يَرِيشُ ولا يَبْرِى

وقال آخر :

وصاحبٍ كانَ لى وكنتُ له * أَشْفَقَ من والدٍ على وَلَدِ

كُنّا كساقٍ تَسْعى بها قَدَمٌ * أو كَذِراعٍ نِيطتْ الى عَضُدِ

حتى اذا دانتِ[4] الحوادثُ من * خَطْوِى وحلّ الزمانُ من عُقَدِى

احْوَلّ عنّى وكان ينظرُ من * عَيْنى ويَرْمِى بساعِدِى ويَدِى

وكان لى مُؤنِسا وكنتُ له * ليست بنا وَحْشةٌ الى أحدِ

حتى إذا آسترفَدَتْ يدى يَدَه * كنتُ كمسترفِدٍ يَدَ الأسدِ

وقال بعض الأعراب :

إخوانُ هذا الزمان كلُّهمُ * إخوانُ غَدْرٍ عليه قد جُبِلوا

طَوَوْا ثيابَ الوفاء بينهمُ * وصار ثوبُ الرِّياء يُبْتَذَلُ[5]

أخوهمُ المستحِقُّ وَصْلَهمُ * مَن شربوا عنده ومَن أكلوا

وليس فيما عَلِمْتُ بينهمُ * وبين مَن كان مُعْدِما عَمَلُ

---

(١) ذكر اللسان فى مادّة «نشر» هذه الأبيات مع أبيات أخرى من القصيدة ونسبها لعمير بن حباب .

(٢) كذا فى اللسان ، والمأثور : الذى يؤثر عنه شرّ وتهمة ؛ وفى الأصل : «مأمون» وهو تحريف ؛ وثغرة النحر : نقرته ؛ يريد أنه يطعنه فى غيبته .

(٣) كذا ورد هذا الشطر فى اللسان . وفى الأصل ورد هكذا : * ولا جن بالبغضاء والنظر الشزر *

(٤) دانت : قاربت .

(٥) يبتذل : يلبس كثيرا ؛ ومنه البذلة والمبذلة من الثياب : ما يلبس ويمتهن ولا يصان .

قال رجل لآخر : بلغنى عنك أمرٌ قبيح ، فقال : يا هذا ، إن صُحْبة الأشرار ربما أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار .

وقال دِعْبِل :

أبا مُسْلِم كنّا حَلِيفَىْ مودّة * هَوَانَا وقلبانا جميعا معًا معًا
أحوطُك بالوُدّ الذى لا تَحُوطُنى * وأرأبُ منك الشَّعبَ أن يتصدّعا
فلا تَلْحَنِّى لم أجد فيك حِيلةً * تَخَرَّقتَ حتى لم أجد فيك مَرْقَعا
فهَبْك يمينى آستأكلتْ فآحتسبتُها * وجشّمتُ قلبى قطعها فتخشّعا

وقال يزيد بن الحَكَم الثَّقَفى :

تُكَاشِرُنى كُرْهًا كأنّك ناصحٌ * وعينُك تُبْدى أنّ قلبَك لى دوِى
لِسانُك مَاذِىٌّ وقلبُك عَلْقَمٌ * وشرُّك مبسوطٌ وخيرُك مُنْطَوِى
عدُوُّك يَخْشَى صَوْلَتى إن لَقِيتُه * وأنت عدوّى ليس ذاك بمستوِى
أراكَ إذا لم أهوَ أمرًا هوِيتَه * ولستَ لما أهوَى من الأمر بالهَوِى

(١) كذا بالأصل . وفى الأغانى (ج ١٨ ص ١٤٧) : « أبا مخلد » . (٢) كذا بالأصل ولم نجد هـذه الصيغة فى كتب اللغة الا بمعنى استأكل الشىء طلب منه أن يأكله ، والمستأكلة : الذين يأخذون أموال الضعفاء كاليتامى و يعيشون عليها ، والظاهر أن المراد هنا فى الشعر تأكّل يده ، والصيغة الدالة على هذا المعنى فى كتب اللغة هى ائتكل وتأكّل . (٣) فى الأغانى طبع بولاق ج ١٨ ص ٤٧ : «فقطعتها» . (٤) فى الأغانى : * وجشمت قلبى صبرة فتشجعا *
(٥) تكاشرنى : تضاحكنى من قولهم : كشر عن أسنانه اذا كشف عنها . (٦) دوٍ : مُضطغِنٌ .
(٧) المـاذىّ : العسل الأبيض . (٨) كذا فى الأمالى ج ١ ص ٦٨ طبع دار الكتب ورواية البيت فيه :

لسانك ماذىّ وغيبك علقم * وشرّك مبسوط وخيرك منطوى

(٩) وفى الأصل : «ملتوى» : روى هذا البيت فى حماسة البحترى :

تـــودّ عـــدوّى ثم تزعم أننى * صديقك ليس الفعل منك بمستوى

أراكَ اجْتَوَيْتَ الخيرَ منّي وأجْتَوِي * أذاكَ فكُلٌّ يجْتَوِي قُرْبَ مُجْتَوِي[1]

وكم مَوْطِنٍ لَوْلايَ[2] طِحْتَ كما هَوَى * بأجرامِهِ من قُلَّةِ[3] النِّيقِ مُنْهَوِي

ويقال : إيّاكَ ومَن مَوَدّتُه على قَدْرِ حاجتِه فعند ذَهابِ الحاجة ذَهابُ المودّة .

وقال الحكيم : ثلاثة لا يُعْرَفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يُعرَف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا في الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه . ٥

قال جرير :

فأنت أخي ما لم تكن لِيَ حاجةٌ * فإن عَرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخا ليا[4]

تَعَرّضتُ فاسْتَمْرَرْتَ من دون حاجتي * فحالَكَ إني مستمرٌّ لحاليا

وإنّي لَمَغْرورٌ أُعلَّل بالمُنَى * لياليَ أرجو أنّ مالكَ ماليا

بأيّ نِجادٍ[5] تحمِلُ السيفَ بعدما * نزعتَ سِنانا من قناتِكَ ماضيا ١٠

ألا لا تخافا نَبْوَتِي في مُلِمّةٍ * وخافا المنايا أن تفوتَكُما بيا[6]

(١) المجتوى : الكاره . (٢) كذا في أمالي القالي . وفي الأصل : «لولاك» .

(٣) القلة : أعلى الجبل ، والنيق : أرفع موضع فيه . (٤) روى هذا البيت في النقائض ص ١٧٧ طبع أوروبا :

فأنت أبي ما لم تكن لي حاجة * فإن عرضت فإنني لا أبا ليا ١٥

وهو من قصيدة طويلة مذكورة في النقائض بين جرير والفرزدق مطلعها :

ألا حيّ رهبي ثم حيّ المطاليا * فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا

وقد ذكر المؤلف هذا البيت فيما تقدّم من هذا الجزء ص ٧٥ لعبيد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما ذكر في كثير من كتب الأدب مثل الكامل للمبرد والعقد الفريد وزهر الآداب ضمن شعر مطلعه :

رأيت فضيلا كان شيئا ملففا * فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا ٢٠

(٥) النجاد : حمائل السيف ، وقد ورد هذا الشعر في الأغاني (ج ٧ ص ٥٢) والنقائض (ص ١٧٧) هكذا :

بأي نجاد تحمل السيف بعدما * قطعت القوى من محمل كان باقيا

بأيّ سنان تطعن القوم بعدما * نزعت سنانا من قناتك ماضيا

(٦) يقول : لا تخافا أن أنبو عنكما إن ألمّت بكما ملمة ما عشت وخافا ذلك منّي اذا مت (راجع كتاب النقائض ص ١٧٨) . ٢٥

وقال أبو العَتَاهِيَة :

أنتَ ما آستغنيتَ عن صا * حبِـك الدّهرَ أخُـــوهُ
فإذا آحتجتَ إليـــه * ساعـةً مَجّـــكَ فُـــوهُ

وقال آخر :

٥ مَوَالينـا إذا آفتقَروا إلينـا * وإن أثْرَوْا فليس لنا مَوَالي

والعرب تقول فيمن شَرِكَك فى النِّعْمة وخَذَلَك عند النائبة : يَرِبِض[1] بحُجْرة[2] و يرتع وَسَطًـا .

قال المـدائنيّ : لحن الحجاجُ يوما ، فقال الناس : لحن الأميرُ ، فأخبره بعضُ مَن حضر ، فتمثّل بشعر قَعْنَب بن أمّ صاحب :

١٠ صُمٌّ إذا سَمِعـوا خيرا ذُكِرْتُ به * وإن ذُكِرت بسُوء عندهم أذِنوا[3]
فَطَانَةٌ فَطَنوها او تكونـــ لهم * مروءة أو تُقًى لله ما فَطَنُـــوا
إنْ يسمعوا سَيّئا طاروا به فَرَحًا * منّى وما سمعوا من صالح دَفَنُـوا

باب القرابات والولد

حدّثنى زَيْد بن أَخْزَم قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا إسحاق بن سَعيد القُرَشى

١٥ من ولد سعيد بن العاص قال أخبرنى أبي قال : كنتُ عند آبن عبّاس ، فأتاه رجل فَمتّ إليه بِرَحِم بعيدةٍ ، فَلاَنَ له وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اِعرِفُوا أنسابكم تَصِلوا أرحامكم فإنه لا قُرْبَ بالرَّحِم اذا قُطِعَتْ و إن كانت قريبةً ولا بُعْدَ بها إذا وُصِلَتْ و إن كانت بعيدةً" .

---

(١) فى الأصل : «تربص» بالتاء والصاد المهملة وهو تحريف . (٢) الجرة : الناحية .
٢٠ (٣) أذنوا : استمعوا .

حدّثنى شَبَابة قال حدّثنى القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عَيّاش عن عبد الله ابن دينار قال : احذروا ثلاثا ، فإنهنّ معلّقات بالعرش : النعمةَ تقول يا ربّ كُفِرتُ ، والأمانةُ تقول يا ربّ أُكِلتُ ، والرَّحِمُ تقول يا ربّ قُطِعتُ .

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يونس قال قال مُحارِب بن دِثار : إنما سُمُّوا أبرارا لأنهم بَرُّوا الآباء والأبناء ، وكما أنّ لوالدك عليك حقّاً ، فكذلك لولدك عليك حقٌّ .

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوىّ عن عبدالله بن يزيد عن حَيْوَة بن شُرَيح عن الوليد ابن أبى الوليد عن عبدالله بن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أَبَرُّ البِرِّ أن يَصِلَ الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيه" .

حدّثنى القُومَسِىّ قال حدّثنا إسماعيل بن أبى أُوَيْس قال حدّثنا كَثِيربن زيد عن أبيه عن جدّه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "ابنُ أُختِ القومِ من أنفُسِهم ومَوْلى القوم من أنفسهم وحَلِيفُ القومِ من أنفسهم"[1] .

وحدّثنى أيضا عن خالد بن مَخْلَد عن سليمان بن بِلَال عن عبدالله بن دِينار عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : "الرَّحِمُ شُجْنَةٌ[2] من الرحمن قال لها مَنْ وصَلكِ وصَلتُهُ ومَن قطعكِ قطعتُهُ" .

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن حبيب عن ابن سِيرِين قال قال عثمان : كان عمر يمنع أَقرِباءه ٱبتغاء وجه الله ، وأنا أُعطِى قَرَاباتى لوجه الله ، ولن يُرى مثلُ عمرَ .

(١) ورد فى الجامع الصغير : « منهم » بدل « من أنفسهم » ولعلها رواية . (٢) الشجنة : الشعبة من كل شىء ، يقال : بينهما شجنة رحم .

حدّثني أحمـد بن الخليـل قال حدّثنا ابراهيم بن موسى قال حدّثنا محمد بن ثَوْر عن مَعمر[1] عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضَمْرة عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ سَرّه أن يُمَدّ له في عُمْره ويُوسَّعَ له في رزقه فَلْيَصِلْ رَحِمَه".

حدّثني أحمـد بن الخليل قال حدّثنا أبو نُعَيم قال حدّثنا سفيان عن عبدالله ٥ ابن عيسى عن عبيد بن أبي الجَعْد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يَزيد في العُمرِ إلا البِرُّ ولا يردّ القَدَر إلّا الدعاءُ وإنّ الرجلَ ليُحرَمُ الرزقَ بالذّنب يُصيبُه".

حدّثني محمد بن يحيي القُطَعيّ قال حدّثنا عبد الأعلى قال حدّثنا سعيدٌ عن مَطَر عن الحَكَم بن عُتيبة[2] عن النَّخَعيّ عن ابن عمر قال: أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ والدي يأخذ منّي مالي وأنا كاره؛ فقال: "أَوَ مَا عَلِمتَ أنكَ ومالَكَ لأبيكَ".

١٠ حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعيّ قال: أخبرني بعضُ العرب: أن رجلا كان في زمن عبد الملك بن مَرْوان، وكان له أب كبير، وكان الشابّ عاقا بأبيه، وكان يقال للشابّ "مَنازِلُ"[3] فقال الشيخ[4]:

جَزَتْ رَحِمٌ بيْني وبين مَنَــازِلٍ * جزاءً كما يَسْتَنْجِزُ الدَّيْنَ طالبُــهْ
تربَّتْ[5] حتى صـار جَعْدًا شَمَـرْدَلًا * إذا قام سَاوَى غَارِبَ الفَحْل غَارِبُهْ

١٥ (١) هو معمر بن راشد، وهو الذي يروى عنه محمد بن ثور كما في التهذيب. (٢) كذا في الخلاصة في أسماء الرجال للخزرجي وفي الأصل «عبينة» وهو تحريف. (٣) هو منازل ابن فرعان ذكره في القاموس وقال شارحه هو بفتح الميم ومنهم من ضبطه بضمها. (٤) هو فرعان التميمي كما في لسان العرب مادة «جعد». (٥) تربّت: تربّى. والجعد الطويل. والشمردل: الفتيّ القويّ. وقد اختلف اللسان (في مادة جعد) عما هنا في إيراد هذا البيت، وأورد ٢٠ معناه في بيتين وهما:

وربيتــه حتى إذا ما تركته * أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وبالمحض حتى آض جعدا عنطنطا * اذا قام ساوى غارب الفحل غاربه

تَظَلَّمني مالى كذا وَلَوَى يَدِى * لَوَى يَدَه اللهُ الذى لا يغالبُه

وإنّى لَدَاعٍ دَعْوَةً لو دَعَوْتُها * على جَبَل الرَّيّان لانقضَّ جانبُه

فبلغ ذلك أميرًا كان عليهم، فأرسل إلى الفتى ليأخذه، فقال له الشيخ: أُخرج من خَلْف البيت، فسبق رُسُلَ الأمير، ثم ٱبتُلِيَ الفتى بآبنٍ عَقّه فى آخر عمره فقال:

تَظَلَّمَنِي مالى خَلِيجٌ وعَقَّنِي * على حينَ كانت كالحَنِيّ عظامى

تَخَيَّرته وٱزددتُه لِيَزِيدنى * وما بعضُ ما يزداد غير عُرامِ (1)

وقال يحيى بن سعيد (2) مولى تَيْم كوفىٌّ لابنه:

غَذَوْتُكَ مَوْلودًا وعُلْتُكَ يافعًا * تُعَلّ بما أَجْنِي (3) عليك وتُنْهَلُ

إذا ليلةٌ نالتك بالشكو لم أَبِتْ * لشكواكَ إلّا ساهرًا أتململُ

كأنّى أنا المطروقُ دونك بالذى * طُرِقْتَ به دونى وعينِي تَهْمُلُ

فلمّا بلغتَ الوقت فى العدّة التى (4) * إليها جَرَى ما أبتغيه وآمُلُ

جعلتَ جَزائى منك جَبْهًا وغِلْظَةً * كأنكَ أنتَ المنعمُ المتفضِّلُ

فليتكَ إذ لم تَرْعَ حقّ أُبُوّتِي * كما يفعل الجارُ المجاورُ تَفْعَلُ (5)

قال القاسم بن محمد: قد جعل الله فى الصديق البارّ عِوَضًا من الرَّحِم المُدْبِرة .

---

(1) العرام: الشراسة والأذى، وفى الأصل: «غرام» بالغين المعجمة وهو تحريف .

(2) هذا الشعر لأمية بن أبى الصلت الثقفى كما فى الأغانى (ج ٣ ص ١٩١ طبعة بولاق) وأشعار الحماسة (ص ٣٥٤ طبع أوروبا)، وقيل: إنها تروى لابن عبد الأعلى، وقيل: لأبى العباس الأعمى . وليس ليحيى بن سعيد كما ذكر المؤلف لأنه أنشد بين يدى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام بتلابيب الولد وسلمه لوالده قائلا له: «أنت ومالك لأبيك» .

(3) فى أشعار الحماسة «أدنى إليك» .

(4) رواية هذا البيت فى الحماسة:

فلما بلغت السن والغاية التى * إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

(5) فى الحماسة: «فعلت كما الجار ... الخ» .

كتب عمرُ إلى أبي موسى : مُرْ ذوى القَرابات أن يَتزاوَرُوا ولا يتجاوروا .

وقال أَكْثَم بن صَيْفِيّ : تَباعَدُوا فى الدّيار تقارَبُوا فى المودّة .

قيل لأعرابيّ : ما تقول فى آبن عمك ؟ قال : عدوّك وعدو عدوّك .

وقال قيسُ بن زُهَير :

شَفَيْتُ النفسَ من حَمَل بن بَدْرٍ * وسَيْفى من حُذَيفة قد شفانى ٥

قتلتُ بإخْوَتِى ساداتِ قومى * وقد كانوا لنا حَلْىَ الزمانِ

فإنْ أكُ قد بَرَدْتُ بهم غَليلِى * فلم أقطعْ بهم إلا بَنانى

قال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه، حين تصفّح القتلَى يوم الجَمَل : شَفَيتُ نفسى وجَدَعتُ أنفى . وفى مثل ذلك قول القائل[1] :

قَوْمِى هُمُ قَتَلوا أُمَيْمَ أخى * فإذا رَمَيْتُ يُصيبنِى سَهْمِى ١٠

ولئن عَفَوْتُ لَأَعْفُوَنْ جَلَلًا * ولئن قَرَعْتُ[2] لَأُوهِنَنْ عَظْمِى

قتل رجلٌ من العرب آبنَ أخيه[3] فدُفِعَ إلى أخيه لِيُقيدَه، فلمّا أَهْوَى بالسيف أُرْعِدتْ يداه، فألقى السيفَ من يده وعفَا عنه وقال :

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعـزِيَةً * إحدى يَدَىّ أصابتنى ولم تُرِدِ

كلاهما خَلَفٌ من فَقْد صاحبه * هذا أخى حين أدعُوه وذا ولدِى ١٥

وقال بعضهم :

بكُرْهِ سَرَاتنا يا آل عمرو * نُغاديكم بمُرهَفَة النِّصالِ

فنبكى حين نذكركم عليكم * ونقتلكم كأنّا لا نُبالى

وقال عدىّ بن زيد :

وظلمُ ذَوِى القُرْبَى أشدُّ مَضاضةً * على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنّدِ ٢٠

(١) هو الحارث بن وعلة الذهلى كما فى الحماسة . (٢) فى الحماسة : «سطوت» .

(٣) فى الأصل : «لابن أخيه» وهو تحريف .

وقال غيره[١] :

سآخُذ منكم آل حَزْنٍ[٢] لِحَوْشَبٍ[٣] * وإن كان مولاىَ وكنتم بنى أَبِى

إذا كنتُ لا أُرْمَى وتُرْمَى عَشِيرتى[٤] * تُصِبْ جانحاتُ[٥] النَّبْلِ كَشْحِى ومَنْكِبِى

قال حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن السائب البكرىّ عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حقُّ كبيرِ الإخْوةِ على صَغيرِهم كحقّ الوالد على ولده" .

والعرب تقول فى العطف على القرابة وإن لم يكن وادًّا : "أنفُكَ منكَ وإن ذَنّ[٦]" . ومثله : "عِيصُك[٧] منك وإن كان أَشِبًّا" .

وقال النَّمِر بن تَوْلَب :

إذا كنتَ من سَعْدٍ وأُمُّكَ فيهمُ * غريبًا فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ من سعدِ

فإن ٱبنَ أُختِ القوم مُصْغًى إناؤه[٨] * إذا لم يُزاحِم خالَه بِأَبٍ جَلْدِ

وقال أُميّة بن أبى عائذ لإياس بن سَهْم :

أبلغ إياسًا أنّ عِرض ٱبنِ أُختِكم * رِداؤك فَٱصْطَنْ[٩] حُسْنَه أو تَبَذّلِ

(١) ذكر هذان البيتان فى الحماسة ضمن أبيات يقال : إنها لجندل بن عمرو . (٢) كذا فى ديوان الحماسة ، وفى الأصل : «آل حزم» . وفيه بدل «لحوشب» «بحوشب» . (٣) فى ديوان الحماسة : «وإن كان لى مولى» . وقد أشار شارحه الى رواية الأصل وقال : إنه بها دخله الكف وهو حذف السابع الساكن من مفاعيلن ، وهو قبيح فى غير الهزج . قال شارح الحماسة : «وليس فى الحماسة بيت مكفوف غيره» . ثم قال : «ويروى مولى لى ، فعلى هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه بطريقة الشعراء ، ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان : مولاى وبنى أبى» . (٤) فى الحماسة : «كنانتى» وقيل أراد بالكنانة مولاه . (٥) فى الحماسة : «جانحات» بالنون أى كاسرات الجناح ، يقال : جنحه إذا كسر جناحه ، ويجوز أيضا أن يكون جانحات من جنح اليه اذا مال . وأشار شارح الحماسة الى الرواية التى وردت بالأصل ولكنه استحسن الأولى لأنه لا يقال : رماه فأجتاحه . (٦) ذنّ : سال مخاطه وفى مجمع الأمثال : «وان كان أَذَنَّ» . (٧) العيص : الجماعة من السدر تجتمع فى مكان واحد . والأشب : شدّة التفاف الشجر حتى لا مجاز فيه . (٨) مصغى إناؤه : منقوص حقه ، يقال : أصغى فلان إناء فلان اذا أماله ونقصه حظه . (٩) اصطن : صن واحفظ ، أمر من ٱصطان ، وهو الافتعال من صان . وتبذل : ٱمتهن .

فإنْ تَكُ[1] ذا طَوْلٍ فإنّى ٱبْنُ أختِكم * وكلّ ٱبنِ أختٍ من مَدَى الخالِ مُعتلى[2]

فكن أسـدًا أو ثعلبـًا أو شبيهَه * فمهما تكن أُنْسَبْ إليـك[3] وأُشْكَلِ

وما ثعلبٌ إلا ٱبنُ أختِ ثعالبٍ * وإن ٱبن أختِ اللّيث رِئبالُ أشْبُلِ

وكتب بِشْر بن المُغيرة بن أبى صُفْرة إلى عمّه بهذه الأبيات :

٥ جفانى الأميرُ والمغـيرةُ قد جفا * وأمسى يزيدُ لى قد ٱزْوَرَّ جانبُهْ

وكُلُّهُمُ قـد نال شِـبْعًا لبطنه * وشِبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبُهْ

فيـا عَمِّ مَهْلا وٱتّخِـذنى لنـوبةٍ * تنوب ، فإن الدّهر جَمٌّ عجائبُـهْ

أنا السيفُ إلا أن للسيفِ نَبْوةً * ومثلِى لا تنبُـو عليك مَضـارِبُهْ

دخل رجل من أشراف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به

١٠ يَعيبه ويَشتُمه ، وفى المجلس رجل يَشْنَؤه فشرَع معه فى القول ؛ فقال له : مهلا ! إنّى لآكُلُ لحمِى ولا أدَعُه لآكِلٍ .

ويقال : القرابةُ محتاجة الى المودّة ، والمودّةُ أقرب الأنساب . والبيت المشهور فى هذا :

فإذا القرابة لا تُقرِّبُ قاطعًا * واذا المودّة أقربُ الأنسابِ

وقيل لبُزُرْجِمْهر : أخوك أحبّ إليك أم صديقُك ؟ فقال : إنما أُحِبُّ أخى اذا

١٥ كان صديقا .

وقال خِداشُ بن زُهَيْر :

رأيتُ ٱبنَ عمّى باديًا لِىَ ضِغْنُـه * وواغِرُه فى الصدر ليس بذاهِبِ

وأنشدنا الرِّياشىّ :

حيـاةُ أبى السيَّارِ خـيرٌ لقومه * لمن كان قد ساس الأمورَ وجرّبَا

٢٠ وتَعتِبُ أحيانا عليـه ولو مضى * لكنّا على الباقى من النـاس أعتَبَا

---

(١) كذا فى كتاب أشعار الهذليين ، وهو الذى يتفق مع السياق بعده ، وفى الأصل : «فان أك» ...
(٢) فى كتاب أشعار الهذليين : «مغتلى» بالغين المعجمة ، واغتلى : ارتفع . (٣) كذا فى أشعار الهذليين . وفى الأصل : « اليه » .

وقال الشاعر :

ولم أر عِزًّا لامرئ كعشيرِهِ (١) * ولم أر ذُلّا مثل نأْيٍ عن الأهلِ

ولم أر مثلَ الفقر أوضعَ للفتى * ولم أر مثلَ المالِ أدفعَ للرذْلِ

ولم أر من عُدْمٍ أضرَّ على الفتى * إذا عاش وسْطَ الناسِ من عَدَمِ العقلِ

كان مُهَلهِلٌ صار الى قبيلة من اليمن يقال لهم جَنْبٌ، فخطبوا اليه فزوّجهم وهو ٥
كارهٌ لاغترابه عن قومه، ومهروا ابنته أَدَمًا (٢)، فقال :

أنكحها فقدُها الأراقمَ (٣) في * جَنْبٍ وكان الحِباء من أدَمِ

لو بأبانَيْنِ (٤) جاء يخطُبها * رُمِّلَ (٥) ما أنْفُ خاطبٍ بدمِ

وقال الأعشى :

ومن يَغْترِبْ عن قومه لا يَزَل يَرى * مَصارِعَ مظلومٍ مَجَرًّا ومَسْحَبا ١٠

وتُدفَنُ منه الصالحات وإن يُسِئْ * يكن ما أساء النارَ في رأسِ كَبْكَبا (٦)

وربّ بقيعٍ لو هتفتُ بجَوِّهِ * أتاني كريمٌ يُنْغِضُ (٧) الرأسَ مُغْضَبا

وقال رجل من غطفان :

إذا أنت لم تستبقِ وُدّ صَحابةٍ * على دَخَنٍ (٨) أكثرتَ بثَّ المعاتبِ

(١) عشيره : قبيلته . (٢) الأدم : اسم جمع للأديم، والأديم : الجلد ما كان، وقيل : ١٥
الأحمر، وقيل : المدبوغ . (٣) الأراقم : حيّ من تغلب وهي قبيلته . (٤) أبانين :
تثنية أبان، وهما جبلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض، وللآخر : أبان الأسود . (٥) رمل :
خضب بالدم . وفي الأغاني (ج ٤ ص ١٤٦ طبع بولاق) ومعجم البلدان : « ضرّج » .
(٦) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها . (٧) ينغض الرأس : يحرّكه كالمستفهم عما
يقال له . (٨) على دخن : على كدورة . وأصل الدخن (بالتحريك) : مصدر دخِنت النارُ إذا أُلقي ٢٠
عليها حطب رطب وكثر دخانها، وأن يكون لون الدابة أو الثوب كدرا إلى سواد .

وإنى لأستبقى آمرأ السَّوْء عُدّةً ❊ لعَدْوة عِرِّيضٍ[1] من الناس عائب

أخافُ كلابَ الأبعدين ونبحَها ❊ إذا لم تُجاوبها كلابُ الأقارب

قال رجل لعُبَيْد الله بن أبى بَكْرة : ما تقول فى موت الوالد؟ قال: مُلْك حادث ؛ قال : فموت الزوج ؟ قال : عُرْس جـديد ؛ قال : فموت الأخ ؟ قال : قَصّ الجناح ؛ قال : فموتُ الولد ؟ قال : صَدْعٌ فى الفؤاد لا يُجْبر .

وكان يقال : العُقوقُ ثُكْل من لم يَثْكَل .

شكا عثمان عليًّا الى العباس رضى الله عنهم ؛ فقال : أنا منه كأبى العاقّ ، إن عاش عقّه وإن مات فجَعَه .

وقال رجل لأبيه : يا أبتِ ، إن عظيم حَقّك علىّ لا يُذْهب صغيرَ حقّى عليك ، والذى تَمُتّ به الىّ أمتّ بمثله إليك ، ولستُ أزعم أنّا على سَوَاء .

وقال زيد بن على بن الحسين لابنه يحيى : إن الله لم يرضَك لى فأوصاك بى ، ورَضِينى لك فلم يُوصِنى بك .

غضب معاوية على يزيدَ آبنـه فهجره ؛ فقال له الأحنفُ : يا أمير المؤمنين ، أولادُنا ثِمارُ قلوبنا وعِمادُ ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، فإن غضبوا فأرْضِهم ، وإن سألوا فأعْطِهم ، ولا تكن عليهم قُفْلا فيَمَلّوا حياتك ويتمنّوْا موتَك .

قيل لأعرابىّ : كيف آبنُك ؟ — وكان عاقًّا — فقال : عذابٌ رَعِف[2] به الدهر ، فليتنى قد أودعتُه القبر ، فإنه بَلاء لا يُقاومه الصبر ، وفائدةٌ لا يجب فيها الشكر .

قيل لبعضهم : أىّ ولدك أحبّ اليك ؟ قال : صغيرُهم حتى يكبَر ، ومريضُهم حتى يبرأ ، وغائبُهم حتى يَقدَم .

---

(١) العرّيض : الذى يتعرّض للناس بالشرّ . (٢) رعف (بكسر عينه) : سبق وتقدّم .

ناول عمرُ بن الخطاب رجلا شيئا ؛ فقال له : خدمك بنوك ؛ فقال عمر : بل أغنانا الله عنهم .

ووُلِد للحسن غلام ، فقال له بعضُ جلسائه : بارك الله لك في هِبَته ، وزادك من أحسنِ نعمتِه ؛ فقال الحسن : الحمد لله على كلّ حسنة ، ونسأل اللهَ الزيادةَ في كل نعمة ، ولا مرحبًا بمن إن كنتُ عائلا أنصبني ، وإن كنت غنيا أذهلني ، لا أرضى بسعيي له سعيا ، ولا بكدّي له في الحياة كدّا ، حتى أُشفِق له من الفاقة بعد وفاتي ، وأنا في حالٍ لا يصل إليّ من غمّه حزن ولا من فرحه سرور .

قال الأصمعيّ : عاتب أعرابيٌّ ابنَه في شرب النبيذ ، فلم يُعتِبْ[1] وقال :

أمِن شَربةٍ من ماء كَرْمٍ شَرِبتُها * غضِبتَ عليّ ! الآن طابَ ليَ الخمرُ
سأشربُ فاغضَبْ لا رَضِيتَ ، كلاهما * إليّ لذيذٌ : أن أُعقَّك والسُّكْرُ

وقال الطِّرِمّاح لابنه صَمْصامَة :

أصمصامُ إن تشفَع لأمّك تلْقَها * لها شافعٌ في الصدرِ لم يتَبرج
هل الحبُّ إلّا أنّها لو تعرّضتْ * لذبحك يا صمصامُ قلت لها اذبَحِي
أحاذِر يا صمصامُ إن مِتُّ أن يلي * تُراثِي وإيّاك امرؤٌ غيرُ مُصْلِحِ
إذا صَكّ وسْطَ القومِ رأسَك صَكّةً * يقول له الناهي مَلَكتَ فأسْجِحِ[2]

وأنشد ابن الأعرابيّ :

أُحبّ بُنَيّتي ووددتُ أني * دَفَنتُ بُنَيّتي في قعرِ لَحْدِ
وما بي أن تهونَ عليّ لكن * مخافةَ أن تذوقَ البؤسَ بعدي

(١) لم يعتبْ : لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذي غضب عليه من أجله . (٢) أسجح : اعف واصفح .

ونحوه قول الآخر :

لولا أُمَيْمةُ لم أجزَعْ من العَـدَمِ * ولم أجُبْ فى الليالى حِندِسَ الظُّلَمِ

وزادنى رغبةً فى العيش معرفتى * ذُلَّ اليتيمة يجفوها ذوو الرَّحِمِ

أُحاذِر الفقرَ يوما أن يُلِمّ بهـا * فيهتِكَ السِّترَ عن لحمٍ على وَضَمِ

٥ تهوَى حياتى وأهوَى موتها شَفَقًا * والموتُ أكرمُ نزّالٍ على الحُـرَمِ

وقال أعرابىّ فى آبنته :

يا شِقّةَ النفسِ إن النفس والهـةٌ * حَرّى عليـك ودمعُ العين مُنسجِمُ

قد كنتُ أخشى عليها أن تُقدِّمنى * الى الحِمام فيُبدى وجهَها العَـدَمُ

فالآنَ نِمتُ فـلا همٌّ يؤرِّقُنى * تَهْـدا العيونُ اذا ما أُودِتِ الحُرَمُ

١٠ وقال أعشى سُلَيْم :

نفسى فِداؤكَ من وافِدٍ * إذا ما البيوتُ لبِسن الجليدا

كفيتَ الذى كنتُ أُرْجَى له * فصِرتَ أبًا لى وصرتُ الوليدا

وقال أعشى هَمْدان فى خالد [بن عَتّاب] بن وَرْقاء :

فإن يكُ عَتّابٌ مضَى لسبيله * فمـا مات من يَبْقى له مثلُ خالدِ

١٥ وفى الحديث المرفوع : "رِيحُ الولد من رِيح الجنّة". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد آبنَىْ بنته : "إنّكم لَتُجَبِّنون و إنكم لتُبَخِّلون و إنكم لَمِنْ رَيْحانِ الله".

وقالت أعرابية :

يا حبّـذا رِيحُ الولَدْ * رِيحُ الخُزَامَى بالبَـلَدْ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : هذا يدلّك على تفضيلهم الخُزَامَى .

٢٠ وكان يقال : اِبنُك رَيحانُك سَبْعا، وخادمك سبعا، ثم عدوٌّ أو صديق .

مرّ أعرابىٌّ يَنشُدُ ٱبنا له بقوم، فقالوا : صِفه ؛ فقال: دُنَيْنِيرٌ، قالوا : لم نَرَه ؛ فلم يَلبث القومُ أن جاء على عُنُقه بجُعَلٍ ، فقالوا : ما وجدتَ ٱبنَك يا أعرابىّ؟ قال: نعم هو هـذا ؛ قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرناك ، ما زال منذُ اليومِ بين أيدينا .

قال الشاعر فى ٱمرأة :

نِعمَ ضَجِيعُ الفتى اذا بَرد الـ * ـليلُ سُحَيراً وقَرقَفَ[1] الصَّرِدُ
زيّنها الله فى العيون كما * زُيِّن فى عين والدٍ ولـدُ

وفى الحديث : "من كان له صبىٌّ فَلْيَسْتَصْبِ له" .

وقال الزبير وهو يرقّص ٱبناً له :

أبيضُ من آل أبى عَتِيقِ * مباركٌ من ولد الصِّدِّيقِ
* أَلَذُّه كما أَلَذُّ رِيقى *

وقال أعرابىّ :

لولا بُنَيّاتٌ[2] كزُغْبِ القَطَا * حُطِطْنَ من بعضٍ الى بعضِ
لكان لى مُضْطَرَبٌ واسعٌ * فى الأرض ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ
وإنما أولادُنا بيننا * أكبادُنا تمشى على الأرضِ
لو هبّتِ الريحُ على بعضهم * لامتنعتْ عينى من الغَمْضِ
أنزلنى الدهرُ على حكمه * من مَرْقَبٍ عالٍ الى خَفْضِ
وٱبتزّنى الدهرُ ثيابَ الغِنى * فليس لى مالٌ سوى عِرْضى

قال بعض النسّابين : إنما قيل : سَعْدُ العشيرة ، لأنه كان يركب فى عشرة من ولده ، فكأنهم عشيرة .

(١) قرقف : أرعد من البرد . والصرد : الرجل القوىّ على البرد . (٢) رويت هذه الأبيات فى الأمالى ج ٢ ص ١٨٩ طبع دار الكتب المصرية بعض مخالفة عما هنا ، وذكرت أيضا فى الحماسة بشرح التبريزى طبع أوروبا ص ١٤١ وفيها اختلاف فى الرواية وتقديم وتأخير فى ترتيب الأبيات ، ونسبت الى حطّان بن المعلى .

وقال ضِرار بن عمرو الضّبيّ، وقد رُئى له ثلاثة عشر ذكرا قد بلغوا : من سَرّه بنوه سَاءَته نفسُه .

قال بِشر بن أبى خازم :

اذا ما عُلُوا قالوا أبونا وأُمّنا * وليس لهم عَالِين[1] أمٌّ ولا أبُ

وقال آخر :

أنا ابنُ عمّك إن نابتك نائبةٌ * وليس منك اذا ما كَعْبُك اعتدلا

وأنشدنا الرِّياشىّ :

الرَّحِمَ بُلَّها بخير البُلّانْ[2] * فإنّ فيها للدّيار العُمْرانْ

وآمر المال وبنت الصّغرانْ[3] * وإنما اشتُقّت من اسم الرحمنْ

وقال المَعْلُوطُ :

ومَن يلقَ ما ألقَى وإن كان سيِّدا * ويخشَ الذى أخشَى يَسِرْ سيرَ هارِبِ

مخافةَ سلطانٍ علىّ أظنُّه * ورَهْطِى، وما عاداك مثلُ الأقاربِ

دخل عثمان بن عفّان على ابنته وهى عند عبد الله بن خالد بن أَسيد، فقال : يا بُنيّة : مالى أراكِ مهزولةً ؟ لعلّ بَعْلِكِ يُغيرك[4]؛ فقالت : لا، ما يُغيرنى؛ فقال لزوجها : لعلّك تُغيرها ! قال : فأفعل، فَلَغلامٌ يزيده الله فى بنى أميّة أحبُّ الىّ منها .

(١) عالين : حال من الضمير فى «لهم» . (٢) بلّ الرحم يبلها (بضم الباء) بلا و بلالا : وصلها وندّاها . والبلّان : قال ابن سيده : «يجوز أن يكون البلان اسما واحدا كالغفران والرجحان وأن يكون جمع بلّ» . (٣) كذا بالأصل ولم نوفق اليه فى مصدر آخر، وقد أورد فى اللسان مادة بلل هذا الشعر مقتصرا فيه على صدر البيت الأوّل وعجز البيت الثانى . (٤) أغار الرجل امرأته : تزوّج من أخرى فأحدث عندها الغيرة .

قال النعمانُ بن بَشِير :

و إنى لأُعطِى المالَ مَنْ ليس سائلا * وأُدْرِكُ للمولى المعانِدِ بالظلمِ

و إنى متى ما يَلْقَنِى صارما له * فما بيننا عند الشدائد من صُرْمِ

فلا تَعْدُدِ المولى شريكَكَ فى الغِنى * ولكنما المولى شريكُكَ فى العُدْمِ

إذا مَتَّ ذو القُرْبى اليك بِرِحْمِهِ * وغَشَّكَ وآستغنى فليس بذى رِحْمِ

ولكنّ ذا القربى الذى يستخفّه * أذاكَ ومَنْ يرمِى العدوَّ الذى تَرمِى

وقال بعضُ الشعراء :

لقد زاد الحياةَ الىّ حبّا * بناتى أنّهن من الضِّعافِ

مخافةَ أن يَرَيْنَ البؤسَ بعدى * وأن يشرَبْنَ رَنْقًا بعد صافِى

وأن يَعْرَيْنَ إن كُسِىَ الجوارِى * فتنبو العينُ عن كَرَمٍ[1] عِجافِ

قيل لعلىّ بن الحسين : أنت من أبرِّ الناس ولا نراك تؤاكِل أمَّك، قال : أخاف أن تَسِيرَ يدى الى ما قد سبقتْ عينُها اليه فأكونَ قد عَقَقْتُها .

قيل لعمرَ بن ذَرّ : كيف كان بِرّ آبنك بك؟ قال : ما مشيتُ نهارا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلا إلا مشى أمامى، ولا رَقِىَ سطحًا وأنا تحته .

حدّثنى محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عَطاء بن السائب عن عثمان بن أبى العاص قال : كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده :

تركتَ أباكَ مُرْعشَةً يداه * وأُمَّك ما تُسِيغ لها شرابا

اذا غَنَّتْ حمامةُ بطنِ وَجٍّ * على بَيْضاتها ذكرتْ كِلابا

فقال عمر : ممّ ذاك؟ قال : هاجر الى الشأم وترك أبوين له كبيرين ، فبكى عمر وكتب الى يزيدَ بن أبى سفيان فى أن يُرَحِّله ، فقدم عليه ، فقال : بَرّ أبويك وكن معهما

(١) كرم : كريمات : واذا وصف بالمصدر التزم فيه الإفراد والتذكير .

حتى يموتا . قال أبو اليقظان : مُرَبَّعة كلاب بالبصرة اليه تنسب ، والعوامّ تقول مُرَبَّعة الكلاب .

قال أبو علىّ الضّرير :

أتيتك جَذْلانَ مستبشرًا * لبُشراك لما أتانى الخبرْ
أتانى البشيرُ بأن قد رُزِقْتَ * غلاما فأبهجنى ما ذَكَرْ
وأنّك، والرشدُ فيما فعلـ * ـتَ، أسميتَه بآسم خير البشرْ
وطهّرتَه يوم أسبوعه * ومن قبلُ فى الذِّكْرِ ما قد طَهُرْ[1]
فعمّرك الله حتى ترا * ه قد قارب الخطْوَ منه الكِبَرْ
وحتى ترى حولَه من بَنِيه * وإخوتِه وبنِيهم زُمَرْ
وحتى يروم الأمورَ الجسامَ * ويُرْجَى لنفع ويُخْشَى لضُرّ
وأوزعك[2] اللهُ شكرَ العطاء * فإن المزيد لعبدٍ شَكَرْ
وصلّى على السَّلَف الصالحيـ * ـن منكم وبارَك فيمن غَبَرْ[3]

وهذا قد وقع فى باب التهانئ أيضا .

قال المأمون : لم أر أحدًا أبرّ من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من برّه به أن يحيى كان لا يتوضّأ إلا بماء مسخَّن وهما فى السجن ، فمنعهما السجّان من إدخال الحطب فى ليلة باردة ، فقام الفضل حين أخذ يحيى مَضْجَعه الى قُمْقُم[4] كان يُسَخَّن فيه الماء ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائما وهو فى يده حتى أصبح .

---

(١) ما هنا زائدة . ولعل المهنأ من آل البيت ، فأشار بطهارته فى الذكر الى قول الله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . (٢) أوزعك : ألهمك ، وفى الأصل : «أودعك» . (٣) غبر : بقى ، ويستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب فهو من الأضداد . (٤) قمقم : إناء من نحاس .

رقّص أعرابىٌّ ٱبنه وقال :

أُحِبّه حبَّ الشَّحيح مالَهْ * قد كان ذاق الفقرَ ثم نالَهْ

* إذا يُريد بَذْلَه بدا لَهْ *

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ٱبنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال : هـذه تُفّاحة القلب ؛ فقال : ٱنبِذها عنك ؛ قال : ولم ؟ قال : لأنهنّ يَلِدْن الأعداء ، ويُقَرِّبْن البُعَداء ، ويُورِثْن الضغائن ؛ فقال : لا تقُلْ ذاك يا عمرو ، فوالله ما مرّض المرضى ولا نَدَب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلُهن ، وإنك لواجدٌ خالا قد نفعه بنو أُخته ؛ فقال له عمرو : ما أعلمُك إلا حَبَّبتَهنّ الىّ .

الاعتــــدار

كان يقال : الاعتراف يَهْدِم الاقتراف .

كتب بعض الكتّاب الى بعض العمال : لو قابلت حقّك علىّ بمتقدِّم المودّة ومُؤَكَّد الحُرْمة الى ما جدّده الله لك بالسلطان والوِلاية ، لم أرْضَ فى قضائه بالكِتاب دون تَجَشُّم الرِّحلة ومُعاناة السفر اليك ، لا سيما مع قُرْب الدار منك ؛ غير أن الشغل بما ألقيتُ عليه أمورى من الانتشار وعلائق الخراج وغيرِ ذلك ممـا لا خِيار معه ، أحلّنى فى الظاهر محلّ المُقَصّرين ؛ وإن وهب الله فُرْجةً من الشـغل وسهّل سبيلا اليك ، لم أتخلّف عمّا لى فيه الحظّ من مجاورتك والتنسّم بريحك والتيمُّن بالنظر اليك ، غاديا ورائحا عليك ، إن شاء الله تعالى .

كتب ابن الجهم (١) الى نَجاح من الحبس :

إن تَعْفُ عن عبدك المسىءِ ففى * فضلِك مأوًى للصَّفْح والمِنَنِ

أتيتُ ما أستحقُّ من خطأ * فعُدْ لما تستحقّ من حَسَنِ

(١) فى الأصل : «أبو الجهم» وهو تحريف .

وكتب الحسن بن وهب :

ما أحسنَ العفوَ من القادرِ * لا سيّما عن غير ذى ناصرِ
إن كان لى ذنبٌ، ولا ذنبَ لى، * فما له غيرَك من غافـرِ
أعـوذ بالودّ الذى بيننا * أن يُفْسَد الأوّلُ بالآخرِ

كتب رجلٌ الى جعفر بن يحيى يستبطئه، فوقّع فى ظهر كتابه : أحتجّ عليك بغالب القضاء، وأعتذر اليك بصادق النيّة .

قال بعض الشعراء :

وتعـذِر نفسَك إمّا أساتَ * وغيرَك بالعُـذرِ لا تعـذِر
وتُبْصِر فى العين منه القذى (١) * وفى عينك الجذع لا تُبْصِر

وقال بعض الشعراء :

ياذا المُمَيِّزُ للإخـاءِ وللِا * إخوانِ فى التفضيل والقَدْرِ
لا يَقْبِضنَّك عن معاشرتى * بالأُنس أن قصّرتَ فى برّى
إنى اذا ضاق آمرؤ بجـدًا (٢) * عنّى آستعنتُ عليه بالعذرِ

وفى الحـديث المرفوع : "من لم يَقْبَل من معتذرٍ صادقًا كان أو كاذبا لم يَرِدْ علىّ الحوض" . وفيه : "أقيلوا ذوى الهَنَات عَثَراتِهم" .

اعتذر رجل الى أبى عبيد الله الكاتب فقال : ما رأيتُ عذرا أشبه بآستئنافِ ذنبٍ من عُذْرك .

وكان يقال : أعجلُ الذنوب عقوبةً العذرُ، واليمينُ الفاجرةُ، وردُّ التائبِ وهو يسأل العفو خائبا .

(١) فى الأصل : «وتبصر فى الغير منك القذى» . وفى الحـديث : «يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذل فى عينه» . والجِذْل : ما عظم من أصول الشجر، وقيل : هو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل . (٢) الجدا (وزان فتى) : العطية .

وقال مُطَرِّف : المَعاذِرُ[١] مَكاذِبُ .

اعتــذر رجل الى إبراهيم[٢] فقال له : قد عذرتُك غير معتذِرٍ، إن المعاذير يشوبها الكذب .

ويقال . ما اعتذر مذنبٌ إلا ازداد ذَنْبا .

وقال الشاعر : ٥

لا تَرْجُ رجعــةَ مذنبٍ * خلَطَ احتجاجًا باعتذارِ

اعتذر رجل الى سَلْم[٣] بن قتيبة، فقبل منه وقال : لايدعونّك أمر تخلّصتَ منه الى أمر لعلك لا تتخلص منه .

وقال الشاعر :

فلا تَعْــذِرانى فى الإساءة إنه * شِرارُ الرجال مَنْ يُسِىء فيعتذرُ ١٠

وقال ابن الطَّثَرِيّة :

هَبِينى امرأً إما بريئًا ظلمتِه * وإما مُسِيئا تاب بعدُ وأَعْتَبَا

وكنتُ كذى داءٍ تَبَغّى لدائه * طبيبا فلمــا لم يجِدْه تَطَبّبــا

كتب بعض الكُتّاب معتذرا : توهّمت، أعزك الله، نَفْرَتَك عند نظرتك الى عنوان كتابى هذا باسمى، لمــا تضمّنَتْه من السَّخيمة علىّ، فأخليتُه منه؛ وانتظرت ١٥ باستعطافك من طويّتــك فىّ عاقبةَ امتــدادِ العهد، وأمِنتُ اضطغانَك لنفى الدّينِ الحقــد، واختصرتُ من الاحتجاج المنتسب الى الإصرار، والاعتذارِ المتعاوَد بين النُّظَراء، والإقرارِ المثبِّت للأقدام، الاستسلامَ لك . على أنك إن حرمتَنى رِضاك اتّسعتُ بعفوك، وإن أعْدَمتنيهما توَغَّر صدرك لم تَضِقْ من الرِّقة علىّ من مُصيبة

(١) هو مطرف بن الشخير. والمعاذر : جمع معذرة بمعنى العذر، والمكاذب : جمع الكذب كالمحاسن والمقابح، وهو كقولهم : ان المعاذير يشوبها الكذب . (٢) هو ابراهيم النخعىّ . ٢٠

(٣) فى الأصل : « سالم » وهو تحريف .

الحرمان ؛ وإن قسوتَ رجعتْ بك عواطفُ من أياديك عندى نازعةٌ بك الى استتمامها لدىّ . ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلةُ سُــوء من خُوّلوا بالإحسان ولا نعمةَ على مُجْرم اليــه أجزلُ من الظفر ، ولا عقوبة لمجرِم أبلغُ من النــدم ؛ وقد ظفرتَ وندمتُ . كتبتُ وأنا على ما تُحِبّ بِشْرًا[1] إن تغمدت زَلّتى ، وكما تُحب ضرًّا إن تركتَ إقالتى ، وبخيرٍ فى كلتا الحالتين ما بقيتَ .

وكتبتُ فى كتاب آعتذار وآستعطاف : كم عسى أن يكون آنتظارى لعطفك ! وكم عسى أن يكون تمــاديك فى عَتْبك ؛ لولا أنى مضطرٌّ الى وصلك وأنت مطبوع على هجرى . لقد آستحييتُ وآستحييتَ من ذُلّى وعِزّك ، وخَفْضى جَنَــاحى ونأْيِ بجانبــك .

وفى كتاب آخر : قد أودعنى الله من نِعمك مابَسَطنى فى القول مُدِلًّا به عليك ، ووَكّد من حُرْمتى بك ماشفَع لى فى الذنوب اليك ، وأعْلَقنى من أسبابك ما لا أخاف معــه نَبَوات الزمان علىّ فيك ، وأمّنَنى بحلمك وأناتك بادرةَ غضبك ؛ فأقدمتُ ثقةً بإقالتك إن عثَرتُ ، وبتقويمك إن زُغْتُ ، وبأخذك بالفضل إن زَللتُ .

وفى كتاب آعتذار : أنا عليلٌ منذ فارقتُك ؛ فإن تجمعْ علىّ العلّةَ وعتبَك أُفْدَح[2] . على أن ألم الشوق قد بلغ بك فى عقوبتى ؛ وحضرنى هذا البيتُ على ارتجالٍ فوصلتُ به قولى :

لك الحــقُّ إن تَعْتِبْ علىّ لأننى * جَفَوتُ وإمّا تَغْتفِرْ فلك الفضلُ

أنهيتُ عذرى لأنتهىَ الى تفضُّــلك بقبوله وإن أُبْلَكَ[3] يَمْحُ إفراطى فى البرّ بك تفريطى فيه ، والى ذلك ماأسألك تعريفى خبرَك لأُراحَ اليه ، وأستزيدُ اللهَ فى أسره لك .

(١) فى الأصل : «شرا» . (٢) أفدح : أبهظ وأثقل . (٣) من هنا الى آخر الكتاب غير واضح فى الأصل وقد أثبتناه هكذا جهدما وصلت اليه الطاقة ، على أنا لم نعثر على هذا الكتاب فى مصدر آخر.

وفى فصل آخر :

انا المُقِرّ بقصورى عن حقّك، وآستحقاقى جفاءَك، وبفضلك من عَذْلك أعوذ، فوالله لئن تأخّر كتابى عنك، ما أستزيد نفسى فى شكر مودّتك، واطيف عنايتك. وكيف يَسْلاكَ أو ينساك أخٌ مُغْرَمٌ بك يراك زِينةَ مَشْهده ومَغيبه! .

وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ * عندى ولا بالذى أوليتَ من نِعَمِ

وفى آخر الكتاب :

إذا آعتذر الصديقُ اليك يوما * من التقصير عذرَ أخٍ مُقِرِّ

فصُنْه عن عتابك وآعفُ عنه * فإن الصفح شيمةُ كلِّ حرِّ

وقال الخليل بن أحمد :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتَنى * أو كنتُ أجهلُ[1] ما تقول عَذَلتُكا

لكن جَهِلتَ مقالتى فعذلتَنى * وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكا

قيل لبُزُرْجِمِهر : ما بالُكم لا تُعاتِبون الجَهَلةَ ، قال : لأنا لا نريد من العُمْيان أن يُبْصِروا .

وقال آبن الدُّمَيْنة :

بنفسى وأهلى مَنْ اذا عرَضُوا له * ببعض الأَذى لم يَدْرِ كيف يُجِيب

ولم يعتذِرْ عذرَ البرىء ولم تزل * به ضَعْفةٌ[2] حتى يقالَ مُرِيبُ

وكتب رجلٌ الى صديق له يعتذر : أنا من لا يُحاجُّك عن نفسه، ولا يُغالِطك عن جُرْمه، ولا يلتمس رضاك إلّا من جِهته ، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب، ولا يستميلك إلّا بالاعتراف بالزّلّة .

(١) فى الأصل : « أو كنت أعلم ما أقول عذلتكا » وهو خطأ من الناسخ . (٢) فى حماسة أبى تمام : « سكتة » . وفى بعض كتب الأدب : « بهتة » .

وقرأت فى كتاب : لستُ أدرى بأىّ شىء استجزت تصديق ظنك حتى أنفذت علىّ به حكم قطيعتك ، فوالله ما صَدَق علىّ ولا كاد ، ولا استجزتُ ما توهّمته فيمن لا يلزمنى حقُّه . وأُعيذك بالله من بِدارٍ الى حكم يُوجب الاعتذار ، فإن الأناة سبيلُ أهلِ التقى والنُّهى ، والظنّ والإسراعُ الى ذوى الإخاء يُنتجان الجفاءَ ، ويُميلان عن الوَفاءِ الى اللَّفاء (١) .

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر الى رجل فى آخر يوم من شعبان : والله فإنّى فى غُبَّرِ (٢) يومٍ عظيم ، وتلقاءَ ليلة تَفْتَرّ عن أيامٍ عظامٍ ، ما كان ما بلغك .

وقرأتُ فى كتاب معتـذرٍ : إنك تُحْسِن مجاورتَك للنعمة ، واستدامتَك لها ، واجتلابَك ما بَعُد منها بشكر ما قرُب ، واستعمالَك الصفحَ لِما فى عاقبته من جميل عادة الله عندك ؛ ستقبلُ العذر على معرفةٍ منك بشناعة الذنب ، وتُقيل العثرةَ وإن لم تكن على يقينٍ من صدق النيّة ، وتدفع السيئةَ بالتى هى أحسن .

اعتـذر رجلٌ الى جعفر بن يحيى البرمكى ، فقال له جعفر : قد أغنـاك الله بالعذر منّا عن الاعتذار ، وأغنانا بالمودّة لك عن سوء الظن بك .

وقال بعض الشعراء :

إذا ما امرؤٌ من ذنبه جاء تائبًا * إليك فلم تَغْفِر له فلك الذنبُ

كان الحسن بن زيد بن الحسن واليا للمنصور على المدينة ، فهجاه وَرْدُ بن عاصم المُبَرْسَم فقال :

له حقٌّ وليس عليـه حقٌّ * ومهما قال فالحَسَنُ الجميلُ

وقد كان الرسول يَرى حقوقًا * عليـه لأهلها وهو الرسولُ

(١) اللفاء : اليسير الحقير ؛ يقال : رضى فلان من الوفاء باللفاء ، أى رضى من حقه الوافى بالقليل .

(٢) غبر يوم : بواقيه ، جمع غابر .

فطلبه الحسن فهرب منه، ثم لم يشعر إلا وهو ماثل بين يديه يقول :

سيأتي عُذرِيَ الحسنَ بن زيدٍ * وتَشهَدُ لى بصِفِّينَ القبورُ
قبورٌ لو بأحمدَ أو علىٍّ * يلوذ مُجيرُها حُفِظ المُجِيرُ
هما أبَوَاكَ مَنْ وَضَعا تَضَعْه * وأنتَ برفع مارفعا جديرُ

فاستخفّ الحسنَ كرمُه، فقام اليه فبسط له رداءَه وأجلسه عليه . ٥

وفى كتاب لمعتذر : عُلُوّ الرُّتبة وٱتّساعُ القدرة وٱنبساطُ اليد بالسَّطْوة ، ربما أنْستْ ذا الحَنَق المُحْفَظَ من الأحرار فضيلةَ العفو وعائدةَ الصَّفْح ومافى إقالة المذنب وٱستبقائه من حسن السماع وجميل الأُحدوثة ، فبعثْته على شِفاء غَيْظه، وحرّكتْه على تبريد غُلّته، وأسرعتْ به الى مُجانبة طِباعه وركوبِ ما ليس من عادته . وهِمّتك تجِلّ عن دناءة الحِقد، وترتفع عن لؤم الظَّفَر . ١٠

وفى فصل : نَبَتْ بى عنك غِرّة الحَدَاثة فردّتْنى اليك الحُنْكَة، وباعدتْنى عنك الثقةُ بالأيام فأدنتْنى اليك الضرورةُ، ثقةً بإسراعك الىّ وإن كنتُ أبطأتُ منك، وقبولِك العذرَ وإن كانت ذنوبى قد سَدّت عليك مسالكَ الصَّفح؛ فأىُّ موقفٍ هو أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبةَ فيه لك! وأىُّ خُطّةٍ هى أودَى بصاحبها من خُطّةٍ أنا راكبُها لولا أنها فى رِضاك ! . ١٥

أوقع الحجّاج يوما بخالد بن يزيد يَعيبه وينتقِصُه[1] وعنده عمرو بن عُتْبة : فقال عمرو : إن خالدا أدرك مَنْ قبلَه وأتعب مَنْ بعده بقديم غلَب عليه وحديثٍ لم يُسْبَق اليه؛ فقال الحجّاج معتذرا : يآبن عُتْبة، إنا لنَسترضِيكم بأنْ نَغْضَب عليكم، ونستعطفُكم

---

(١) الذى فى كتب اللغة : «وقع فيه : آغتابه» .

بأن ننال منكم، وقد غلبتم على الحلم، فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلُمُوا ، فتعرّضْنا للذى تحبّون .

قال المنصور لرجل أتاه تائبا معتـذرًا من ذنب : عهدى بك خطيبا فما هذا السكوت ! فقال : يا أمير المؤمنين، لسنا وفدَ مُبَاهاة وإنما نحن وفد توبةٍ، والتوبةُ
٥ تُتلقّى بالاستكانة .

وقع بين أبى مسلم وبين قائد له كلام ، فأرْبَى عليه القائد الى أن قال له : يا لَقيط ! فأطرق أبو مسلم، فلما سكنتْ عنه فَوْرةُ الغضبِ نَدِم وعلم أنه قد أخطأ واعتذر وقال : أيها الأمير، والله ما انبسطتُ حتى بسطتَنى ولا نطقتُ حتى أنطقتَنى فاغفر لى؛ قال : قد فعلتُ؛ فقال : إنى أُحبّ أن أستوثِقَ لنفسى؛ فقال أبو مسلم :
١٠ سبحان الله ! كنتَ تُسِىء وأُحسِن، فلما أحسنتَ أُسِىء ! .

قال الطّائى :

وكم ناكثٍ للعهدِ قد نكثتْ به * أمانيه واستخذَى بحقّك باطلُهْ
فخاطَ له الإقرارُ بالذنب روحَه * وجثمانَه اذ لم تَحُطْه قبائلُهْ

وقال آخر :

١٥ حتى متى لا تَزال معتـذِرًا * من زلّة منك ما تُجانِبُها
لا تتّقى عيبَها عليكَ ولا * ينهاك عن مثلِها عواقِبُها
لَتَرْكُكَ الذنبَ لا تقارِفه * أيسرُ من توبةٍ تقارِبُها

قال أعرابىٌّ لابن عمٍّ له : سأتخطّى ذنبَك الى عذرِك ، وإن كنتُ من أحدهما على يقينٍ ومن الآخرِ على شك ؛ ليتمَّ المعروفُ منّى اليك ، ولتقوم الحجّةُ منّى
٢٠ عليك .

عَتْبُ الإخوان والتباغُض والعداوةُ

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا عبد الوارث عن يزيدَ بن القاسم عن مُعَاذة أنها سمعت هشامَ بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يَحِلّ لمُسلم أن يُصارِم مسلما فوقَ ثلاثٍ، وأيّهما فعل فإنهما نا كبان عن الحقّ ما داما على صُرْمِهما وإن ماتا لم يَدْخُلا الجنة".

قال بعض الشعراء:

سَنّ الضغائنَ آباءٌ لنا سلَفوا * فلن تَبيدَ وللآباء أبناءُ

هذا مثل قول أبى بكر الصّدّيق رضى الله عنه: العداوةُ تُتوارثُ.

وقرأتُ فى كتاب للهند: اذا كانت المَوْجِدة عن علّة كان الرضا مرجوًّا، واذا كانت عن غير علة كان الرضا معدوما. ومن العجب أن يطلب الرجلُ رضا أخيه فلا يَرْضى، وأعجبُ من ذلك أن يُسْخِطَه عليه طلَبه رضاه.

قال بعض المحدَثين:

فلا تَلْهُ عن كسب وُدّ العدوّ * ولا تجعلنّ صديقًا عدوّا

ولا تغترِرْ بهُدُوِّ امرئٍ * اذا هِيج فارق ذاك الهدوّا

وقال آخر:

احذَرْ مودّةَ ماذِقٍ[1] * شابَ المرارةَ بالحلاوه

يُحصِى العيوبَ عليك أيام الصداقةِ والعداوه

وقال أبو الأسود الدُّؤلىّ:

اذا المرءُ ذو القربى وذو الضِّغْنِ أجحفت * به سَنَةٌ حلّتْ مصيبتُه حِقْدِى

(١) الماذق: الذى يشوب الودّ بكدر ولا يخلصه.

وقال محمد بن أبان اللّاحِق لأخيه إسماعيلَ :

تلومُ على القطيعة مَن أتاها * وأنت سَنَنْتَها فى الناس قَبْلِى

وقال آخر :

ورُوِّعتُ حتى ما أراعُ من النّوى * وإن بان جيرانٌ علىّ كِرامُ

فقد جعلتْ نفسى على اليأس تنطوِى * وعَيْنى على هجر الصديق تنامُ

قال أحمدُ بن يوسف الكاتب :

ما على ذا كنّا افترقْنا بسِنْدا (١) * دَ ولا بيننا عقَدْنا الإخاءَ

نطعنُ الناسَ بالمُثقَّفةِ السُّمـ * ـرِ على غَدْرهم وننسى الوفاءَ

قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسانُ من عدوّه ؟ قال : بأن يزداد فضلا فى نفسه .

وكان يقال : احذَرْ مُعاداة الذليل، فربما شَرِق بالذّباب العزيزُ .

كتب رجل من الكتّاب الى صديقٍ له تجنّى عليه :

عَتَبْتَ علىّ ولا ذنبَ لِى * بما الذنبُ فيه ولا شكّ لَكْ

وحاذرتَ لَوْمى فبادرتَنى * الى اللوم من قبل أن أبْدُرَكْ

فكنّا كما قيل فيما مضى * خُذِ اللّصَّ من قبل أن يأخُذَكْ

وقال آخر :

رأيتُك لما نلتَ مالًا، ومَسّنا * زمانٌ ترى فى حدّ أنيابه شَغْبا (٢)

جعلتَ لنا ذنبًا لتمنَعَ نائلًا * فأمسِكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنبا

---

(١) سنداد : اسم موضع . (٢) الشغب : تهييج الشرّ، وفى الأصل : «شعبا» .

وقال آخر :

تُرِيدين أن أرضَى وأنتِ بخيلةٌ * ومَنْ ذا الذى يُرضِى الأخلّاءَ بالبخلِ
وجَدِّكِ لا يَرْضى(١) اذا كان عاتبا * خليلُك إلا بالمودّةِ والبذلِ
متى تجمعِي مَنًّا كثيرًا ونائلًا * قليلا يُقطِّعْ ذاك باقيةَ الوصلِ

كتب رجل الى صديق له :

لئن ساءنِى أن نِلتنى بمَساءةٍ * لقد سرّنى أنّى خطرتُ ببالكِ(٢)

وقال آخر :

إذا رأيتُ آزورارا من أخى ثقةٍ * ضاقتْ علىّ برُحْبِ الأرض أوطانى
فإن صددتُ بوجهى كى أُكافئه * فالعين غَضْبَى وقلبى غيرُ غضبان

وقال إبراهيمُ بن العباس :

وقد غضِبتُ فما بالَيتُمُ غضبِي * حتى آنصرفتُ بقلبٍ ساخطٍ راضِى

وقال زُهيرٌ :

وما يك فى عدوٍّ أو صديقٍ * تُخبِّرْك العيونُ عن القلوبِ

وقال دُرَيْد :

وما تَخْفَى الضغينةُ حيث كانت * ولا النظرُ الصحيحُ من السقيمِ

وقال آبن أبى خازم :

خُذْ من الدهر ما كَفى * ومن العيش ما صفا
لا تُلِحّنّ بالبكا * ء على منزلٍ عفا

(١) فى الأصل : «وجدتك لا ترضى» . (٢) هذا البيت من قصيدة لابن الدمينة مطلعها :
قفى يا أميم القلب نقض لبانة * ونشك الهوى ثم افعلى ما بدالك

خَلِّ عنـــك العتاب إن * خان ذو الـوُدّ أو هفـا
عينُ من لا يُحِبّ وصـ * ـلَك تُبدى لك الجفـا

وقال أعرابىّ يذكر أعداءً :

يُزَمِّلون[1] جَنِينَ الضِّغنِ بينهـم * والضِّغنُ أَشْوهُ أو فى وجهه كَلَفُ[2]
إن كاتَمونا القِـلَى نمّت عيونُهـم * والعينُ تُظْهِر ما فى القلبِ أو تَصِفُ

وقال ٱبنُ أبى أميّة :

كم فَرْحةٍ كانت وكم تَرْحةٍ * تخرّصَتْهـا لِىَ فيـكَ الظنونْ
اذا قـلوبٌ أظهـرت غيرَ ما * تُضْمِره أنبَتْـك عنها العيونْ

وقال آخر :

أما تُبْصِـــر فى عيْـــنَىَّ عُنوانَـــ الذى أُبدى

وقال آخر :

ومولًى كأنّ الشمس بينى وبينه * اذا ما ٱلتقينا ليس ممّـن أُعاتِبُهْ

يقول : لا أقدر [أن] أنظر اليه، فكأن الشمس بينى وبينه . ومثلُه :

اذا أَبصَرْتَنى أعرضتَ عنّى * كأنّ الشمس من قِبَـلِى تدورُ

وقال النَّمِر بن تَوْلَب فى الإعراض :

فصدّتْ كأنّ الشمس تحت قِناَعِها * بَدا حاجِبٌ منها وضَنّتْ بحاجِبِ

أخذه أبو نواس فقال :

يا قمرا للنِّصفِ من شَهْرِهِ * أبدى ضِياءً لثمـانٍ بَقِينْ

يريد أنه أعرض بوجهه فبدا له نصفُه .

---

(١) زمل الشىء : أخفاه . (٢) الكلف : شىء يعلو الوجه كالسمسم و يعرف بالنمش .

وقال آخر فى الضغينة :

وفينا و إن قيل اصطلحنا تضاغنٌ * كما طرّ أوبارُ الجراب على النَّشْرِ[1]

وقال آخر فى نحوه :

وقد ينبتُ المرعى على دِمَنِ الثّرى * وتبقى حَزازاتُ النفوسِ كما هيا

وقال الأخطل :

إنّ الضغينةَ تلقاها و إن قَدُمتْ * كالعُرِّ[2] يكمُنُ حينـا ثم ينتشرُ

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلاما اذا قَدَروا

وقرأتُ فى كتابِ للهنـد : ليس بين عداوةِ الجوهريّة صلحٌ إلا ريثما ينتكثُ، كالمـاء إن أُطيل إسخانُه فانه لا يمتنع من إطفاء النار اذا صُبّ عليها .

قال سـعد بن أبى وقّاص لعمّار بن ياسر : إن كنّا لنَعُدُّك من أكابر أصحاب محمد صلى الله عليه وسـلم، حتى اذا لم يبق من عمرك إلا ظِمْءُ[3] الحمـار فعلتَ وفعلتَ؛ قال : أيُّما أحبُّ اليك: مودّةٌ على دَخَلٍ أو مُصارمةٌ جميلة ؟ قال: مصارمةٌ جميلةٌ؛ قال : لله علىّ ألّا أُكلّمك أبدا .

وقال بعضُ الشعراء فى صديقٍ له تغيّر :

اِحْوَلَّ[4] عنّى وكان ينظر من * عيْنى و يَرمى بساعدى ويَدى

---

(١) النشر: الكلأ يهيج أعلاه وأسفله ندىّ أخضر تدفأ منه الابل (يكثر وبرها وشحمها) اذا رعته؛ كذا ذكره صاحب اللسان فى مادة (نشر)، وقد ساق هذا البيت فى أبيات لعمير بن حباب، وقال فى تفسيره : يقول : ظاهرنا فى الصلح حسن فى مرآة العين وباطننا فاسد كما تحسن أوبار الجربى عن أكل النشر وتحتها داء منه فى أجوافها . قال أبو منصور : وقيل النشر فى هذا البيت : نشر الجرب بعد ذهابه ونبات الوبر عليه حتى يخفى . قال : وهذا هو الصواب . يقال : نشر الجرب ينشر نشرا ونشورا اذا حيى بعد ذهابه» اهـ .

(٢) العرّ : الجرب . (٣) يقال : ما بقى منـه إلا قدر ظِمْء الحمار أى لم يبق من عمره إلا اليسير لأنه يقال : إنه ليس شىء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار وهو أقل الدواب صبرا على العطش يرد الماء كل يوم فى الصيف مرتين . (٤) احولت عينه بمعنى حولت؛ والمراد الإعراض والانصراف .

وقال المُثَقِّب العَبْدىّ :

ولا تَعِدِى مواعِدَ كاذباتٍ * تمرّ بها رياحُ الصيفِ دونى

فإنى لو تُعاندنى شِمَالِى * عِنادَكِ ما وصلتُ بها يمينى

اذًا لقطعتُها ولقلتُ بِينِى * كذلك أجتوِى مَنْ يجتوِينى

٥ وقال الكُمَيْت :

ولكنّ صبرًا عن أخٍ عنك صابرٍ * عَزاءً[1] اذا ما النفس حَنّ طَرُوبُها

رأيتُ عِذابَ الماءِ إن حِيلَ دونها * كفاكَ لِما لا بُدّ منه شَرُوبُهَا[2]

وإن لم يكن إلا الأسِنّة مركبٌ * فلا رأىَ للمَجْهُود[3] إلا ركوبُها

وقرأت فى كتابٍ للهند : العدوّ اذا أحدث صداقة لعلةٍ ألجأته اليها فمع ذهابِ

١٠ العلة رجوع العداوة، كالماء يسخن فاذا رُفِعَ عاد باردا .

قال محمد بن يزداد الكاتب : اذا لم تستطع أن تقطعَ يدَ عدوّك فقبّلها .

قال الشاعر :

لقــد زادنى حبًّا لنفسيَ أننِى * بغيضٌ الى كل آمرئٍ غيرِ طائلِ

اذا ما رآنى قَطَّعَ الطرفَ دونَه * ودُونِىَ فعلَ العارفِ المتجاهلِ

١٥ ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنها * من الضِّيق فى عينيه كِفّةُ حابلِ

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اِعتزِلْ عدوّك وآحذرْ صديقَك إلا الأمينَ، ولا أمينَ إلا من خشِىَ اللهَ .

الهيثم عن آبن عيّاش قال : أخبرنى رجل من الأَزْد قال : كنّا مع أسد بن عبد الله بخراسانَ، فبينا نحن نسير معه وقد مَدَّ نهرٌ فجاء بأمرٍ عظيم لا يوصفُ، وإذا رجل

---

٢٠ (١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء (ص ٣٧١ طبع أوروبا) . وفى الأصل : «لك» .

(٢) الشروب والشريب : الماء بين العذب والملح وليس يشربه الناس إلا للضرورة . (٣) فى كتاب الشعر والشعراء : «للضطر» وهى الرواية المشهورة .

يضربه الموج وهو ينادى : الغريقَ الغريقَ ! فوقف أسد وقال : هل من سابح ؟ فقلت : نعم، فقال : ويحك ! اِلحَقِ الرجلَ ! فوثبتُ عن فرسى وألقيتُ عنّى ثيابى ثم رميتُ بنفسى فى الماء، فما زلتُ أسبَحُ حتى إذا كنت قريبا منه قلت : ممن الرجلُ؟ قال : من بنى تَميم ؛ قلت : امضِ راشدًا، فوالله ما تأخرتُ عنه ذراعا حتى غَرِق : فقال ابن عياش : فقلت له : ويحك ! أما اتقيتَ الله ! غرَّقتَ رجلا مسلما ! فقال : والله لو كانت معى لبنةٌ لضربتُ بها رأسَه .

طاف رجلٌ من الأزد بالبيت وجعل يدعو لأبيه ؛ فقيل له : ألا تدعو لأمّك؟ فقال : إنها تميميةٌ .

وقرأت فى كتابٍ للهند : جانب الموتورَ وكن أحذرَ ما تكون له ألطفَ ما يكون بك، فإنّ السلامةَ بين الأعداءِ توحُّشُ[1] بعضِهم من بعض، ومن الأنس والثقةِ حضورُ آجالهم[2] .

أراد الملكُ قتلَ بُزُرْجِمْهر وأن يتزوّج ابنته بعد قتله ؛ فقال : لو كان مِلكُكم حازما ما جعل بينه وبين شعاره مَوْتورة .

قال أبو حازم : لا تُناصِبَنَّ رجلا حتى تنظر الى سريرته ؛ فإن تكن له سريرةٌ حسنةٌ فإن الله لم يكن يخذُله بعَداوتكَ إياه ، وإن كانت سريرتُه رديئةً فقد كفاك مساوِيَه، لو أردتَ أن تعمل بأ كثرَ من معاصى الله لم تقدِر .

قال رجل : إنى لأغتنم فى عدوّى أن أُلقِيَ عليه النملةَ وهو لا يشعُر لتؤذيَه .

وقال الأَفْوه الأَوْدِىّ :

بلوتُ الناسَ قَرنا بعد قَرنٍ * فلم أر غيرَ خَلّابٍ وقالِى
وذُقتُ مرارةَ الأشياءِ جمعا * فما طعمٌ أمرُّ من السؤالِ
ولم أر فى الخطوب أشدَّ هولًا * وأصعبَ من مُعاداةِ الرجالِ

(١) فى الأصل : «توحشة» . (٢) رويت هذه الحكاية برواية أخرى فى العقد الفريد ج ١ ص ٧٩

وقال آخر :

بلاءٌ ليس يشـــبهه بلاءٌ * عداوةُ غير ذى حسبٍ ودِينِ

يُبيحكَ منه عِرضا لم يَصُنه * ويرتعُ منك فى عِرضٍ مصون

شمـاتة الأعـــــداء

بلغ عمرو بنَ عتبةَ شماتةُ قومٍ به فى مصائبَ، فقـال : واللهِ، لئن عظُم مُصابنا بموت رجالنا لقد عظُمتِ النعمةُ علينا بما أبقى الله لنا : شُبّانًا يَشُبّون الحروبَ، وسادةً يُسْدُون المعروفَ، وما خُلِقْنا ومَنْ شَمِتَ بنا إلا للموت .

قيل لأيوبَ النبىّ عليه السلام : أىّ شىء كان أشدّ عليك فى بلائك ؟ قال : شماتةُ الأعداء .

اشتكى يزيدُ بن عبد الملك شَكاةً شـديدةً وبلغه أنّ هشاما سُرَّ بذلك ، فكتب الى هشام يعاتبه، وكتب فى آخر الكتاب :

تمنّى رجالٌ أن أموتَ، وإن أَمُتْ * فتلك سبيلٌ لستُ فيهـا بأوحدِ

وقد علِموا، لو ينفعُ العلمُ عندهم ، * متى مِتُّ ما الداعى علىّ بمُخْـــلَدِ

منيّتُـــه تجرى لوقتٍ وحتفُـــه * يصـادفُه يوما على غير مَوعدِ

فقل للذى يبغى خِلافَ الذى مضى * تهيّأْ لأخرى مثـلِها فكأنْ قـــد

وقال الفرزدقُ :

اذا ما الدّهرُ جرّ على أُناسٍ * حوادثَه أناخ بآخرينـــا

فقل للشامتين بنا أَفيقُوا * سيلقَى الشامتون كما لَقِينا

أُغيرَ على رجلٍ من الأعراب فذُهِب بإبله فقال :

لا والذى أنا عبدٌ فى عِبادته * لولا شماتةُ أعداءٍ ذوِى إحَنِ

ماسرّنى أنّ إبْلِى فى مَبَارِكها * وأنّ شيئًا قضاه الله لم يكنِ

وقال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

أرواحٌ مُودِّعٌ أم بُكورُ * لكَ فانظر لأىّ حالٍ تصيرُ

وابيضاض السوادِ من نُذُرِالمو * تِ فهل بعده لإنسٍ نَذيرُ

أيّها الشامتُ المعيِّر بالدّهـ * ـرِ أأنتَ المبرّأُ الموفورُ

أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيّـ * ـام أم أنت جاهلٌ مغرورُ

مَن رأيتَ المنونَ خلّدن أم مَنْ * ذا عليه من أن يُضامَ مُجيرُ

أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشر * وانُ أم أين قبله سابورُ(١)

وأخو الحَضْر(٢) إذ بناه وإذ دِجْـ * ـلةُ تُجبَى إليه والخابورُ(٣)

شادَهُ مَرمرًا وجلّلَه كِلْـ * ـسًا(٤) فللطّيرِ فى ذُراه وُكورُ

لم يَهَبْه ريبُ المنونِ فباد الـ * ـملكُ عنه فبابُه مهجورُ

وتبيّنْ ربَّ الخَوَرنق إذ أشـ * ـرفَ يوما وللهُدَى تفكيرُ

سرّه حالُهُ وكثرةُ ما يمـ * ـلِك والبحرُ مُعرِضًا(٥) والسَّديرُ

فارعَوى قلبُه فقال وما غِبـ * ـطةُ حىٍّ الى المماتِ يصيرُ

ثم بعد الفلاحِ والمُلك والنّعـ * ـمةِ(٦) وارَتْهُمُ هناكَ القبورُ

ثم أضحَوا كأنهم وَرَقٌ جَفْـ * ـفَ فألوَتْ به الصَّبا والدَّبُورُ

---

(١) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز، وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان . (٢) الحضر : قصر بجبال تكريت بين دجلة والفرات، ويعنى بأخيه الضيزن بن معاوية بن العبيد، وخبر قصرى الحضر والخورنق مذكور فى الأغانى ج ٢ ص ١٤٠ — ١٤٦ طبع دار الكتب المصرية . (٣) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة . (٤) الكلس : الصاروج وهو النورة التى تطلى بها المنازل . (٥) معرضا : متسعا، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض . (٦) فى الأغانى ج ٢ ص ١٣٩ : «والإمّة» وهو بمعناها .

قال ٱبن الكلبي : لمـا قُبِض النبيّ صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساءٌ من كِندة وحضرموت فخَضَبْن أيديهنّ وضربْنَ بالدفوف، فقال رجل منهم :

أبلِـغْ أبا بكرٍ اذا ما جئتَــه * أنّ البغـايا رُمنَ أىّ مَرامِ

أظهـرن من موت النبيّ شماتة * وخضـبنَ أيديهـنّ بالعُـلّام (١)

فٱقطَعْ، هُديتَ، أكفَّهنّ بصارمٍ * كالبرقِ أومضَ من متون غَمـامِ ٥

فكتب أبو بكر الى المهاجر عامله، فأخذهنّ وقطّع أيديهنّ .

وقرأت فى كتاب ذُكر فيه عدوّ : فإنه يتربَّصُ بك الدوائرَ، ويتمنّى لكَ الغوائلَ، ولا يؤمّل صلاحًا إلا فى فَسادك، ولا رِفعةً إلا فى سقوط حالك والسلام .

(١) العلام بالتشديد : الحناء، عن ابن الأعرابي .

وجد بالأصل فى آخر هذا الكتّاب ما نصّه :

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَورِىّ رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرىّ، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وصلى الله على سيدنا محمد النبىّ وآله الطاهرين .

وفى هذه الصفحة عينها وجد ما يأتى — وهو من زيادة الناسخ — :

قيل قدم المهدى أمير المؤمنين، وقيل الرشيد[1]، فتلقّاه الناس، وتلقّاه أبو دُلَامة فى جملة الناس، فأنشده :

إنى نذرتُ لئن رأيتُك سالما * بقُرَى العراق وأنت ذو وَفْرِ
لتصلّينّ على النبىّ محمد * ولتملأنّ دراهمًا حِجْرى

فقال له أمير المؤمنين : أما الأولى فنعمْ . اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وأما الأخرى فلست أفعل، فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الآثنين، فضحك وأمر حتى ملئوا حجره دراهم .

شاعر[2] :

ولقد تنسمتُ الرياحَ لحاجتى * فاذا لها من راحتيكَ نسيمُ
ولربّما استيأستُ ثم أقول لا * إن الذى ضمن النجاحَ كريمُ

(١) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفى سنة إحدى وستين ومائة، وتولى الرشيد الخلافة سنة سبعين ومائة، ثم قال ابن خلكان : ويقال إنه عاش الى أيام الرشيد .

(٢) هو أبو العتاهية .

كتاب الحــوائج

استنجاح الحوائج[1]

حدّثنى أحمدُ بن الخليل قال حدّثنا محمدُ بن الخَصِيب قال حدّثنى أوسُ بن عبد الله بن بُريدَةَ عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُريدة عن بُريدَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اِسْتعينُوا على الحوائج بالكتمانِ فإنّ كلّ ذى نِعمةٍ محسودٌ" .

قال خالدُ بن صفوان : لا تَطلبُوا الحوائجَ فى غير حينها، ولا تطلبوها الى غير أهلها، ولا تطلُبوا ما لستم له بأهلٍ فتكونوا للمنع خُلَقاءَ .

قال شبيبُ بن شيبةَ : إنّى لأعرف أمرًا لا يتلاقَى به آثنانِ إلّا وجب النُّجْحُ بينهما؛ فقال له خالدُ بن صفوانَ : ما هو ؟ قال : [العقل، فإنّ][2] العاقل لا يَسأل مالا يجوز ولا يُرَدُّ عما يُمكن، فقال له خالد : نَعَيْتَ الىّ نفسى ! إنّا أهلُ بيتٍ لا يموتُ منا أحدٌ حتى يرى خَلَفَه .

---

(١) الحوائج : جمع حاجة على غير قياس، وجمعها القياسى : حاج وحاجات، وقد أنكر الأصمعى حوائج وقال هو مولد . قال الجوهرى : وإنما أنكره لخروجه عن القياس وإلا فهو كثير فى كلام العرب، ثم استشهد بكثير من الشعر وبأحاديث ذكرها المؤلف هنا . والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حائجة . وذكر بعضهم أنه سمع حائجة لغة فى الحاجة . (٢) التكملة من العقد الفريد ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

أبو اليقظان قال : كان بنو رَبيعة — وهم من بنى عِسْلِ[1] بن عمرو بن يربوع — يُوصونَ أولادهم فيقولون : استعينوا على الناس فى حوائجكم بالتثقيل عليهم، فذاك أنجح لكم .

قال الشاعر :

هَيبــةُ الإخوان مَقْطَعــةٌ ＊ لأخى الحاجاتِ عن طَلَبِهْ

فإذا ما هِبتَ ذا أمَــلٍ ＊ مات ما أمّلتَ من سببِهْ

وقال أبو نُوَاس :

وما طالبُ الحاجاتِ ممّن يَرومُهــا[2] ＊ من الناس الا المُصبِحونَ على رِجْلِ

تأنّ مواعيــدَ الكرامِ فربّمــا ＊ أصبتَ من الإلحاح سَمْحًا على بُخْلِ

والبيتُ المشهور فى هذا :

إنّ الأمورَ اذا انسدّتْ مَسَالِكُها ＊ فالصــبرُ يفتحُ[3] منها كلّ ما ارتُتِجَـا

أخْلِقْ بذى الصبر أن يحظَى بحاجته ＊ ومُدمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يلِجَا

لا تيأسَنّ وإن طالتْ مُطالبةٌ ＊ إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترَى فرجَا

وقال آخرُ :

إنّى رأيتَ، وللأيّامِ تجــرِبةٌ، ＊ للصبرِ عاقبــةً محمــودةَ الأثرِ

وقلَّ مَنْ جَدَّ فى أمرٍ يُطالبه[3] ＊ واستصحبَ الصبرَ إلّا فاز بالظَّفرِ

---

(١) ورد هذا الاسم بالأصل محرفا هكذا : « غسان » وصوابه كما أثبتناه (انظر القاموس وشرحه مادة عسل) . (٢) روى هذا فى اللسان مادة رجل هكذا :

＊ ولا يدرك الحاجات من حيث تبتغى ＊

(٣) فى العقد الفريد ج ١ ص ٨٩ : «يحاوله» .

والعرب تقول : «رُبَّ عَجَلَة تَهَبُ رَيْثًا» . يريدون أن الرجل قد يَخْرَقُ و يعجَل في حاجته فتتأخّر أو تبطُل بذلك . وتقول : «الرَّشْفُ أنقعُ» . يريدون أن الشراب الذى يُترشَّفُ رُويدًا رُويدًا أقطعُ للعطش و إن طال على صاحبه .

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيدَ بنِ الصَّعِق :

إنك إن كلَّفتَنى ما لم أُطِـقْ * ساءكَ ما سرَّكَ مِنّى من خُلُقْ ٥

وكانوا يَستنجِحُون حوائجَهم بركعتين يقولون بعدهما : اللهم إنّى بكَ أستَفْتِــحُ ، و بكَ أستنجِحُ ، و بمحمّد نبيك اليك أتوجّه ، اللهم ذَلِّلْ لى صعوبتَه ، وسَهِّلْ لى حُزُونَتَه ، وٱرزُقنى من الخير أكثرَ مما أرجُو ، وٱصرِف عنّى من الشّر أكثرَ مما أخاف .

وقال القَطامىّ :

قد يُدرِكُ المتأنّى بعضَ حاجتِه[1] * وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ ١٠

عمرُو بن بحرٍ عن إبراهيم بن السِّنْدىّ قال : قلت فى أيام ولايتى الكوفةَ لرجلٍ من وجوهها ، كان لا يجفّ لِبْده[2] ولا يستريح قلبه ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال و إدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلا مُفوّها ، خبِّرنى عن الشيء الذى هوّن عليك النَّصَبَ وقوّاكَ على التعب ما هو؟ قال : قد والله سمعتُ تغريدَ الطير بالأسحار، فى أفنان الأشجار، وسمعتُ خَفْقَ أوتارِ العيدان ، وترجيعَ أصوات القِيانِ الحسان ، ما طرِبتُ من صوتٍ قطُّ طربى من ثناء حسنٍ بلسانٍ حسنٍ على رجلٍ قد أحسن ، ومن شكرِ حُرٍّ لمنعِمٍ حُرٍّ، ومن شفاعة مُحتَسِبٍ لطالبٍ شاكر . قال إبراهيم : فقلتُ : لله أبوك لقــد حُشِيتَ كرما فزادكَ الله كرما ، فبأىّ شيء سَهُلَتْ عليــك المعاودةُ والطلبُ؟ ١٥

(١) كذا فى ديوان القطامى وهى الرواية المشهورة فى كتب الأدب . وفى الأصل : * قد يدرك المتأنى بعدَ حاجتَه * وهى رواية جيدة .
(٢) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٨٦ ، وفى الأصل : «قلبه» . ٢٠

قال : لأنى لا أبلغ المجهودَ ولا أسأل مالا يجوز، وليس صدقُ العذر أكرَهَ الىّ من إنجاز الوعد، ولست لإكداء السائل أكرَه منّى للإجحاف بالمسئول ، ولا أرى الراغبَ أوجبَ علىّ حقًّا للذى قدّم من حسن ظنه من المرغوب اليه الذى احتمل من كَلِّه[1] .

قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاما قطُّ أشـدَّ موافقة لموضعه ولا أليقَ بمكانه من هـذا الـكلام .

وقال مُصعَبٌ :

في القـوم مُعتصِمٌ بقـوّة أمره * ومُقَصِّرٌ أودَى به التقصـيرُ
لا تَرْضَ منزلةَ الذليل ولا تُقِمْ * في دار مَعجَزةٍ وأنتَ خبـيرُ
واذا هممت فأمضِ همَّكَ إنما * طلب الحوائج كلُّه تغـريرُ

وكان يقال : إذا أحببتَ أن تطاع، فلا تَسألْ ما لا يستطاع .

ويقال : الحوائج تُطلبُ بالرجاء، وتُدركُ بالقضاء .

الاستنجاح بالرّشوة والهديّة

حدّثنى زيد بن أخزم عن عبد الله بن داود قال : سمعتُ سفيانَ الثورىّ يقول : اذا أردتَ أن تتزوّج فأَهْدِ للأمّ . والعرب تقول : « من صانَع[2] لم يحتشِم مِنْ طلب الحـاجة» .

قال ميمون بن ميمون : اذا كانت حاجتُكَ الى كاتبٍ فليكن رسولُكَ الطمعَ .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : نعم الشىء الهديّةُ أمامَ الحاجة .

---

(١) الكل بالفتح : العيال والثقل من كل ما يتكلف . (٢) صانع : هادَى .

وقال رؤبة :

لما رأيتُ الشُّفَعاءَ بلَّدوا[١] * وسألوا أميرَهم فأنكدوا[٢]
نامستُهم[٣] برشوةٍ فأقْرَدوا[٤] * وسهّل الله بها ما شدّدُوا

وقال آخر[٥] :

وكنتُ اذا خاصَمْتُ خصماً كببتُه * على الوجه حتى خاصمتْني الدراهمُ
فلما تنازعْنا الخصومةَ غُلِّبتُ[٦] * عليّ وقالوا قم فإنك ظالمُ

والعرب تقول فى مثل هذا المعنى : «مَنْ يَخطُبِ الحَسْناءَ يُعطِ مَهرًا» يريدون مَن طلب حاجةً مُهِمَّةً بذل فيها .

وقال بعضُ المُحْدَثينَ :

ما مِن صديقٍ وإن تمت صداقته[٧] * يومًا بأنجحَ فى الحاجات من طَبَقِ
اذا تلثّم[٨] بالمنديل منطاقا * لم يَخش نَبْوةَ بوّابٍ ولا غَلَقِ
لا تُكْذَبَنّ[٩] فإنّ الناس مُذ خُلِقُوا * لرغبةٍ يكرمون الناسَ أو فَرَقِ

وقال آخر :

ما أرسل الأقوامُ فى حاجةٍ * أمضى ولا أنجحَ من درهمِ
يأتيك عفوًا بالذى تشتهى * نِعم رسولُ الرجلِ المسلمِ

(١) يقال : بلد الرجل اذا لم يتجه لشىء، وبلد اذا نكس فى العمل وضعف . (٢) أى منعوا الحاجة ولم يعطوا . (٣) يقال : نامس الرجل صاحبه منامسة ونماسا اذا ساوره . (٤) يقال : أقرد الرجل وقرد اذا ذلّ وخضع . (٥) هو رجل من ولد طلبة (ضبط فى الكامل بالقلم بفتح الطاء وسكون اللام وكسرها واقتصر فى المعارف على كسر اللام) بن قيس بن عاصم (انظر الكامل للمبرد ج ١ ص ٨٤ طبع أوربا) . (٦) يقال : غلب الرجل على صاحبه اذا حكم له عليه بالغلبة . (٧) فى المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٣٦٧ طبع أوربا : « أبدى مودّته » . (٨) فى المحاسن والأضداد : « تقنّع » . (٩) فى المحاسن والأضداد : « لا تكذبنّ » .

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدّثنى سهلُ بن محمد عن الأصمعىّ قال : دخل أبو بكر الهَجَرىّ على المنصور فقال : يا أميرَ المؤمنين نَغَضَ فمى[1] وأنتم أهلُ بيتِ بركة، فلو أذِنتَ لى فقبّلتُ رأسك لعل الله يُشَدِّدُ لى منه ! فقال أبو جعفر : اختَرْ منها ومن الجائزة ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين، أهونُ علىّ من ذَهَابِ درهم من الجائزةِ ألّا تَبْقَى فى فمى حاكّةٌ[2] .

قال أبو حاتم : وحدّثنا الأصمعىّ عن خَلَف قال : كنتُ أرى أنه ليس فى الدنيا رُقْية إلا رقية الحيّات ، فاذا رقية الخبزِ أسهلُ . يعنى ما يتكلّفه الناسُ من الكلام لطلب الحيلة .

قال رجلٌ للفضل بن سَهْل يسأله : الأجَلُ آفةُ الأمَل، والمعروفُ ذخيرةُ الأبد، والبِرُّ غنيمةُ الحازِم، والتفريطُ مصيبةُ أخى القدرة ؛ فأمر وهبًا كاتبَه أن يكتُبَ الكلماتِ . ورفع[3] اليه رُقْعةً فيها : يا حافظ مَنْ يُضَيِّع نفسَه عنده ، ويا ذاكر مَنْ يَنْسَى نصيبَه منه، ليس كتابى إذا كتبتُ استبطاءً، ولا إمساكى إذا أمسكتُ استغناءً ؛ لكنّ كتابى اذا كتبتُ تذكرةٌ لك، وإمساكى إذا أمسكتُ ثقةٌ بك .

وقال رجل لآخر : ما قصّرتْ بى هِمّةٌ صيّرتنى اليك ، ولا أخّرنِى ارتيادٌ دلّنِى عليك، ولا قَعَد بى رجاءٌ حدانِى الى بابك. وبِحَسْبِ معتصمٍ بك ظَفَرٌ بفائدةٍ وغنيمةٍ، ولَجْءٌ الى موئلٍ وسَنَدٍ .

دخل الهُذَيْل بن زُفَر على يزيد بن المُهَلّب فى حَمَالاتٍ[4] لَزِمته، فقال له : قد عَظُم شأنُك عن أن يستعانَ بك أو يستعانَ عليك، ولستَ تصنع شيئًا من المعروف إلّا وأنت أكثرُ منه ، وليس العَجَبُ أن تفعل، وإنما العجبُ مِن ألّا تفعل .

(١) يقال : نغضت أسنانه أى قلقت وتحرّكت . (٢) الحاكة : السنّ لأنها تحك صاحبتها أو تحك ما تأكله ، صفة غالبة . (٣) فى الأصل : « وقع » . (٤) الحمالات جمع حمالة (بالفتح) وهى : ما يحمله الإنسان من دية أو غرامة .

قال الحَمْدُونىّ فى الحسين بن أيوب والى البَصْرة :

قُلْ لابنِ أيّوبَ قد أصبحتَ مأمولَا * لا زال بابُك مَغْشيًّا ومأهولَا
إن كنتَ فى عُطْلةٍ فالعذرُ مُتَّصِلٌ * وصِلْ اذا كنتَ بالسلطانِ موصولَا
شَرُّ الأخلّاءِ مَنْ وَلّى قفاه اذا * كان المُوَلّى وأعطى البِشْرَ معزولَا
مَنْ لم يُسَمِّنْ جوادًا كان يركبُهُ * فى الخِصْبِ قام به فى الجَدْبِ مهزولَا ٥
افْرُغْ لحاجاتنا ما دمتَ مشغولا * لو قد فَرَغْتَ لقد أُلفيتَ مبذولا

وقال آخر :

ولا تعتذِرْ بالشُّغْل عنّا فإنما * تناطُ بك الآمالُ ما اتّصل الشُّغْلُ

وأتى رجلٌ بعضَ الوُلاة ، وكان صديقَه ، فتشاغل عنه ، فتراءى له يومًا ، فقال : اعذِرْنِى فإنّى مشغول ؛ فقال : لولا الشغلُ ما أتيتُك . ١٠

وكتب رجلٌ الى صديقٍ له : قد عرضَتْ قِبلَكَ حاجةٌ ، فإنْ نَجَحتْ بك فالفانِى منها حَظّى والباقِى حظُّك ، وإن تَعتذِرْ فالخيرُ مظنونٌ بك والعذرُ مُقَدَّمٌ لك .

وفى فصلٍ آخر : قد عَذَرك الشُّغْلُ فى إغفالِ الحاجةِ وعذَرنى فى إنكارك .

وفى فصل آخر: قد كان يجب ألّا أشكوَ حالى مع علمك بها ، ولا أقتضيَك عمارتَها بأكثرَ من قدرتِك عليها ؛ فلربّما نِيلَ الغِنَى على يَدَىْ مَنْ هو دونَك بأدنَى مِن حُرْمتى . ١٥ وما أستصْغِرُ ما كان منك إلا عنك ، ولا أستقِلُّه إلا لك .

وقال آخر: إن رأيتَ أن تُصَفِّد يدًا بصنيعةٍ باقٍ ذكرُها جميلٍ فى الدهر أثَرُها ، تَغتنِمُ غِرَّة الزمان فيها وتُبادر فَوْتَ الإمكان بها ، فافعَلْ .

قَدِم على زِيادٍ نفرٌ من الأعراب فقام خطيبُهم فقال : أصلح الله الأميرَ! نحن ، وإن كانت نزَعت بنا أنفُسُنا إليك وأنضينا[1] ركائبنا نحوك التماسًا لفضلِ عطائك ، ٢٠

(١) أنضينا : أهزلنا .

عالمون بأنه لا مانِـعَ لمـا أعطَى الله ولا مُعْطِيَ لمـا مَنَع ؛ وإنمـا أنت أيّها الأميرُ خازنٌ ونحنُ رائدون ، فإنْ أُذِنَ لك فأعطيتَ حَمِدْنا اللهَ وشكرْناك ، وان لم يُؤذَنْ لك فمنعتَ حَمِـدنا الله وعذَرناك ، ثم جلس ؛ فقال زياد لجلسائه : تاللهِ ما رأيتُ كلامًا أبلغَ ولا أوجَزَ ولا أنفعَ عاجلةً منه ، ثم أمر لهم بما يُصْلِحُهم .

٥ دخل العَتّابيّ على المأمون ، فقال له المأمون : خُبِّرتُ بوَفاتك فغمّتْني ، ثم جاءتني وِفادتُك فسرّتْني ؛ فقال العتّابي : لو قُسِمتْ هذه الكلماتُ على أهل الأرض لوَسِعَتْهم ؛ وذلك أنه لا دِينَ إلا بِك ولا دُنْيا إلا معـك ؛ قال : سَلْنِي ، قال : يَداكَ بالعطيّة أطلقُ من لساني .

قال نُصَيْب لعمر بن عبد العزيز : يا أميرَ المؤمنين ، كَبِرتْ سِنِّي ورَقَّ عَظْمِي ، ١٠ وبُلِيتُ ببُنَيّاتٍ نَفَضتُ عليهنّ من لوني فكسَدْنَ عليّ ؛ فرَقَّ له عمر ووصله .

سأل رجلٌ أَسَدَ(١) بن عبد الله فاعتلّ عليه ؛ فقال : إني سألتُ الأميرَ من غير حاجةٍ ؛ قال : وما حَمَلك على ذلك؟ قال : رأيتُك تُحِبُّ مَنْ لك عنده حسنُ بَلاء ، فأحببتُ أنْ أتعلّقَ منك بحبلِ مَوَدّة .

لَزِم بعضُ الحكماءِ بابَ بعضِ ملوكِ العجمِ دهرًا فلم يَصِلْ اليه ، فتلطّف للحاجب ١٥ في إيصال رُقْعةٍ ففعل ، وكان فيها أربعةُ أسطُرٍ :

السطرُ الأوّلُ " الأملُ والضّرورةُ أقدمانِي عليك " .

والسطرُ الثاني " والعُدْمُ لا يكونُ معه صبرٌ على المُطَالبة " .

والسطرُ الثالثُ " الانصرافُ بِلا فائدةٍ شماتةٌ للأعداء " .

---

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥ طبع بولاق) «سأل رجل خالدا القسرى حاجة الخ» .

والسطرُ الرابعُ "فإمّا نَعَمْ مثمِرةٌ ، وإمّا لَا مُرِيحةٌ" . فلما قرأها وقّع فى كلّ سطرٍ : زه (١)، فأُعطِىَ ستّةَ عشرَ ألفَ مِثْقالٍ فِضّة .

دخل محمد بن واسع على قُتَيبة بن مُسْلِم ، فقال له : أتيتُك فى حاجةٍ رفعتُها الى الله قبلَك ، فإنْ تَقْضِها حَمِدنا الله وشكَرْناك ، وإن لم تَقْضِها حَمِدنا الله وعَذَرناك ؛ فأمر له بحاجته . وقال له أيضا فى حاجةٍ أُخرى : إنى أتيتُك فى حاجةٍ ، فإنْ شئتَ قضيتَها وكنّا جميعًا كريمَيْن ، وإنْ شِئتَ منعتَها وكنّا جميعًا لئيمَيْن (٢) .

أتى رجلٌ خالدَ بن عبد الله فى حاجةٍ ، فقال له : أتكلّمُ بجُرْأة اليأسِ أم بهيبةِ الأمَلِ؟ قال : بل بهيبة الأمل ؛ فسأله حاجتَه فقضاها .

وقال أبو سَمّالٍ لرجل : لم أَصُنْ وجهى عن الطّلَب اليك ، فصُنْ وجهَك عن ردِّى ، وضَعْنى من كرمِك بحيثُ وضعتُ نفسى من رجائك .

قال المنصور لرجل : ما مالُك ؟ قال : ما يَكُفُّ وجهى ويَعْجِز عن بِرِّ الصّديق فقال : لقد تلطّفتَ للسؤال ، ووصَله .

وقال المنصور لرجلٍ أَحْمَدَ منه أمرًا : سَلْ حاجتَك فقال : يُبقيك الله يا أميرَ المؤمنين ، قال : سل ، فليس يمكنك ذلك فى كلّ وقتٍ ؛ فقال : ولِمَ يا أميرَ المؤمنين !

---

(١) كلمة « ز ه » فى لغة الفرس معناها أحسنت . وفى العقد الفريد ج ١ ص ١٠٠ « فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها » . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠) بعد هذا الكلام تفسير لهذه الجملة هذا نصه : « أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما بسؤالك إياها لأنى وضعت الطلبة فى موضعها ، فإن لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك وكنت أنا لئيما بسوء اختيارى لك » والجزء الأخير من هذا الشرح يشبه قول أبى تمام :

عياش إنك للئيم وإننى * مذ صرت موضع حاجتى للئيم

فوالله لا أستقصر عمرَك ولا أرهَبُ بُخْلَك ولا أغتنم مالَك و إنّ سؤالَك لزَيْنٌ، و إنّ عطاءَك لَشَرف، وما على أحدٍ بَذْل وجهِه اليك نقصٌ ولا شَيْنٌ ، فأمر حتى مُلِئَ فُوه دُرًّا .

قال أبو العبّاس لأبى دُلَامة : سَلْ حاجتَك . قال : كلبٌ؛ قال : لك كلب . قال : ودابّة أتصيد عليها؛ قال : ودابة . قال : وغلام يركب الدابّة ويصيد؛ قال : وغلام . قال : وجارية تُصْلِح لنا الصيدَ وتُطْعِمنا منه؛ قال : وجارية . قال : يا أميرالمؤمنين، هؤلاء عِيال ولا بدّ من دارٍ؛ قال : ودار . قال : ولا بدّ من ضَيْعة لهؤلاء؛ قال : قد أقطعتك مائة جَريبٍ عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وأى شيءٍ الغامرة؟ قال : ليس فيها نباتٌ . قال : فأنا أُقْطِعك ألفا وخمسمائةِ جريبٍ من فيافى بنى أسَدٍ؛ قال : قد جعلتُها [كلَّها لك][1] عامرةً . قال : أُقَبِّل يدَك ؛ قال : أمّا هذه فدَعْها . قال : ما منعتَ عِيالى شيئاً أهونَ عليهم فقدًا منها[2] .

قال عبــد الملك لرجل : مالى أراك واجِما[3] لاتَنْطِق؟ قال : أشكو اليك ثِقلَ الشَّرَف؛ قال : أعِينوه على حَمْله .

رأى زياد على مائدته رجلا قبيحَ الوجه كثيرَ الأكل ، فقال له : كم عيالُك ؟ قال : تسع بنات ؛ قال : أين هنّ منك ؟ قال : أنا أجملُ منهنّ وهنّ آكلُ منّى ؛ قال : ما أحسَنَ ما تلطّفتَ فى السؤال وفرَض له وأعطاه .

---

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٩٨ طبع بولاق ، وقد ذكر هــذه الحكاية صاحب الأغانى فى أخبار أبى دلامة بتوسع عما هنا بالجزء التاسع ص ١٢١ طبع بولاق . (٢) فى الأصل : « فقدا منه » وفى الأغانى : «ما منعت عيالى شيئا أقل ضررا عليهم منها » . (٣) الواجم : الذى اشــتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام ، وقد ساق صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥) هــذه الحكاية بأوسع مما هنا .

وقفتْ عجوزٌ على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قِلّة الجِرْذان ، قال : ما أحسنَ هذه الكناية ! اِملئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا .

وقال بعض القُصّاص فى قَصَصه : اللهم أَقِلَّ صِبْيانَنا وأَكْثِرْ جِرْذانَنا .

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الولِىَّ بالولىّ والجارَ بالجار ، فدخل عليه رجلٌ وعلى رأسه وَصيفةٌ رُوقةٌ[1] ، فنظر اليها ، فقال سليمان : أأعجبتْك ؟ قال : بارك الله لأمير المؤمنين فيها ! قال : هات سبعة أمثالٍ فى الاْستِ[2] وخُذْها ، فقال : «صرّ عليه الغزوُ آستَه» . قال : واحد . قال : «آستُ البائنِ[3] أعلم» ، قال : آثنان . قال : «آستٌ[4] لم تُعوَّدِ المِجْمَرَ تَحْتَرِقُ» ، قال : ثلاثة . قال : الحُرُّ يُعْطِى والعبدُ يَيْجَع بآسته»[5] ، قال : أربعة . قال : «آسْتِى أَخْبَثِى»[6] ! قال : خمسة . قال : «عادَ سَلَاها[7] فى آستها» ،

(١) الوصيفة : الجارية ، والروقة (بالضم) : الحسناء الجميلة . (٢) يضرب لمن ضيق عليه تصرفه أمره . (٣) البائن : الذى يكون عند حلب الناقة من جانبها الأيسر ويقال للذى من الجانب الآخر : المعلى أو المستعلى ، وهو الذى يعلى العلبة الى الضرع . وأصل المثل أن رجلا أضلّ إبله ووجدها فى مُرَّة فآستنجد بالحارث بن ظالم المرى فردّها عليه إلا ناقة كانت عند رجلين يحلبانها ، فقال لهما الحارث : خليا عنها فليست لكما ، وأهوى اليهما بالسيف فضرط البائن وقال المعلى : والله ما هى لك ، فقال الحارث : "إست البائن أعلم" فأرسلها مثلا : يضرب لمن ولى أمرا وصَلِىَ به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يَصْلَ به ، وقيل : يضرب لكل ما ينكر وشاهده حاضر . (٤) يضربُ لمن حصل فى نعمة لم يعهدها . وأصله أنّ ماوية بنت عفْزَر كانت ملكة وكانت تتزوج من أرادت ، وربما بعثت غلمانها ليأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة ، فجاءوها بحاتم الطائى ، فقالت له : آستقدمْ الى الفراش ، فقال هـذه الجملة . أراد : إنى أعرابىّ متقهل (يابس الجلد متقشف) لم أتعوّد الطيب والترف . (٥) الذى فى الأمثال للميدانى : «الحرّ يعطى والعبد يألم قلبه» وقال : يعنى أنّ اللئيم يكره ما يجود به الكريم . وقال فى فرائد اللآل : يضرب لمن يبخل ويأمر غيره بالبخل . (٦) لم يذكر هـذا المثل الميدانى ، وذكره الزمخشرى فى كتابه المستقصى فى أمثال العرب ومنـه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ أدب ؛ وقال فى شرحه : «يضرب فى وضع الشىء فى غير موضعه ، وأصله أنّ سعد بن زيد مناة زوّج أخاه مالكا النوار بنت حُلّ بن عدى رجاءَ أن يولد له ، وكان محمقا ، فانطلق به الى بيت العروس فأبى أن يلج البيت ، فقال له : «لج مالِ ولجت الرَّجَم» (أى القبر) ؛ حتى ولج ونعلاه معلقتان فى ذراعيه ، فقال له : ضع نعليك ، فقال : ساعداى أحرز لها ، ثم أتى بطيب فجعل يجعله فى آسته ، فقالوا له فى ذلك ، فقال : «استى أخبثى» . (٧) السلى : الجلدة التى يكون فيها الولد ، من الناس والمواشى .

قال : ستة . قال : « لا ماءَكِ أَبقيتِ ولا حِرَكِ أَنْقيتِ »[1] ؛ قال : ليس هذا من ذاك ؛ قال : أخذتُ الجارَ بالجارِ كما يفعلُ أميرُ المؤمنين ! قال : خذها .

قال يزيد بن المهلّب لسليمان فى حَمالةٍ[2] كلّمه فيها : يا أميرَ المؤمنين ، والله لحَمْدُها خيرٌ منها ، ولَذِكْرُها أحسنُ من جَمْعِها ، ويَدِى مبسوطةٌ بيدك فآبسُطْها لِسؤالها .

٥ قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبى سفيان أشياء كان يُجْرِيها عليهم ، لِتَباعُدٍ كان بينه وبين خالدِ بن يزيدَ بن معاويةَ ؛ فدخل عليه عمرُو بن عُتْبة فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أدْنَى حقّك مُتْعِبٌ وتَقَصّيه فادحٌ ، ولنا مع حقّك علينا حقٌّ عليكَ ، لقرابتنا منك وإكرامِ سلَفنا لك ؛ فآنظر الينا بالعين التى نظروا بها اليك ، وضَعْنا بحيث وضَعَتْنا الرَّحِمُ منك ، وزِدنا بقدر ما زادك الله ؛ فقال : أفعلُ ، وإنما يَستحقّ عطيّتى ١٠ من آستعطاها ، فأمّا من ظنّ أنه يَستغنى بنفسه فسَنَكِلُه إليها ، يعرّض بخالد ؛ فبلغ ذلك خالدا ، فقال : أمّا عمرٌو فقد أعطى من نفسه أكثرَ مما أخَذ ، أوَ بِالحرمان يتهدّدنى ! يدُ الله فوق يده مانِعةٌ ، وعطاؤه دونه مبذول .

أتى رجل يزيدَ بن أبى مسلم برُقْعةٍ يسأله أن يرفعَها الى الحجّاج ؛ فنظر فيها يزيدُ فقال : ليست هذه من الحوائج التى تُرفع الى الأمير ؛ فقال له الرجل : فإنى أسألك أن ١٥ ترفعها ، فلعلّها توافق قَدَرًا فيقضِيَها وهو كارهٌ ؛ فأدخلَها وأخبره بمقالة الرجل ؛ فنظر الحجّاج فى الرُّقعة ، وقال ليزيدَ : قلْ للرجل : إنها وافقتْ قَدَرًا وقد قضيناها ونحن كارهون .

(١) أصله أن رجلا كان فى سفر ومعه امرأته ، وكانت عاركا (حائضا) فطهرت ، وكان معهما ماء يسير فآغتسلت ، فلم يكفها لغسلها وأنفدت الماء فبقيا عطشانين ، فقال لها ذلك .

٢٠ (٢) الحمالة (بالفتح) : ما يحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة .

دخل بعض الشعراء على بِشر بن مَرْوان(١) فأنشده :

أَغْفيتُ عند الصبح نومَ مُسَهَّدٍ * فى ساعة ما كنتُ قبلُ أنامُها
فرأيتُ أنك رُعْتَنى بوليدةٍ * مَغْنُوجةٍ(٢) حَسَنٍ علىّ قيامُها
وبِبَدْرةٍ حُمِلَت الىّ وبغلةٍ * دهماءَ مُشرِفةٍ(٣) يَصِلُّ(٤) لجامُها
فدعوت ربّى أن يُثيبك جنّةً * عِوضًا يُصيبك بردُها وسلامُها

فقال له بشر : فى كل شىء أصبتَ إلا فى البغلة فإنى لا أملِك إلا شُهْبا : فقال : إنى والله ما رأيتُ إلا شُهْبًا .

قال رجل لمعاوية : أَقْطِعْنى البَحْرَيْن، قال : إنى لا أصِلُ الى ذلك . قال : فٱستَعمِلْنى على البَصْرة، قال : ماأُريدُ عَزْل عاملها . قال : تأمرُ لى بألفيْنِ، قال : ذاك لك . فقيل له : وَيْحَك ! أرضيتَ بعد الأُولَيَيْنِ بهذا ! قال : ٱسكتوا لولا الأُولَيَان ما أُعطِيتُ هذه .

جاء أعرابىّ الى بعض الكتّاب فسأله، فأمر الكاتبُ غلامَه بيمينه أن يعطيَه عشرة دراهم وقميصًا من قُمُصه، فقال الأعرابىّ :

حوِّلِ العَقْد بالشمال أبا الأصْـ * ـبَغ وٱضْمُمْ الى القميص قميصًا
إنّ عَقْدَ اليمين يَقْصُر عنّى * وأرى فى قميصكم تَقْليصًا

يقول : حوّل عَقْد اليمين وهو عشرة الى عَقْد الشمال وهو مائة(٥) .

(١) هو الحكم بن عبدل كما فى الأغانى (ج ٢ ص ٤٠٧ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) لم نعثر على هذه الصيغة فى معاجم اللغة، والذى بها : امرأة مغناج وغنجة : حسنة الدل؛ ووجد هذا الشعر منسوبا الى حمزة بن بيض فى الأغانى (ج ١٥ ص ٢٣ طبع بولاق) وروايته مختلفة عن روايتى الأغانى الأولى وهذا الكتاب، وفيه موسومة بدل مغنوجة . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٣) «مفلوجة» . (٣) مشرفة : سريعة العدو، والمشرفة أيضا : العالية المرتفعة . (٤) يصل : يصوّت . (٥) كان للعرب حساب غير ما هو معروف اليوم ولهم فى ذلك اصطلاحات فى أصابع اليد، فالعشرة يُدلّ عليها بجعل السبابة فى اليد اليمنى حلقة فاذا أريد المائة جعلت السبابة اليسرى حلقة وغير ذلك (انظره بتفصيل فى الجزء الثالث من كتاب بلوغ الأرب للآلوسى ص ٣٩٦ — ٤٠٢ طبع بغداد) .

سأل أعرابىّ فقال فى مسألته : لقـد جُعتُ حتى أكلتُ النّوى المُحْرَق ولقد مَشَيتُ حتى ٱنتعلتُ الدَّمَ وحتى سقط من رجلى بَخَصُ[1] لحمٍ وحتى تمنّيت أنّ وجهى حِذاءٌ لِقَدَمى[2]، فهل من أخٍ يرحمنا ؟ .

وسأل آخرُ قومًا فقال : رَحِم الله آمرأً لم تَمْجُجْ أذناه كلامى، وقَدّم لنفسه مَعَاذًا من سوءِ مُقامى، فإن البلاد مُجْدِبة، والحالَ مُصْعِبة[3]، والحياءَ زَاجرٌ يمنع من كلامكم، والعُدْمَ عاذِرٌ[4] يدعو الى إخباركم، والدعاء أحدُ الصدَقتين فرحِم الله امرأ أمر بمِيرٍ[5]، ودعا بخير، فقال له رجل من القوم : مِمّن الرجل ؟ فقـال : اللهم غَفْرًا مِمّن لا تَضرُّك جهالتُه، ولا تنفعُك معرفتُه؛ ذُلّ الآكتساب، يمنع من عِزّ الآنتساب .

سأل أعرابىٌّ رجلا فحَرَمه؛ فقال : عَلَامَ تَحْرِمُنى ! فوالله ما زِلتَ قِبـلةً لأملى لا تَلْفِتُنى عنك المطامعُ، فإن قلتَ : قـد أحسنتُ بَدْءًا، فما يُنْكَر لِمثلك أن يُحسِن عَـــوْدًا ! .

قال ٱبنُ أبى عَتيق : دخلتُ على أشعبَ وعنده مَتَاعٌ حسن وأثاثٌ، فقلت له : ويحك! أما تستَحِى أن تَسأل وعندك ما أرى! فقال : يا فَدَيتُك! معى والله من لطيف السؤال مالا تَطيب نفسى بِتركه .

قال الصَّلَتَانُ العَبْدىّ :

نَروح ونغـــدو لحاجاتنـا * وحاجةُ مَنْ عاش لا تَنْقضى

تموت مع المـــرءِ حاجاتُه * وتبقَى له حاجةٌ ما بَـــقِى

إذا ليـــلةٌ هَرَّمتْ يومَها * أتى بعـــد ذلك يومٌ فَتِى

(١) البخص بالتحريك : لحم القدم . (٢) فى الأصل : «حذاء لدمى» . (٣) فى المحاسن والمساوى للبيهقى طبع أوروبا ص ٦٣١ : «مسغبة» وقد رويت هذه الحكاية فيه بٱختلاف عما هنا .
(٤) كذا فى المحاسن والمساوى . وفى الأصل : «عار» . (٥) المير : الطعام .

وقال آخر :

وحاجةٍ دونَ أُخرى قد سَنَحتُ بها[١] * جعلتُهـا للتى أخفيتُ عُنـوانَا

كتب دِعْبِلُ الى بعض الأمراء :

جئتُك مستشفِعًا[٢] بلا سبب * اليـك إلا بُحرمةِ الأدبِ

فأقضِ ذِمامى فإنّنى رجلٌ * غيرُ مُلِحٍّ عليك فى الطلبِ

٥

من يُعْتَمَد فى الحاجة ويُسْتَسْعى فيها

روى هُشَيم عن عبد الحميد بن جعفر[٣] عن محمد بن عبد الرحمن عن أبى مُصْعَب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اطلبُوا الحوائجَ الى حِسانِ الوُجوه[٤]" .

وفى حديث آخر : "اِعتَمِدْ لحوائجك الصِّباحَ الوُجوهِ، فإنّ حسنَ الصورةِ أوّلُ نعمةٍ تتلقّاكَ من الرجل" .

١٠

قالت امرأةٌ من ولد حسّانَ بن ثابت :

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدْمًا ولاتَسَلْ * فتًى ذاقَ طعمَ العيشِ منذُ قريبِ

ومن المشهور قولُ بعض المحدَثين :

حسنُ ظنِّى إليكَ أكرمكَ اللهُ * دعانى فلا عَدِمتَ الصَّلاحَا

ودعانى إليكَ قولُ رسولِ اللهِ * إذ قال مُفصِحًا إفصاحَا

١٥

إن أردتُم حوائجًا عند قومٍ * فتنقَّوْا لها الوجوهَ الصِّباحَا

(١) سنحت بكذا : عرّضت ولحنت ، وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت فى مادة « سنح » ونسبه لسوّار بن المضرّب . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٨٩ طبع بولاق) : « مسترفدا » .
(٣) كذا فى تهذيب التهذيب . وفى الأصل : «جعيفر» وهو تحريف . (٤) فى الجامع الصغير : « اطلبوا الخير الى حسان الوجوه » .

٢٠

وقال آخر :

إنا سألنا قومنا نخيـارُهمْ * مَن كان أفضلَهم أبوه الأوّلُ

أعطَى الذى أعطَى أبوه قبلَه * وتبخّلتْ أبنـاءُ مَنْ يتبخّلُ

وقال خالدُ بن صفوانَ : فوتُ الحاجةِ خيرٌ من طلبها الى غير أهلها ، وأشـدُّ

٥ من المصيبة سوءُ الخَلَف منها .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: قال مسلمُ بنُ قُتَيبة : لا تَطلُبَنّ حاجتَك الى كذّابٍ فإنه يُقرّبها وهى بعيـدٌ[1] ويُبعّدها وهى قريب[1] ، ولا الى أحمَق فإنه يريد أن ينفعَك فيضرَّك ، ولا الى رجلٍ له عند من تسأله الحاجةَ مأكلةٌ ، فإنه لا يُؤثِرك على نفسه .

أنشدَنا الرِّياشىّ لأبى عَوْنٍ :

١٠ ولستُ بسائِلِ الأعرابِ شيئًا * حَمِـدتُ الله إذ لم يأكُلونى

وقال ميمونُ بن ميمون : لا تَطلُبَنّ الى لئيم حاجةً ، فإن طلبتَ فأجِّله حتى يروضَ نفسَه .

هارونُ بن معروفٍ عن ضَمْرة عن عثمانَ بن عَطَاء ، قال : عطاء الحوائج عند الشباب أسهلُ منها عند الشيوخ ، ثم قرأ قولَ يوسفَ : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ

١٥ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وقولَ يعقوبَ ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

وقال بشّارٌ :

إذا أيقظَتْكَ حروبُ العِدا[2] * فنبِّه لهـا عُمَـرًا ثم نَمْ

فتًى لا يَبيتُ على دِمْنَـةٍ * ولا يشرَبُ المـاءَ إلا بِدَمْ

يَلَذُّ العطاءَ وسفكَ الدِّماء * فيغـدُو على نِعَمٍ أو نِقَـمْ

---

٢٠ (١) بعيد وقريب يوصف بهما الذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) . (٢) فى الأغانى (ج ٣ ص ٤٦ طبع بولاق) : * اذا دهمتك عظام الأمور *

وقال أبو عبّادٍ الكاتبُ: لا تُنزِلْ مُهِمَّ حوائجك بالجيّد اللسان، ولا المتسرّع الى الضّمان، فإنّ العجزَ مقصورٌ على المتسرّع؛ ومَن وعَد ما يَعجِزُ عنه فقد ظلَم نفسَه وأساء الى غيره؛ ومن وَثِقَ بجَودةِ لسانه ظنّ أنّ فى فصل بيانه ما ينوبُ عن عذره وأن وعده يقوم مَقامَ إنجازه. وقال أيضا: عليك بذى الحَصَرِ البَكِىّ (١)، وبذى الخيم الرضِىّ (٢)، فإن مثقالًا من شدّة الحياء والعِىّ، أنفعُ فى الحاجة من قِنطارٍ من لسانٍ سَليطٍ وعقلٍ ذكىّ؛ وعليك بالشّهم النَّدْب (٣) الذى إن عَجَز آيأسك، وإن قدَر أطمعك.

قال بعضُ الشعراء:

لا تَطلُبنّ الى لئيم حاجـة * وٱقعُدْ فإنكَ قائمـا كالقاعدِ
يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم * هيهاتَ! تضرِبُ فى حديدٍ بارد

وقال آخرُ:

إذا الشافعُ ٱستقصَى لكَ الجُهدَ كلَّه * وإن لم تَنَلْ نُجْحاً فقد وجَب الشُّكرُ

وقال آخرُ (٤):

وإذا ٱمرؤٌ أسدَى اليكَ (٥) صنيعةً * مِن جاهِه فكأنّها مِن مالِهِ

ذكر أعرابىّ رجلا، فقال: كان والله إذا نزَلَتْ به الحوائجُ قام إليها ثم قام بها، ولم تَقعُد به عِلّاتُ النفوس.

قال الشاعرُ:

ما إنْ مَدَحتُكَ إلا قلتَ تخدَعُنى * ولا ٱستعنتُكَ إلا قلتَ مشـغُولُ

ابنُ عائشةَ قال: كان شبيبُ بن شيبة رجلا شريفا يَفزَعُ اليه أهلُ البصرة فى حوائجهم، فكان إذا أراد الركوبَ تناولَ من الطعام شيئا ثم ركِبَ؛ فقيل له:

(١) البكىّ: القليل الكلام. (٢) الخيم: السجية والطبيعة. (٣) الندب: الخفيف فى الحاجة. (٤) هو أبو تمام الطائى. (٥) كذا فى ديوانه. وفى الأصل: «أهدى الىّ».

إنك تُباكِر الغداءَ! فقال: أجَلْ! أُطفِئُ به فَوْرَةَ جوعى، وأقطَعُ به خُلوفَ فمى[1]، وأبلغ فى قضاء حوائجى، فخذ من الطعام ما يُذْهِبُ عنك النَّهَم، ويُدَاوِى من الخَوَى .

قال بعضُ المحدَثين :

لعمرُكَ ما أخلقتُ وجهًا بذلته ﴿ إليـــكَ ولا عرّضتُه لِمَعَـايِرِ
فتًى وفرتْ أيدى المحامدِ عِرضَه ﴿ وخَلَّت[2] لديه ماله غيرَ وافِـــرِ

وقال آخرُ :

أتيتُــكَ لا أُدلِى بقُــرْبَى ولا يدٍ ﴿ اليك ســوَى أنّى بجُودكَ واثقُ
فإن تُولِنِى عُرفًا أكنْ لكَ شاكرا ﴿ وإن قلتَ لى عذراً أقلْ أنت صادقُ

وقال رجلٌ لآخرَ فى كلامه : أيدينا ممدودةٌ اليكَ بالرغبة، وأعناقُنا خاضعةٌ لك بالذِّلّة، وأبصارُنا شاخصةٌ اليك بالشكر، فافعَلْ فى أمورنا حَسَبَ أملِنا فيكَ، والسلام .

الإجابة الى الحاجة والردّ عنها

قال رجل للعبّاس بن محمد : إنّى أتيتُكَ فى حاجةٍ صــغيرةٍ؛ قال : آطلب لها رجلا صغيرا . وهذا خلافُ قولِ علىّ بن عبــد الله بن العبّاس لرجل قال له : إنى أتيتك فى حاجةٍ صغيرةٍ، فقال له علىّ بن عبد الله : هاتِها، إنّ الرجل لا يصغُر عن كبير أخيه ولا يكبُرُ عن صغيره .

قال رجل للأحنف : أتيتُكَ فى حاجةٍ لا تَنْكِيكَ[3] ولا تَرْزَؤك، قال : اذًا لا تُقْضَى! أمثلِى يؤتَى فى حاجةٍ لا تَنْكِى ولا تَرزَأُ ! .

---

(١) الخلوف : رائحة الفم .
(٢) فى العقد الفريد : (ج ١ ص ٩٠) :
﴿ عليه وخلت ماله غير وافر ﴾
(٣) لا تنكيك : لا تنال منك، من نكى العدوّ نكاية : أصاب منه . ولا ترزؤك : لا تصيب من مالك شيئا .

جاء قومٌ الى رجل يُكلّمونه فى حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبةُ، فقال لرَقَبةَ : تضمَنُونَها؟ فقال له رَقَبة : جئناكَ نطلُب منكَ فضلَ التوسُّع فأدخلتَ علينا همَّ الضَّمان .

أتى عمرُو بن عُبيد حفصَ بن سالم، فلم يسأله أحدٌ من حَشَمِه شيئا إلا قال: لا، فقال عمرو : أقِلَّ من قول: «لا» فإنّ «لا» ليستْ فى الجنّة .

كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم اذا سُئل مايَجِدُ أعطَى، واذا سُئلَ مالا يجِد قال : "يصنع الله" . ٥

قال عمرُ بن أبى ربيعةَ :

إنّ لى حاجةً اليـكِ فقالت * بين أُذْنى وعاتِقى ما تُريدُ

أى قد تضمَّنتُه لك فهو فى عنُقى .

سأل رجلٌ قومًا، فقال له رجل منهم : اللهمّ هذا سائلُنا ونحن سُؤَّالُكَ، وأنت بالمغفرة أجودُ منّا بالعطاء، ثم أعطاه . ١٠

سأل رجلٌ رجلا حاجةً ، فقال : اذهَبْ بسـلام، قال السائلُ : أَنصَفَنا مَنْ رَدّنا فى حوائجنا إلى الله عزّ وجلّ .

قال رجل لثُمَامةَ : إن لى اليـكَ حاجةً، قال ثمامةُ : ولى اليكَ حاجةٌ ، قال : وما هى؟ قال : لا أذكُرها حتى تتضمّنَ قضاءها، قال : قد فعلتُ، قال : حاجتى ألّا تسألَنى هـذه الحاجةَ، قال : رجعتُ عما أعطيتُك، قال ثمـامةُ : لكنّى لا أردّ ما أخذتُ . ١٥

قال الجاحظ : تمشّى قومٌ الى الأصمعىّ مع رجل اشـترى منه ثمرةَ نخله ، فناله فيها خُسرانٌ وسألوه حسنَ النظر له ، فقال الأصمعىّ : أسَمِعتُم بالقِسْمة الضِّيزَى(١) ! هى

(١) القسمة الضيزى : الناقصة الجائرة .

ما تُريدونَ شيخَكم عليه، اشترى منى على أن يكون الخسرانُ علىّ والربحُ له! اذهبوا فاشتروا لى طعامَ السَّواد(١) على هذا الوجه والشرط. ثم قال: ها هنا واحدةٌ هى لكم دونى، ولا بدّ من الاحتيال لكم اذ لم تحتملوا لى، هـذا ما مَشَيتم معـه إلا وأنتم تُوجبون حقَّه وتُحِبّون رِفدَه، ولو كنتُ أُوجبُ له مثلَ الذى توجبونَ لقـد كنتُ أغنيتُه عنكم، ولكن لا أعرِفُه ولا يضرّنّى بحق؛ فهلُمَّ فلنتوزَّعْ هـذا الخسرانَ بيننا بالسواء؛ فقاموا ولم يعودوا، وأيس التاجرُ تخرج له من حقّه.

قال يزيدُ بن عُمَير(٢) الأُسَيِّدى لبَنِيه: يا بَنِىّ، تعلّموا الردّ فإنه أشدّ من الإعطاء، ولأن يعلَم بنو تميم أن عند أحدكم مائةَ ألف درهم أعظمُ له فى أعينهم من أن يَقسِمَها فيهم، ولأنْ يقالَ لأحدكم: بخيلٌ وهو غنىٌّ خيرٌ له من أن يقال: سخىٌّ وهو فقير.

وقال إسحاق بن إبراهيم:

النصرُ يُقرئكَ السـلامَ وإنما * أهدَى السـلامَ تعرّضًا للطَّمَعِ

فاقطَعْ لُبانتَـه بيأسٍ عاجلٍ * وأرِحْ فؤادَكَ من تقاضى الأضلُعِ

ذكر ثُمامةُ محمدَ بن الجَهْم فقال: لم يُطمِعْ أحدًا قطّ فى ماله إلا ليشغَلَه بالطمع فيه عن غيره، ولا شفَع لصديقٍ ولا تكلّم فى حاجةٍ مُتَحرِّم به، إلا ليُلَقِّنَ المسئولَ حُجّةَ منع، وليفتَح على السائل بابَ حِرمانٍ.

كتب سهلُ بن هارون الى موسى بن عمران:

إنّ الضـميرَ اذا سألتُكَ حاجةً * لأبى الهُذَيل(٣) خلافُ ما أُبدى

فامنعه رَوْحَ اليأس ثم امدُد له * حبـلَ الرجاء لمُخْلِفِ الوعـدِ

---

(١) السواد: الريف. (٢) فى الأصل: «عمر» والتصويب عن السمعانى.

(٣) هو أبو الهذيل العلاف أحد رءوس المعتزلة، وكان يبخّل، (انظر البخلاء ج ٦٩، ١٤٧، ١٤٨ طبع أوروبا)

وألِنْ له كَنَفًا ليحسُنَ ظنُّه * فى غــير مَنفعةٍ ولا رِفْــدِ
حتى اذا طالتْ شــقاوةُ جَدّه * وعنــاؤه فٱجْبَهْــهُ بالرّدِّ

قيل لِحُبّى المَدينيّةِ : ما الجُرْحُ الذى لا يندمِلُ ؟ قالت : حاجة الكريم الى اللئيم ثم يردّه. قيل لها : فمــا الذلّ ؟ قالت : وقوف الشريف بباب الدنىء ثم لا يُؤْذَنَ له . قيل : فمــا الشرفُ ؟ قالت : اعتقاد المِنَنِ فى رِقاب الرجال .

قال مَعْنُ بنُ زائدة : ما سألنى قطّ أحدٌ حاجةً فرددتُه إلا رأيتُ الغنى فى قفاه.

روى علىّ بن مُسْهِر عن هشام عن أبيه قال : قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : أعلمــتُمْ أن الطمعَ فقرٌ، وأن اليأسَ غِنًى، وأن المرءَ اذا يئس من شىء ٱستغنى عنه .

وقال آخر فى كلامٍ له : كُلُّ ممنوعٍ مُسْتَغْنًى عنه بغيره، وكُلُّ مانع ما عنده ففى الأرض غِنًى عنه .

وقد قيل : أرخص ما يكون الشىءُ عند غَلَائه .

وقال بشارٌ : * والدرُّ يُترَكُ من غَلَائِهْ *

قال شُرَيح : مَنْ سأل حاجةً فقد عرَض نفسَه على الرّقّ، فإن قضاها المسئولُ ٱستعبده بها، و إن ردّه عنها رجع حرًّا وهما ذليلانِ : هذا بذُلّ البخل، وهذا بذلّ الردّ .

وقال بعضُهم : مَن سألكَ لم يُكرم وجهَه عن مسألتكَ، فأكرِم وجهَكَ عن ردّه.

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يردّ ذا حاجةٍ إلا بها أو بميسورٍ من القول .

وقال أسمــاءُ بن خارجةَ : ما أُحِبُّ أن أردّ أحدا عن حاجةٍ ؛ فإنه لا يخلو من أن يكون كريما فأصونَه، أو لئيما فأصون منه نفسى .

وقال أعرابىّ سأل حاجة فرُدَّ عنها :

ما يمنعُ الناسُ شــيئا كنتُ أطلبُه * إلا أرَى اللهَ يكفى فقدَ ما منَعُوا

أتى رجلٌ الحسنَ بن علىّ رضى الله عنهما يسأله ؛ فقال الحسن : إن المسألة لا تصلُحُ إلا فى غُرْمٍ فادحٍ أو فقرٍ مُدْقِعٍ أو حَمالة مُفظِعةٍ ؛ فقال الرجل : ما جئتُ إلا فى إحداهنّ ، فأمر له بمائة دينار.[1] ثم أتى الرجلُ الحسينَ بن على رضى الله عنهما فسأله ، فقال له مثل مقالة أخيه ، فردّ عليه كما ردّ على الحسن ؛ فقال : كم أعطاك ؟ قال : مائة دينار ، فنقَصه دينارا . كره أن يساوى أخاه . ثم أتى الرجلُ عبدَ الله بن عمرَ رضى الله عنهما فسأله فأعطاه سبعةَ دنانير ولم يسأله عن شىء ؛ فقال الرجل له : إنى أتيتُ الحسنَ والحسينَ ، واقتصّ كلامَهما عليه وفعلَهما به ؛ فقال عبدُ الله : ويحكَ ! وأنَّى تجعلنى مثلَهما ! إنهما غُرّا[2] العلمَ غُرّا المـالَ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : جاء شيخٌ من بنى عَقيلٍ الى عمرَ بن هُبيرةَ ، فمَتَّ بقرابةٍ وسأله فلم يعطه شيئا ؛ فعاد اليه بعد أيام فقال : أنا العَقيلىّ الذى سألكَ منذ أيام ؛ فقال عمر : وأنا الفَزَارىّ الذى منعك منذ أيام ؛ فقال : معذرةً الى الله ! إنى سألتك وأنا أظنك يزيدَ بن هُبيرة المحارِبىّ ؛ فقال : ذاك ألأمُ لك ، وأهونُ بك علىّ ، نشأ فى قومك مثلى ولم تعلم به ، ومات مثلُ يزيد ولا تعلم به ! يا حَرَسِىّ اسْفَعْ[3] بيده .

أتى عبدَ الله بنَ الزبير أعرابىٌّ[4] يسأله ، فشكا اليه نَقَبَ[5] ناقته واستحمله[6] ؛ فقال له ابنُ الزبير : ارقَعها بسِبْتٍ[7] واخصِفْها بهُلْبٍ وافعل وافعل ... ؛ فقال الأعرابىّ : إنى أتيتُك مُستوصِلاً ولم آتِكَ مُستوصِفًا ، فلا حملَتْ ناقةٌ حملَتنى إليكَ ! فقال : إنَّ[8] وصاحبَها .

---

(١) فى الأصل : « وأمر ... » . (٢) غرّا العـلم : ألقماه ، يقال : غرّ الطائر فرخه اذا زقه ، ومنه حديث معاوية : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يغرّ عليا بالعلم » . (٣) سفع بناصـيته أو بيده : قبضها وجذبها . (٤) هو عبـد الله بن فضالة بن شريك الوالبى الأسدى كما فى الأغانى ج ١ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية ، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف عما هنا . (٥) النقب : رقة وتثقب فى خف البعير . (٦) استحمله : حمله حوائج يقضيها له . (٧) السبت (بالكسر) : جلد البقر المدبوغ بالقرظ تحذى منه النعال السبتية . والخصف : ان يظاهر الجلدين بعضهما الى بعض و يخرزهما ولذلك قيل للخرز : المخصف . والهلب (بالضم) : شعر الخنزير الذى يخرز به . (٨) إنّ بمعنى نعم .

والعربُ تقول لمن جاء خائبا ولم يظفر بحاجته : «جاء على غُبيراء الظهر»[١] .

وتقول هي والعوامّ : «جاء بخُفَّيْ حُنَين» و «جاء على حاجبه صُوفة» .

وقال أبو عطاء السِّنديّ في عمر بن هُبيرة :

ثلاثٌ حُكْتُهنّ لقرم قيس[٢] * طلبتُ بها الأخوّةَ والثناءَ

رجعْنَ على حواجبهن صُوفٌ * فعند الله أحتسبُ الجزاء

والأصل في قولهم : « جاء بخُفَّيْ حُنَيْن » أن إسكافاً من أهل الحِيرة ساومه أعرابيٌّ بخفَّيْن، فاختلفا حتى أغضبه ، فازداد غيظ الأعرابيّ ؛ فلما ارتحل أخذ حُنَينٌ أحد خفَّيْه فألقاه على طريقه ثم ألقى الآخَرَ في موضع آخر؛ فلما مرّ الأعرابيّ بأحدهما قال : ما أَشْبَهَ هذا بخُفّ حنين! ولو كان معه الآخر لأخذته ، ومضى؛ فلما انتهى الى الآخر نَدِم على تَرْكه الأوّل ، وأناخ راحلتَه فأخذه و رجع الى الأوّل ، وقد كَمَن له حنينٌ فعمَد الى راحلته وما عليها فذهب به ؛ وأقبل الأعرابيّ ليس معه غيرُ الخفَّين؛ فقال له قومه : ما الذى أتيتَ به ؟ قال : بخفَّيْ حنين .

قالوا[٣] : فإن جاء وقد قُضِيتْ حاجتُه قيل : « جاء ثانيًا من عِنانه » . فإن جاء ولمّا تُقْضَ حاجتُه وقد أُصِيب ببعض ما معه ، قالوا : «ذهب يبتغي قَرْنًا فلم يَرْجِع بأُذُنَيْن» . يقول بشار :

فكنتُ كالعَيْرِ غَدَا يبتغي * قَرْنًا فلم يَرْجِعْ بأُذْنَيْن[٤]

(١) غبيراء الظهر : الأرض ، تصغير الغبراء . ويروى : جاء على ظهر الغبيراء ، أى جاء لا يصاحبه غير أرضه التي يجيء ويذهب فيها . (انظر ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف اليه ، النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب م) . (٢) كذا في الشعر والشعراء للؤلف والقرم من الرجال السيّد العظيم وفي الأصل : «لقوم» . (٣) في الأصل : « فلما جاء ... » وهو غير مستقيم . (٤) رواية هذا البيت في الأغاني ج ٣ ص ٢٠٦ طبع دار الكتب :

فصرت كالعير غدا طالبا * قرنا فلم يرجع بأذنين

وقد روى أبو الفرج أن عقبة بن سلم دعا بشارا وحماد عجرد وأعشى باهلة ، وطلب اليهم أن يضمنوا هذا المثل في شعر، وعيّن لمخرجه جائزة ، وهددهم إن لم يفعلوا ، فضمنه بشار على البديهة وأخذ جائزته .

سأل أعرابيٌّ قوما، فقيل له : بُورِك فيــك ! فقال : وكَلَــكم الله الى دعوةٍ لا تحضُرها نِيّة .

أرسل الوليد خيلا فى حَلْبةٍ[1]، فأرسل أعرابىٌّ فرسًا له فسبَقت الخيلَ، فقال له الوليد : آحملنى عليهــا، فقال : إن لهــا حُرمةً، ولكنى أحملك على مُهْرٍ لهــا سَبَق الخيل عام أوّل وهو رابض .

وتقول العرب فيمن يَشْغَلُه شأنُه عن الحاجة يُسْأَلُهــا : «شَغَلَ الحَلْىَ أهلَه أن يُعَارا» بِنَصْب الحلى، ويعار : مــن العارية . فأمّا قولهم : «أحقُّ الخيــل بالركض المعار»، فإنّ المُعَار[2] : المَنْتوف الذَّنَبِ وهو المَهْلُوب؛ يريدون أنه أخفّ من الذيّال الذنبِ[3]، يقال : أعَرْتُ الفرس إذا نتفتَه .

وتقول العرب لمن سُئِل وهو لا يَقدِر فردّ : «بيتِى يَبْخَل لا أنا»؛ يريدون أنه ليس عنده ما يُعطى .

ووعد رجلٌ رجلا فلم يَقدِرْ على الوفاء بما وعده، فقال له : كَذَبْتَنِى، قال: لا، ولكن كَذَبَك مالى .

وتقول العرب فيمــن آعتذر بالمنع بالعُدْم وعنــده ما سُئِل : «أبَى الحَقِينُ العِذْرَةَ[4]» . قال أبو زيد : وأصــله أن رجلا ضاف قوما فآستسقاهم لبنًا، وعندهم لبنٌ قد حَقَنوه فى وَطْبٍ، فاعتــذروا أنه لا لبنَ عنــدهم؛ فقال : "أبَى الحَقِينُ العِذْرَةَ" . ويقال : «العِذْرَةُ طَرَفُ البخل» .

---

(١) فى الأصل : «من حلبة» . (٢) ما ذكره المؤلف هنا هو أحد ما فسرّت به هذه الكلمة، وقيل : المعار : المسمن، يقال : أعرت الفرس اذا سمنته، وقيل : المعار : المضمر، من عار الفرس اذا أخذ يذهب ويجىء مرحا ونشاطا، فالمعار : ما ردد الذهاب به والمجىء حتى ضُمر، ويروى : المِعارُ — بكسر الميم — وهو الفرس الذى يحيد براكبه عن الطريق، وكذلك يروى : المُغار — بالغين المعجمة — أى المضمّر من أغرت الحبل اذا فتلته . (٣) الذيال الذنب : الطويله . (٤) الحقين : اللبن المحقون . والعذرة (بكسر العين) : العذر .

وقال الطائى يذكر المَطْل :

وكان المَطْـــلُ فى بدءٍ وعَوْدٍ * دُخَانًا للصـــنيعةِ وهى نارُ

نسـيبُ البخلِ مذ كانا وإن لم * يكن نسبٌ فبينهـما جِوارُ

لذلك قِيـــل بعضُ المنعِ أدنى * الى جُودٍ وبعضُ الجـود عارُ

قال إسماعيلُ[1] القراطيسىّ فى الفضل بن الربيع :

لئن أخطأتُ فى مدحِـــك ما أخطأتَ فى منعى *[2]

لقـــد أحللتُ حاجاتى * بـوادٍ غيرِ ذى زَرْعِ

غزا المُنْذِرُ بن الزُّبَيْر [فى] البحر ومعه ثلاثون رجلا من بنى أسد بن عبد العُزَّى ؛ فقال له حكيم بن حزام : يابن أخى ، إنى قد جعلتُ طائفةً من مالى لله عزّوجلّ ، وإنى قد صنعتُ أمرًا ودعوتكم له ، فأقسمتُ عليك لا يردُّه علىّ أحدٌ منكم ؛ فقال المُنْـذِر : لاها اللهِ إذًا[3] ، بل نأخذ ما تُعطِى ، فإن نَحْتَجْ إليه نَسـتعِنْ به ولا نكره أن يأجُرَك اللهُ ، وإن نستَغْنِ عنه نُعطِه من يأجُرنا اللهُ فيه كما أجرَكَ .

سأل أعرابىٌّ رجلا يقال له : الغَمْر فأعطاه درهمين ، فردّهما وقال :

جعلتُ لغَمرٍ درهمَيْـــه ولم يكن * ليُغْنِىَ عـنى فاقتى دِرْهما غَمْـــرِ

وقلت لغمرٍ خذهما فاصْطَرِفْهما * سريعَيْنِ فى نقض المُرُوءة والأجرِ

أتمنعُ سُؤّال العشيرةِ بعـــد ما * تَسَمَّيْتَ غمرًا واكتنيتَ أبا بحرِ

(١) نسبهما ابن حجة فى خزانته ص ٥٤٠ طبع بولاق لابن الرومى . وذكر صاحب معاهد التنصيص فى الكلام عليهما ص ٥٦٤ طبع بولاق أنهما ينسبان لابن الرومى ولكنه قال : ورأيت فى الأغانى نسبتهما الى اسماعيل القراطيسى . وقد ذُكرا فى ترجمته فى الأغانى ج ٢٠ ص ٨٨ — ٨٩ ولم يذكرا فى ديوان ابن الرومى . (٢) فيه الكف وهو حذف السابع الساكن ، والكف حسن فى هذا البحر وهو الهزج . وفى الأغانى (ج ٢٠ ص ٨٩ طبع بولاق) : «فى مدحيك» وبهـذه الرواية لا كف فيه .
(٣) أى لا يردّه عليك أحد والله اذا ، فكلمة «ها» هنا للقسم . ويجوز فيها مع كلمة الجلالة ، بعد حذف همزة الوصل ، إثبات ألفها — وينطق بهما كما ينطق بدابة — وحذفها .

اختلف أبو العَتَاهِيَــة الى الفضــل بن الربيع فى حاجةٍ له زماناً فلم يقضها له ، فكتب :

أ كلَّ طُولِ الزمانِ أنتَ اذا * جئتُـكَ فى حاجةٍ تقولُ غَدَا !

لا جعل اللهُ لى اليـــك ولا * عندك ما عشتُ حاجةً أبدا !

وقال آخر :

إن كنتَ لم تَنْوِ فيما قلتَ لى صِلةً * فمـا آنتفاعُك من حَبْسى وتَرديدى

فالمنـعُ أجمَـلُه ماكان أعجَلَه * والمَطْـل من غير عُسْرٍ آفةُ الجودِ

وقال آخر :

بسطتَ لسانى ثم أوثقتَ نصفَه * فنِصفُ لسانى فى آمتداحك مُطْلَقُ

فإن أنتَ لم تُنْجِـزْ عِدَاتى تركتَنى * وباقى لسانِ الشـكر باليأس مُوثَقُ

وقال آخر :

يا جوادَ اللسانِ من غير فعــلٍ * ليتَ جُودَ اللسانِ فى راحَتَيْكَا

المواعيـــدُ وتَنَجُّـــزها

ذكر جبّار بن سُــلْمَى[(١)] عامرَ بن الطُّفَيْل فقال : كان والله اذا وعَد الخيرَ وفَى ، واذا أَوْعَد بالشرّ أخلفَ وعفا .

وأنشد أبو عمرو بن العَلاء فى مثل هذا المعنى :

ولا يَرْهَبُ آبنُ العمِّ ما عشتُ صَوْلتِى * ويأمَنُ مِنّى صــولةَ المتهــدِّدِ

وإنِّىَ إنْ أوعــدتُه أو وعــدتُه * لَيكذِبُ إيعادى ويَصْــدُقُ مَوْعِدِى

(١) فى الإصابة : « بضم السين وقيل بفتحها » .

وكان يقال : وَعْدُ الكريم نقدٌ، ووعدُ اللئيم تسويف .

وقال عبد الصّمد بن الفضل الرَّقاشيُّ (أبو الفضلِ والعباسِ الرَّقاشيَّيْن البغداديّيْن) لخالد بن دَيْسم عامل الرّيّ :

أخالدُ إنّ الرّيَّ قد أجحفتْ بنا * وضاق علينا رَحْبُها ومَعَاشُها

وقد أطمعتْنا منك يوما سحابةٌ * أضاء لنا برقٌ وكفّ رِشاشُها ٥

فلا غيمُها يصحو فيُؤْيِسَ طامعٌ * ولا ماؤها يأتى فترْوَى عِطاشُها

وقال رجل فى الحجّاج :

كأنّ فؤادى بين أظفارِ طائرٍ * من الخوف فى جوّ السماء مُحَلِّقِ

حِذارَ آمرئٍ قد كنتُ أعلم أنه * متى مَا يَعِدْ من نفسه الشرَّ يَصْدُقِ

قال عمرو بن الحارث : كنتُ متى شئتُ أجد من يَعِد ويُنجز، فقد أعيانى مَنْ يَعِد ولا يُنجز . قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون، فقد صاروا يقولون و يفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون . ١٠

قال بشار :

وَعَدتِنِي ثم لم توفِى بمَوعِدَتِى * فكنتِ كالمُزْنِ لم يُمطِرْ وقد رعدَا

هذا مثل قول العرب لمن يَعِدُ ولا يَفِى : «برقٌ خُلَّب» . ١٥

وقال آخر :

قد بَلَوْناكَ بحمد اللهِ إنْ أغنَى البَلاءُ

فإذا جُلُّ مواعيـ * ـدِكَ والجحدُ سواءُ

وقال آخر :

لها كلَّ عامٍ موعدٌ غيرُ ناجزٍ * ووقت اذا مارأْس حولٍ تَجرّما[(١)] ٢٠

فإن أوعدتْ شرّا أتى دون وقتِهِ * وإن وَعَدَتْ خيرا أراثَ وأعتما[(٢)]

(١) تجرّم : مضى وانقضى . (٢) أراث وأعتم كلاهما بمعنى أبطأ .

وعد عبـــد الله بن عمر رجلا من قريش أن يزوّجه ٱبنته؛ فلما كان عند موته أرسل اليه فزوّجه إياها، وقال: كَرِهتُ أن ألقى اللهَ عزّ وجلّ بثُلُث ٱلنفاق.

وقال الطائىّ:

تقولُ قولَ الذى ليس الوفاءُ له * خُلْقًا وتُنجِزُ إنجــازَ الذى حَلَفَا

٥ وأثنى الله تبارك وتعالى على نبيّه إسماعيل صلّى الله عليه فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.

وقال بشّار يمدح:

اذا قال تمّ عـلى قـــوْله * وماتَ العَنَــاءُ بِــلَا أو نَعَمْ

وبعضُ الرجالِ بمَــوْعُوده * قريبٌ وبالفعلِ تحت الرَّجَمْ(١)

١٠ كجارى السَّرابِ تَرَى لَمْعَــهُ * ولستَ بواجده عنـــد كَمْ

وقال العبّاس بن الأحنف:

ماضرّ مَنْ قطعَ الرجاءَ ببخله * لو كان علّلنى بوعدٍ كاذبِ

وقال آخر:

عسى منك خيرٌ من نَعَمْ ألفَ مرّةٍ * مِنَ آخَرَ غالَ الصِّدقَ منه غوائلُهْ

١٥ وقال نُصَيْب:

يقول فيُحسِنُ القولَ ٱبنُ ليــلَى * ويفعل فوق أحسنِ ما يقولُ

وقال زيادٌ الأعجم:

لله درُّك مــن فــتًى * لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ

لا خيرَ فى كَذِبِ الجــوا * دِ وحَبَّذا صِدقُ البخيلْ

---

٢٠ (١) الرجم (بالتحريك): القبر والحجارة التى توضع عليــه، وبضمتين أو بضم ففتح: الحجارة التى توضع على القبر، يريد أنه فى تحقيق وعده كالميت.

والعرب تضرب المثلَ فى الخُلْف بعُرْقوب . قال ابن الكلبىّ عن أبيه : كان عُرْقوب رجلًا من العماليق ، فأتاه أخٌ له فسأله شيئا ، فقال له عُرْقوب : اذا أَطْلَعَ[1] نخلى . فلما أَطْلع أتاه ، قال : اذا أَبْلح . فلما أبلح أتاه ، فقال : اذا أَزْهَى[2] . فلما أزهى أتاه ، قال : اذا أَرْطَب . فلما أرطب أتاه ، قال : اذا صار تمرا . فلما صار تمْراً جَدَّه من الليل ولم يُعطِ أخاه شيئا .

قال كعبُ بن زُهَيْر :

كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا * وما مواعيــدُها إلّا الأباطيــلُ

وقال الأشجعىّ :

وعدتِ وكان الخُلْفُ منكِ سجيّةً * مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاهُ بيَتْرَبِ[3]

هكذا قرأته على البِصْريين فى كتاب سيبويه بالتاء وفتح الراء .

وقال الشاعر :

متى ما أَقُلْ يومًا لطالبِ حاجةٍ * نَعَمْ ، أَقضِها قُدْما وذلك من شَكْلى

و إن قلتُ لا ، بيَّنتُها من مكانها * ولم أوذِهِ منها بجــرٍّ ولا مَطْــلِ

ولَلبَخْلَةُ الأُولى أقــلُّ مَلامــةً * من الجُــود بَدْءًا ثم يُتْبِع بالبُخْلِ

وقال أبو نُوَاس لامرأة :

أنضيتِ أحرفَ لا مما لَهِجتِ بها * فخــوِّلى رحلَها عنهــا الى نَعَمِ

أو حوِّليها الى «لا» فهى تَعْدِلُها[4] * إن كنتِ حاولتِ فى ذا قلّةَ الكَلِمِ

قِستُمْ علينا فعارضْــنا قياسَــكُمُ * يا مَنْ تناهَى اليه غايةُ الكَرَمِ

---

(١) أطلع النخل : خرج طَلْعه . (٢) أزهى : تلوّن تمره بالحمرة والصفرة . (٣) يترب بالتاء المثناة : موضع قريب من اليمامة . (٤) كذا فى الأصول ، وفى ديوانه «أو حولوها اليها فهى تعدلها» . والظاهر أنه يريد أن يقول : أو حولوها الى «ها» التى بمعنى «خذ» فكتبت موصولة ليدل ظاهرها على غير باطنها ، و«ها» تعدل «لا» فى قياسها لفظا . وبين ما فى الأصل وما فى الديوان تغيير طفيف فى هذه الأبيات .

وفى هذا معنًى لطيفٌ .

كتب رجلٌ الى صــديق له : قد أفردتك برجائى بعــد الله ، وتعجّلتُ راحةَ اليأس ممن يجود بالوعد ويَضَنُّ بالإنجاز، ويحسُدُ أن يُفْضَل، ويَزْهَدُ أن يُفْضِل، ويعيبُ الكذبَ ولا يصدُق .

٥ وقال آخر :

وذى ثقةٍ تبدَّلَ حين أثْرَى * ومن شِيمَى مراقبةُ الثّقاتِ
فقلتُ له عتَبْتَ علىّ إنّمــا * فِرارًا من مَؤوناتِ العِدَاتِ
فعُــدْ لمودّتى وعلىّ نَذْرٌ * سألْتُك[1] حاجةً حتّى المَمــاتِ

وقال آخر فى أصحاب النبيذ :

١٠ مواعيدُهم رِيحٌ لمن يَعِدونَه * بها قطعُوا بردَ الشتاء وقاظُوا

وقال مسلم :

لسانُك أحلَى من جَنَى النحلِ موعدًا * وكفُّكَ بالمعروف أضــيقُ من قُفْلِ
تُمَنِّى الذى يأتيـــك حتّى اذا انتهَى * الى أجلٍ ناولتَـــه طَرَفَ الحبـــلِ

وسأل خَلَفُ بن خليفة أبَانَ بن الوليد أن يَهَبَ له جاريةً، فوعده وأبطأ عليه؛

١٥ فكتب اليه :

أَرى حاجَتِى عند الأميرِ كأنّما * تَهُـــمُّ زمانًا عنـــده بمُقَامِ
وأَحْصَرُ من إذْكارِه إن لَقِيتُــهُ * وصــدقُ الحيــاءِ مُلْجِمٌ بلِجامِ
أَراهــا اذا كان النهــارُ نَسِيئةً * وبالليــلِ تُقضَى عندَ كلِّ منامِ
فيارَبِّ أخرِجْها فإنك مُخــرِجٌ * من المَيْتِ حَيًّــا مُفصِحًا بكلامِ

٢٠ (١) الكلام على تقدير «لا» النافية، أى لا سألتك .

فَتَعْلَمَ ما شُكْرِى اذا ما قَضَيْتَها (١) * وكيف صَلَاتِى عندها وصِيامِى

وإنْ حاجَتِى من بعد هذا تأَخّرتْ * خَشِيتُ لما بى أن أزور غُلامِى

والعرب تقول : «أنجزُ حُرٌّ ما وَعَدَ» .

وقال أميّة بن أبى الصَّلْت لعبد الله بن جُدْعان :

أأذكُرُ حاجَتِى أمْ قد كفانى * حَياؤك إنّ شِيمَتَكَ الحياءُ

إذا أثنَى عليك المرءُ يومًا * كفاه من تَعَرُّضه الثناءُ

وقال الطائىّ :

وإذا المجدُ كان عَوْنِى على المر * ءِ تقاضَيْتُهُ بترك التَّقاضِى

وقال الزُّهْرِىّ : حَقِيقٌ (٢) على مَنْ أَوْرَقَ بوعدٍ، أن يُثْمر بفعل .

وقال المُغيرةُ : من أخّر حاجةَ رجلٍ فقد تضمّن قضاءها .

وقال الشاعر :

كفاكَ مُذَكِّرًا وجهى بأمرى * وحَسْبِى أن أراكَ وأنْ ترانِى

وكيف أُحُثّ من يُعْنَى بشأنى * ويَعرِف حاجتى ويرى مكانى

وقال الشاعر :

ياصاحِ قُلْ فى حاجتى * أذكَرْتَها فيما ذكرتَا

إنّ السَّراحَ (٣) من النجا * ح إذا شَقِيتَ (٤) بما طلبتَا

---

(١) فى الشعر والشعراء (ص ٩٤٤ طبعة أوربا) : «قبضتها» ، وورد فيه بعد ذكر الأبيات : «فضحك أبان وبعث اليه بجارية» . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠ و ٩١ طبع بولاق) وفى الأصل : «خصه من أزهر الخ ...» وظاهر أنه تحريف . (٣) قال فى اللسان مادّة (سرح) : «وفى المثل : السراح من النجاح ، أى اذا لم تقدر على قضاء حاجة الرجل فآيسه ، فإنّ ذلك عنده بمنزلة الإسعاف» . وقال الميدانىّ بعد ذكر هذا المثل : «يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة ، أى ينبغى أن تؤيسه منها اذا لم تقض حاجته» . (٤) فى الأصل : «شفيت» بالفاء .

وقال آخر :

فى تَصـدِّيكَ للطـالبِ إذْ كا * رُ بوعدٍ جرى به المِقـــدارُ

وكتب بعضُ الكتّاب إلى صديقٍ له : إن من العَجَب إذكارَ مَعْـنِيٍّ، وحَث مُتيقِّظٍ، وٱستِبْطاءَ ذاكرٍ، إلّا أن ذا الحاجة لا يَدعُ أن يقولَ فى حاجته، حَلَّ بذلك منها أو عَقَلَ . وكتابى تذكِرةٌ والسلام .

وقال الطِّرِمّاحُ :

أَلِحُسْنِ مَـــنزلتى تُؤَخِّرُ حاجتى * أم ليسَ عندكَ لى بخيرٍ مَطْمَعُ

وقال حمزةُ بن بَيْضٍ لمخْلَدِ بن يزيدَ بن المُهلَّب :

أتَيناكَ فى حاجـــةٍ فٱقضِها * وقُلْ مَرْحبًا يَجِبُ المرحَبُ

ولا تَكِلَنَّـا إلى مَعْشَـــرٍ * متى يَعِـــدوا عِدَةً يكذِبوا

وقال بعض المحدَثينَ :

حوائجُ النـاسِ كُلُّهـا قُضِيَتْ * وحاجتى لا أَراكَ تَقْضِـــيها

أناقـةُ[1] الله حاجتى عُقِـــرَتْ * أم نَبتَ الحُـرْفُ[2] فى نواحِيهـا

وقال جريرٌ لعمرَ بن عبد العزيز :

أأذكُرُ الضُّرَّ والبَـلْوَى التى نزلتْ * أم تكتفِى بالذى بُلِّغْتَ من خبَرى

وقال آخر :

أروحُ لتسليم عليك وأغتـدِى * وحسبُكَ بالتّسليم منّى تقاضـيَا

كفى بِطِلابِ المرءِ ما لا ينـالُه * عناءً وباليأسِ المصرِّحِ[3] ناهِيـا

(١) يعنى بناقة الله هنا ناقة صالح التى عقرتها ثمود . (٢) الحرف : حب الرشاد أو الخردل . ولعله يريد : أم أهملت، فكنى بنبات الحرف فى نواحيها عن الإهمال، كما يهمل كريم النبات فينبت حوله أرذله . (٣) اليأس المصرح : الخالص الذى ليس للإنسان معه أمل فى شىء ؛ يقال : صرح الشىء تصريحا إذا صار خالصا .

وقال آخر :

ما أنتَ بالسّبب الضّعيف وإنما * نُجْحُ الأمورِ بقوّةِ الأسبابِ
فاليومَ حاجتُنا اليك[1] وإنما * يُدعَى الطبيبُ لكثرة الأَوْصَابِ

كتب بعضُ الكُتّاب الى بعض السلطان : أنا أنزّهك عن التجمُّلِ لى بوعدٍ يطول به المَدَى ويَعْتَرِله الوفاء، وأُحبّ أن يتقرّر عندك أن أملي فيك أبعدُ من أن أختلِسَ الأمورَ منك ٱختلاسَ من يَرى فى عاجِلك عِوضًا من آجِلك، وفى الراهنِ من يومِك بدلا من المأمول فى غَدِك، وألّا تكون منزلتى فى نفسك منزلةَ مَنْ يُصرَفُ الطرفُ عنه وتُسْتَكرَهُ النفسُ عليه ويُتكلَّفُ ما فوق العفوِ له، وأن تختارَ[2] بين العذرِ والشكرِ؛ فالله يعلمُ أنّ آثَر الحظّين عندى أحقُّهما عليكَ، وأصوبُهما لحالى عندك .

وفى كتاب : ذو الحرمة مَلُومٌ على فَرْطِ الدّالّة، كما أنّ المتحرِّمَ به مذمومٌ على التناسِى والإزالةِ . ومن مذهبي الوقوفُ بنفسى دون الغايةِ التى يُقَدّمنى إليها حقّ، لأمرين : أحدُهما ألّا أرضى بدون الحقّ أزيدَ فى الحقّ . والثانى أن أرى النفيس من الحظّ زهيدا اذا أتَى من جهة الإرهاقِ. ولِى ذِمامُ المودّةِ الصادقةِ التى كلُّ حُرْمةٍ تَبَعٌ لها، وحق الشكرِ الذى جعله الله وفاءً بالنعم وإن جلّ قدرُها؛ وأنتَ مُراعِى المعالى وحافِظُ بقيّةِ الكرم؛ فأىُّ سبيلٍ للعذرِ، بل أىّ موضعٍ للإكداء بين حُرْمتِى ورِعايتكَ، وذِمَامِي وكرمِك ! .

قال أحمد بن يوسف : أوّلُ المعروفِ مُسْتَخَفٌّ، وآخرُه مُسْتَثْقَلٌ؛ يكاد أوّلُه يكون للهوى دون الرأى، وآخرُه للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : رَبُّ[3] الصّنيعةِ أشدُّ من ٱبتدائها .

(١) فى الأصل : «اليه» وما أثبتناه يتفق مع السياق . (٢) فى الأصل : «يختار» بالياء المثناة من تحت . (٣) ربّ الصنيعة ربًّا : تعهدها ونماها .

قال أبو عطاء السِّنْدىّ فى يزيد بن عمر [بن هُبَيرة] :

ثلاثٌ(١) حُكْتَهُنَّ لقَرْمِ قيسٍ * رَجَعْنَ الىّ(٢) صِفْرًا خائبات

أقام على الفُرات يزيدُ شهرًا * فقال الناسُ أيُّهما الفراتُ(٣)

فيا عجبًا لبحرٍ فاض يسقى * جميعَ الناسِ لم يَبْلُلْ لَهَاتِى(٤)

حال المسئول عند السؤال

٥

قال الشاعر(٥) :

سألناه الجزيلَ فما تَلَكَّا(٦) * وأعطى فوق مُنيتِنا و زادا

مِرارًا ما أعود اليه إلّا(٧) * تبسّم ضاحكا وثنَى الوِسادا

وقال آخرُ :

١٠

قومٌ اذا نزل الغريبُ بدارهم * تركوه رَبَّ صَواهلٍ(٨) وقِيانِ

و إذا دعوتَهُمُ ليومِ كريهةٍ * سَدُّوا شُعَاعَ الشمس بالفُرْسانِ

لا ينقُرون الأرضَ عند سؤالهم * لِتَلَمُّسِ العِلّات بِالعِيدانِ

بل يبسُطون وجوهَهم فترى لها * عند السؤال كأحسنِ الألوانِ

وقال آخرُ :

١٥

يَجعَلُ المعروفَ والبِرَّ ذُخْرًا * ويَعُدّ الحمدَ خيرَ التِّجارهْ

---

(١) يعنى ثلاث قصائد . (٢) كذا فى الشعر والشعراء للؤلف . وفى الأصل : «لقوم» . (٣) فى هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروىّ ، وقد تقدم هذا الشعر قريبا برواية أخرى يمدح به أباه فى ص ١٤١ وليس فيه هذا العيب . (٤) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (٥) هو زياد الأعجم يمدح عمر بن عبد الله . (٦) فى الأغانى (ج ١٤ ص ١٠٢

٢٠

طبع بولاق) « تأبّى » . (٧) فى الأغانى : «ما دنوت» . (٨) كذا فى العقد الفريد . والصواهل : جمع صاهل وهو الفرس والبعير الذى يخبط برجله و يده الأرض ولا يرغو ، وفى الأصل : «صياهل» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة هذا الجمع .

وإذا ما جئتَه تجتديه * خِلْتَه بشَّرْتَه ببشارهْ
فترى فى الطَّرْف منه حياءً * وترى فى الوجه منه آستنارهْ

وقال آخر :

إذا غدا المهدىُّ فى جنده * أو راح فى آل الرسول الغِضابْ
بدا لك المعروفُ فى وجهه * كالضوء يجرِى فى ثنايا الكِعابْ (١)

وأنشدنى العُتْبىّ :

له فى ذُرَى المعروف نُعْمَى كأنها * مواقع ماءِ المُزن فى البلد القَفْرِ
إذا ما أتاه السائلون توقّدتْ * عليه مصابيحُ الطلاقةِ والبِشرِ

والمشهور فى هذا قول زهيرٍ :

تَراه اذا ما جِئتَه مُتهلّلاً * كأنّك تُعطيهِ الذى أنتَ سائلُهْ

وسأل رجل من الأعراب رجلا [فلم يُعْطِه] شيئا ، فقال :

كَدَحْتُ بأظفارى وأعْمَلْتُ مِعْوَلِى * فصادَفْتُ جُلْمُودًا من الصَّخر أملَسَا
تشاغلَ لما جئتُ فى وجه حاجتى * وأطرَق حتى قلتُ قد ماتَ أو عسَى
وأجمعتُ أن أنعاه حين رأيتُه * يفوقُ فُواقَ [الموتِ] (٢) ثم تنفَّسَا
فقلتُ له لا بأسَ ، لستُ بعائِذٍ (٣) * فأفْرخ (٤) تعلُوهُ الكآبةُ مُبلِسَا

وقال مسلمٌ :

أطرقَ لما أتيتُ ممتدحًا * فلم يقُلْ "لا" فضلًا على "نَعَم"

(١) الكعاب : جمع كاعب ، والكاعب : الجارية الناهد . والثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم : ثنتان فى الفك الأعلى وثنتان فى الأسفل . (٢) زيادة يستقيم بها المعنى والوزن . (٣) العائذ : الملتجئ . وفى الأصل : «بعاند» بالدال المهملة . (٤) فأفرخ : ذهب روعه ، وفى الأصل : « فأفرج » بالجيم . ومبلسا : حزينا مفكرا .

خفتُ إن ماتَ أن أُقادَ به * فقمتُ أبغى النَّجاءَ من أَمَمِ (١)

لو أنّ كنزَ البـــلادِ فى يده * لم يَدَعِ الإعْتِـــلالَ بالعَــدَمِ

وقال الحارث الكِنْدىّ :

فلما أن أتيناه وقلنــا * بحاجتنا تَلَوَّنَ لَونَ وَرْسِ (٢)

٥ وآضَ (٣) بكفِّه يَحْتكُّ ضرسًا * يُرِينــا أنه وَجِعٌ بِضِرْسِ

فقلتُ لصاحبِي أبه كُزَازٌ (٤) * وقلتُ أُسِرُّه أتُراه يُمْسِى

وقمنا هاربيْنِ معًا جميعًا * نُحاذِرُ أن نُزَنَّ (٥) بقتلِ نَفْسِ

قال الأصمعىّ :

دخل أعرابىّ على المُساوِرِ الضَّبِّىّ وهو بُنْدارُ (٦) الرَّىّ ، فسأله فلم يُعطِه شيئا ،

١٠ فأنشأ يقول :

أتيتُ المساوِرَ فى حاجـــةٍ * فمــا زال يَسعُلُ حتى ضَرَطْ

وحكَّ قفــاه بكُرْسُوعِه (٧) * ومَسَّــحَ عُثْنُونَه وآمتَخَطْ

فأمسكتُ عن حاجتى خِيفةً * لأخرى تُقَطِّعُ شَرْجَ (٨) السَّفَطْ

فأُقسِمُ لو عُـدتُ فى حاجتِي * لَلَطَّــخَ بالسَّلْحِ (٩) وَشْىَ النَّمَطْ (١٠)

١٥ وقال غَلِطْنا حسابَ الخــراجِ * فقلتُ من الضَّرْطِ جاء الغَلَطْ

قال : فكان العاملُ كلَّما ركِبَ صاح به الصِّبيانُ : « من الضرط جاء الغلط » فهرب من غير عَزْلٍ الى بلاد أصبهانَ .

---

(١) من أمم : من قريب . (٢) الورس : نبات أصفر ينبت باليمن . (٣) آض : صار وعاد . (٤) الكزاز : داء يحصل من شدّة البرد أو رعدة . (٥) نزن : نتهم .

٢٠ (٦) البندار : الحافظ . (٧) الكرسوع : طرف الزند الذى يلى الخنصر . (٨) الشرج بالتحريك : العُرَى ، وسكن للضرورة . والسفط : وعاء كالقفة ، وشرج السفط هنا كناية عن الآست . (٩) السلح : النجو . (١٠) النمط : الفراش .

وقال نهارُ بنُ توسِعةَ فى قُتَيبةَ بن مسلم :

كانتْ خُراسانُ أرضا اذ يزيدُ بها * وكلُّ بابٍ من الخيرات مفتوحُ

فبُدِّلَتْ بعــدَه قِرداً نُطِيفُ به * كأنمـا وجْهُــهُ بالخلّ منضُوحُ

وقال جرير [1] :

يَزِيدُ يغُضّ الطَّــرفَ دونى كأنّمـا * زَوَى بين عينَيْــهِ عــلىّ المحاجمُ [2]

فلا يَنْبَسِطْ من بينِ عينَيكَ ما انزوَى * ولا تَلقَــنِى إلا وأنفُــكَ راغِـمُ

وقال آخرُ :

لا تَسأَلِ المرءَ عن خلائِقه * فى وجههِ شاهدٌ من الخبَرِ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن الأبَحّ [3] عن البَتِّىّ قال قال محمــد بن واسع :
إنك لتعرِف بخَورَ الفاجر فى وجهه .

قال أبو العتاهية :

مالى أَرَى [4] الناس قــد أبرقُوا * بلُؤمِ الفِعال وقــد أرعدوا

اذا جئتَ أفضلَهم للســلا * م ردّ وأحشــاؤه تُرْعَــدُ

كأنكَ، من خشيةٍ للسّــؤا * ل، فى عينه الحيّةُ [5] الأســودُ

---

(١) نسب المبرّد فى الكامل (ج ١ ص ٣٩٦ طبـع أوربا) هذا الشعر للأعشى يعاتب به يزيد بن مسهر الشيبانى، وورد فى الأغانى فى ترجمة الأعشى (ج ٨ ص ٨٦ طبع بولاق) ولسان العـرب مادّة « زوى » ما يؤيد ذلك . (٢) المحاجم : جمع محجم، وهو قارورة الحجام . (٣) ورد هذا الاسم فى الأصل هكذا «الأبح» بالياء المثناة من تحت، ولم نعثر فى الرواة على من تسمى بهذا الاسم . وقد ورد فى تهذيب التهذيب حماد بن يحيى الأبح، فلعله محرّف عنه . (٤) دخل هذا البيت الخرم وهو حذف الحرف الأوّل من «فعولن» وفى هذه الحالة يسمى «أثلم» . وقد ورد فى ديوانه طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين هكذا : ترى الناس طرا وقد أبرقوا ... ... الخ .
(٥) كذا فى ديوانه، وفى الأصل : «الأسد الأسود» .

وقال آخر :

اذا ما الرزق أحجمَ عن كريم * فألجأه الزمانُ إلى زيادِ
تلقّاه بوجـــهٍ مُكْفَهِـــرٍّ * كأنّ عليـــه أرزاقَ العبـادِ

وقال آخرُ :

ولى خليـلٌ ما مسّنى عَدَمٌ * مذ نظَرتْ عينُه الى عَدَمِى
بشّرنى بالغِـــنَى تهلُّـلُه * وقبل هـذا تهلُّلُ الخَـــدَمِ
ومحنةُ الزائرينَ بيّنـــةٌ * تُعرَفُ قبل اللقاء فى الحَشَمِ

العادةُ من المعروف تُقطَعُ

كان يقال : انتزاعُ العادةِ ذنبٌ محسوبٌ .

وقال أبو الأسود [الدُّؤَلى] :

ليت شـعرى عن أميرى ما الذى * غاله فى الـودّ حـــتى ودّعَــهْ (١)
لا تُهِنِّى بعـــد إذ أكْرَمتَنى ، * وشـــديدٌ عادةٌ مُنـــتَزَعَهْ
أذكُرِ البـلوى الـتى أبليتَنِى * وكلامًا قُلتَـــهُ فى المَجْمَعَـــهْ (٢)
لا يكُنْ برقُـك برقًا خُلّبًا * إنّ خيرَ الـبَرْقِ ما الغيثُ معَـهْ

والمشهورُ فى هذا قولُ الأعشى :

عَوّدتَ كِندةَ عادةً فَاصبِرْ لهـا * وَاغفـرْ لجاهلها و رَوِّ سِجَالَهـا

(١) وردت هذه الأبيات فى حماسة البحترى (ص ٣٧٣ طبعة أوروبا) برواية أخرى منسوبة لأنس ابن أبى أنس الليثى وهى :

سل أميرى ما الذى غيّر لى * ودّه والنفع حتى ودّعه
ما الذى أنكر منى فأنثنى * وهو يبدى لى أمورا شنعه
لا تهنى بعد إكرامك لى * وشـــديد عادة منتزعه
واذكر العهد الذى عاهدتنى * وحديثا قلتــه فى المجمعه
ليت من يسعى بسوء بيننا * جنه الليـل بأرض مسبعه

(٢) المجمعة : مجلس الاجتماع ، قال الشاعر : وتوقد ناركم شررا و يرفع * لكم فى كل مجمعة لواء

سال أعرابىّ قوما ، فرقّ له رجلٌ منهم فضمّه اليه وأجرى له رزقا أياما ثم قطع عنه ؛ فقال الأعرابىّ :

تَسَرَّى[1] فلمّا حاسبَ المرءُ نفسَه * رأى أنه لا يستقيم له السَّرْوُ

وقدِم أبو زيادٍ الكِلابىّ مع أعرابٍ سنةَ القَحْمَة[2] ، فأجرى عليهم رجلٌ رغيفا لكل رجلٍ ثم قَطَعه ؛ فقال أبو زياد : ٥

إن يقطعِ العباسُ عنا رَغيفَهُ * فما يأتِينِي من نِعمةِ الله أكثرُ[3]

والحكماء تقول : «العادة طبيعةٌ ثانيةٌ» .

وفى الحديث : "الخيرُ عادةٌ والشّرّ لَجَاجَةٌ" .

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

ولقد ضَرَبنا فى البلاد فلم نَجِد * أحدا سِواكَ الى المكارم يُنْسَبُ ١٠

فَاصبِرْ لعادتك التى عوّدتَنا * أوْلا فَأرشِدْنا الى مَنْ نَذهَبُ

وتقولُ العربُ فيمن اصطنعَ معروفا ثم أفسده بالمنّ أو قطعه حين كاد يتمّ : «شَوَى[4] أخوكَ حتى اذا أنضَجَ رمَّد» .

قال أبو كعب القاصّ : كان رجل يُجرِى علىّ رغيفا فى كلّ يوم ، وكان يقول اذا أتاه الرغيفُ : لعنكَ الله ولعن من بعث بك ، ولعنى إن تركتُك حتى أُصيبَ خيرا منك . ١٥

والعربُ تقولُ فى مثل هذا : «خُذْ[5] من الرَّضَفةِ ما عليها» .

---

(١) تسرّى : تكلف السرو ، والسرو : السخاء . (٢) القحمة : القحط . (٣) دخل على هذا البيت الخرم وقد تقدّم شرحه فى صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ (٤) كذا فى مجمع الأمثال للميدانى . ورمد : ألقى الشىء فى الرماد . وفى الأصل : « رمّل » باللام وهو يصح به المعنى أيضا .

(٥) هذا المثل يضرب فى اغتنام الشىء من البخيل وإن كان نزرا ، والرضفة : الحجارة المحماة يُوغَر (يُسَخَّن) بها اللبن ، وهى اذا ألقيت فى اللبن لزق بها شىء منه . ٢٠

وقال الشاعر :

وخُذِ القليلَ من اللئيم وذُمَّه * إنّ اللئيم بمـا أتى معذورُ

ومعذور : موسوم فى موضع العِذار، وليس هو من العذر .

الشكر والثناء

٥ حدّثنى شيخ لنا عن وَكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن أساف[1] قال قال صلى الله عليه وسلم : "إذا صلّى أحدُكم[2] فَلْيُدْنِ عليه من سِـتر بيته فانّ الله عزّ وجلّ يَقسِمُ الثناء كما يَقسِمُ الرزقَ" .

وحدّثنى أيضا عن وَكيع عن سعيد عن أبى عِمران الجَوْنى عن عبـد الله بن الصّامت قال قال أبو ذرّ : قلتُ للنبىّ صلى الله عليـه وسلم : الرجلُ يعمَل العمـلَ

١٠ ويحبّه الناس؟ قال: "تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المؤمِنِ". وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "إذا أَردتُم أن تَعْلَمُوا ما لِلعبدِ عند اللهِ فانظُروا ما ذا يَتْبَعُه مِن الثَّناءِ" .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كان يقال : الثناء يُضَاعَفُ كما تُضاعَفُ الحسناتُ؛ يكون الرجل سخيًّا فيزيدُ اللهُ فى سَخائِه، ويكون شُجاعًا فيزيدُ الله فى شجاعته .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن العُمَرىّ قال : قال رجلٌ لعمر بن الخطّاب

١٥ رضى الله عنـه : إنّ فلانًا رجلُ صِدْقٍ ؛ قال : سافرتَ معـه ؟ قال لا . قال : فكانت بينك وبينه خُصُومةٌ ؟ قال لا . قال : فهـل آئتمنتَه على شىءٍ ؟ قال لا . قال : فأنت الذى لا علم لك به، أُراكَ رأيتَه يرفع رأسَه ويَخْفِضه فى المسجد ! .

(١) ترجم له فى الخلاصة، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن يساف بالياء المثناة وقال فى التهذيب : « ويقال ابن أساف » . (٢) ورد هذا الحـديث فى الجامع الصغير هكذا : « اذا صلى أحدكم

٢٠ فليصل الى سترة وليدن من سترته لا يقطع الشيطان عليه صلاته » .

قال بعضُ الحكماء : إذا قَصُرتْ يدُك عن المكافأة فَلْيَطُلْ لسانُك بالشكر .

وقال آخرُ : حقُّ النِّعمةِ أن تُحْسِنَ لباسَها ، وتَنْسُبَها إلى وليِّها ، وتذكرَ ما تناسى عندك منها .

وقال بعضُ الحارثيّين :

عثمانُ يَعلَمُ أنّ الحمدَ ذو ثمنٍ * لكنّه يَشتهِى حَمْدًا بمَجّانِ

والناسُ أكيَسُ من أن يَحْمَدُوا أحدًا * حتى يَرَوْا قبلَه آثارَ إحسانِ

وقال حمّادُ عَجْرد :

قد يَنقضِى كُلُّ ما أُوليتَ من حَسَنٍ * إذا أتى دونَ ما أُوليتَ يومانِ

تَنْأى بُودّك ما آستغنَيتَ عن أحدٍ * وإن طَمِعتَ فأنتَ الواصلُ الدّانى

الشَّهدُ أنتَ إذا ما حاجةٌ عرَضتْ * وحَنْظَلٌ كلّما آستغنيتَ خُطْبانُ (١)

وقال عِمْرانُ بن حِطّان :

وقد عَرَضتْ لى حاجةٌ وأَظُنّنِى * بأنّى إذا أنزلتُها بك مُنْجِحُ

فإن أكُ فى أخْذ العطيّة مُرْبِحًا * فإنك فى بذل العطيّة أربَحُ

لأنّ لك العُقْبَى من الأجرِ خالصًا * وشُكرِىَ فى الدنيا ، فحظُّك أرجَحُ

وقال معاويةُ بن أبى سُفيانَ يعاتب قُرَيشا :

اذا أنا أعطيتُ القليلَ شكوتُمُ * وإن أنا أعطيتُ الكثيرَ فلا شُكْرُ

وما لمتُ نفسى فى قَضاء حقوقكمْ * وقد كان لى فيما آعتذرتُ به عُذْرُ

وأمنحُكُمْ مالى وتَكْفُرُ نعمتى * وتَشْتِمُ عِرضى فى مجالسها فِهْرُ

(١) أخطب الحنظل : آصفرّ وصار خطبانا وهو أن يصفرّ وتصير فيه خطوط خضر ، وفى الأصل « حطبان » بالحاء المهملة وهو تحريف . وفى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ .

إذا العذرُ لم يُقْبَلْ ولم ينفعِ الأسى * وضاقت قلوبٌ منهمُ حشوُها الغِمْر (١)
فكيف أُداوِى داءَكم ودواؤكم * يَزيدكم غيًّا ! فقد عظُم الأمر
سأحْرِمُكُمْ حتى يَذِلّ صِعابُكم ، * وأبلغُ شيءٍ فى صلاحِكُمُ الفقر

وقال طُرَيْحٌ الثَّقفىّ :

٥ سعيتُ ٱبتغاءَ الشكر فيما صنعتَ بى * فقصّرتُ مغلوباً وإنى لشاكرُ

ومثله قول الخُرَيْمِىّ :

لِأنك تُعطينى الجزيلَ بَداهةً * وأنت لِمَا ٱستكثرتُ من ذاك حاقرُ

ومثلُه قولُه أيضا :

زاد معروفَكَ عندى عِظَمًا * أنه عندك محقورٌ صغيرْ
١٠ تتناساه كأنْ لم تأته * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرْ

قال رجل لبعض السلطان : المواجهةُ بالشكر ضربٌ من المَلَق ، منسوبٌ من عُرِف بها الى التخلُّقِ (٢) ، وأنت تمنعُنى من ذلك وترفع الحالُ بيننا عنه ، ولذلك تركتُ لقاءك به . غير أنى من الاعتراف بمعروفك ونَشْرِ ما تَطْوِى منه والإشادةِ بذكره عند إخوانك والانتسابِ إلى التقصير مع الإطناب فى وصفه ، على ما أرجو
١٥ أن أكونَ قد بلغتُ به حالَ المحتمِلِ للصّنيعة ، الناهضِ بحقّ النعمة .

قال ٱبنُ عنقاء الفَزَارىّ :

رآنى على ما بى عُمَيلةُ فٱشتكى * الى ماله حالى أسرّ كما جهَرْ
دعانى فآسانى ولو صَدّ (٣) لم أُلُمْ * على حين لا بَدْوٌ يُرَجَّى ولا حَضَرْ
فقلتُ له خيراً وأثنيتُ فعلَه (٤) * وأوفاك ما أسديتَ مَنْ ذمّ أو شكَرْ

---

٢٠ (١) الغمر (بالكسر) : الحقد . (٢) تخلق الرجل : أظهر فى خلقه خلاف ما فى نفسه .
(٣) فى ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٦ طبع أوربا : «ضن» . (٤) أثنيت فعله أى على فعله ، فحذف حرف الجر ، ويجوز أن يكون عدّى أثنى لأنه بمعنى مدح (انظر شرح الحماسة للتبريزى) .

وقال آخر[1] :

سأشكر عمرًا إن تراخت منيّتى * أيادىَ لم تُمْنَن وإن هى جَلّتِ
فتًى غيرُ محجوبِ الغِنَى عن صديقه * ولا مُظْهِرِ الشكوَى اذا النعلُ زَلّتِ
رأى خَلّتى[2] من حيث يَخفَى مكانُها * فكانت قَذَى عينيْه حتى تجلّتِ

وقرأتُ فى كتاب للهند : أربعةٌ ليست لأعمالهم ثمرة : مُسَارُّ الأصمِّ ، والباذِرُ فى السَّبَخَة ، والمُسْرِجُ فى الشمس ، وواضعُ المعروف عند مَنْ لا شكر له .

وقال بعضُ الشعراء المُحْدَثين ، وقيل : إنه للبحترىّ ، فبعثتُ إليه أسأله عنه فأعلمنى أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخصٌ يَبِينُ * إذا ما تأمّله الناظرُ
لبيّنتُهُ لك حتّى تراه * فتعلَم أنّى آمرؤٌ شاكرُ
ولكنه ساكنٌ فى الضمير * يُحَرّكه الكَلِمُ السائرُ

وقال آخرُ :

فلو كان يَستغنى عن الشكر سيّدٌ * لِعِزّة مُلْكٍ أو عُلوّ مَكانِ
لما أمر اللهُ الجليلُ بشكره * فقال آشكرونى أيها الثَّقلانِ

وقال آخرُ :

فأثْنُوا علينا لا أبًا لأبيكُمُ * بإحساننا إنّ الثناءَ هو الخُلْدُ

وقال رجل من غَنِىٍّ :

فإذا بلغتم أهلكم فتحدّثوا * ومن الثناء مَهَالِكٌ وخُلودُ

---

(١) يقال : إنه محمد بن سعيد الكاتب (انظر ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٧ طبع أوربا) .
(٢) الخلة (بالفتح) : الفقر والحاجة .

وكانت عائشة رضى الله عنها تَتَمَثَّلُ بقول الشاعر :

يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عليـك وإنّ مَنْ * أثنى عليك بما فعلتَ كمن جَزَى

وقال الحارثُ بن شدّاد فى علىّ بن الربيع الحارثىّ :

النـاسُ تحتك أقــدامٌ وأنت لهم * رأسٌ وكيف يُسَوَّى الرأسُ والقدمُ

فحَسْبُنا من ثناء المـادحين إذا * أثنَوْا عليـك بأن يُثنوا بما عَلِمُوا

وقال آخرُ :

بأىّ الخَصْلتيْن عليك أُثنى * فإنى عند مُنْصَرَفى مَسُـولُ

أبالحُسْنَى وليس لهـا ضياءٌ * علىّ فمَنْ يُصَـدِّقُ ما أقـولُ

أمِ الأُخرَى ولستَ لها بأهلٍ * وأنت البحرُ من ذهبٍ يسيلُ

١٠ وقال بشّار :

أُثنِي عليـك ولى حال تُكَذِّبنى * فيما أقول فأستحيي من الناسِ

قد قلتُ إنّ أبا حفصٍ لأَكرمُ مَنْ * يمشى نخاصَمَنى فى ذاك إفلاسى

وكتب بعض الكتّاب إلى وزير : لستَ تُشـبه حالَنا فى الحُرمة ، ولا تُشـبه حالَك فى الجاه والقُدرة ، ولا ظاهرُ ما نحن عليه الباطن . وليس بعد حُرْمتى حرمةٌ ، ١٥ ولا فوق سَبَبِي سببٌ ، ولا بعـد حالك حالٌ يُرتجى ، ولا بعـد منزلتك منزلةٌ تُتَمَنَّى ، ولا تنتظر شيئا ولا أنتظره ، ولا أتوقّع حقًّا أزيدُه فى حقوقى ، ولا نتوقّع فائدة تزيدها فى ذات يدك . وكم تحتال بالألفاظ ، وتُموّه بالمعـانى ، والنـاس يحتجّون بالعمـل ويَقْضون بالعِيان .

وقال بعض الشعراء :

٢٠ وزهّدنى فى كلّ خيرٍ صـنعتُه * إلى الناس ما جرّبتُ من قلّة الشكرِ

وقال أبو الهَوْل فى أبى المواء عُتْبة بن عاصم :

اذا فاخرَتْنا من معدّ عِصابةٌ * فخرنا عليها بآبن عُتْبةَ عاصمِ

يجُرّ رِياطَ الحمدِ فى دار قومه * ويختال فى عِرْضٍ من الذمّ سالمِ

وقال رجل لبعض السلطان : مِثلك أوجب حقّا لا يجب عليه ، وسمَح بحقّ يجب له ، وقبِل واضحَ العذر ، وآستكثر قليلَ الشكرِ . لا زالت أياديك فوق شكرِ أوليائك ، ونعمةُ الله عليك فوق آمالهم فيك .

وكتب آخر :

ما أنتهى الى غايةٍ من شكرك ، إلا وجدتُ وراءَها غايةً من معروفك يَحسُرُنى[1] بلوغُها . وما عَجَز الناسُ عنه فالله من ورائه . فلا زالت أيامك ممدودةً بين أملٍ [لك] تبلغه ، وأملٍ فيك نُحقّقه ، حتى تَمَلّى من الأعمار أطولَها ، وتنالَ من الهِبات أفضلَها .

ونحو هذا قولُ آخر :

كان لى فيك أمَلانِ : أحدُهما لك ، والآخَرُ بك . فأمّا الأملُ لك فقد بَلَغتَه ، وأمّا الأملُ بك فأرجو أنْ يُحقّقه الله ويُوشِكَه .

وفى كتاب آخر :

أيّامُ القدرةِ وإن طالتْ قصيرةٌ ، والمُتْعةُ بها وإن كَثُرتْ قليلةٌ ، والمعروفُ وإنْ أُسْدِىَ الى من يَكفُره مشكورٌ بلسان غيره .

وفى كتاب بعض الكُتّاب :

وما ذكرتُ — أعزّك الله — من ذلك قديمًا ولا جدّدتَ منه حديثًا ، إلا وأصغرُ أملِى فيك فوقَه وإن كان آستحقاقى دونه . فإن أفضَ واجبَ حقِّ الله علىّ

(١) يحسرنى (من باب نصر ، ويجوز فيه أحسر أيضا) : يعيينى ويتعبنى .

فى شكر نِعَمك فبتوفيقه وعَوْنه، وإن أُقَصِّرْ عن كُنْهه فعن غيرِ تقصيرٍ فى بلوغ الجُهدِ فيـــه .

وفى هذا الكتاب :

أمّا ما بَذَلَ الأميرُ من ماله ، فذلك ماقد سَبَق الرجاءُ بل اليقينُ اليه ، مَعْرِفةً منّى بطَوْله وكرمه ، وليس يُنكَر أياديه ولا بِدْعُ صنائعه . وما يُرشِدُنى أملى بعـد الله إلّا اليه ، ولا أفزَعُ لحادثةٍ الى غيره ، ولا أتضاءلُ لنائبة معه . ولو عَجَزتُ عن النّهضة لمّا حاولتُ الآستقلالَ والآنتعاشَ إلا به . ومالُ الأميرِ الكثيرُ المذخورُ عند آنقطاع الحِيَل ، لا مُعَنَّفٌ طالبُه ، ولا مُخَوَّفٌ على الرّدّ عنه واهبُه ، ولا عائقَ مَنْعٍ دونه ، ولا تنغيصَ من ورائه ؛ ولا كنزَ أولَى بالصون وأن يُجعَلَ وَقْفًا على النوائب والعواقب مِنْ كنزِ مَنْ هذه حالُه .

قالت بنو تميم لِسَلامةَ بن جَنْدَل[1] : مَجِّدْنا بشعرك ؛ فقال : افعلوا حتّى أُثْنِيَ . ونحوُه قولُ عمرو بن مَعْدِيكَرِبَ :

فلو أنّ قومى أنطقتْنى رِماحُهم * نطقتُ ولكنّ الرّماحَ أجَرّتِ[2]

قال رجل من قريش لأشعبَ : والله ما شكرتَ معروفى عندك ؛ فقـال : إنّ معروفك كان من غير مُحتسِبٍ ، فوقع عند غير شاكر .

وقال أبو نُوَاس :

أنت آمرؤٌ أوليتَـــنى نِعَمًا * أوهتْ قُوَى شكرى فقد ضَعُفا

---

(١) كذا فى الشعر والشعراء (ص ١٤٧ س ٤) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٨٦ س ٢٢) وفى الأصل : « جندب » بالباء وهو تحريف . (٢) أجرّت : قطعت ، يقول : لو قاتل قومى أو أبلوا لذكرت ذلك وفخرت بهم ، ولكن رماحهم أجرّتنى أى قطعت لسانى عن الكلام بفرارهم .

فإليكَ بعد اليومِ تَقْدِمةً * وَٱلَتْك[1] بالتصريح مُنكشِفَا

لا تُحدِثن إلىّ عارفةً * حتّى أقومَ بشكرِ ما سَلَفا

وقال أبو نُخَيْلة :

شكرتُكَ إنّ الشكرَ حبلٌ من التُّقَى * وما كلُّ مَنْ أقْرضتَه نعمةً يَقضى

فأحييتَ من ذكرِى وما كان مَيِّتاً[2] * ولكنّ بعضَ الذِّكرِ أنبهُ من بعضِ ٥

آخر :

لأشكُرنّك معروفًا هَمَمتَ به * إنّ آهتمامَك بالمعروفِ معروفُ

ولا ألومُك إن لم يُمْضِه قَدَرٌ * فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مصروفُ

وقال رجل لسعيد بن جُبَير : المجوسىُّ يُولينى خيرًا فأشكُره ، ويُسلِّمُ علىّ فأردُّ عليه ؛ فقال سعيد : سألتُ آبن عبّاس عن نحو هذا ، فقال لى : لو قال لى فرعونُ خيرا لَرَددتُ عليه مثله . ١٠

أنشد آبن الأعرابىّ :

أهلكتْنى بفلانٍ ثِقَتِى * وظُنونٌ بفلانٍ حسَنَهْ

ليس يَستوجِبُ شكرًا رجلٌ * نِلتُ خيرًا منه من بعد سنهْ

وقال بعضهم : لا تَثِقْ بشكرِ من تُعْطيه حتى تمنَعه ؛ فإنّ الصابرَ هو الشاكر ، والجازعَ هو الكافر . ١٥

وقال أَوْسُ بن حَجَر :

سأَجْزِيكِ أو يَجْزِيك عَنِّى[3] مُثوِّبٌ * وقَصْدُكِ أنْ يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِى

(١) والتك : تابعتك ، وفى ديوانه المطبوع : فإليك قبل اليوم تقدمة * لاقتك بالتصريح منكشفا

(٢) فى نهاية الأرب : * ونبهت لى ذكرى وما كان خاملا * (٣) كذا فى ديوانه طبع أوربا والأغانى (ج ١٠ ص ٧ طبع بولاق) ، وفى الأصل : ٢٠

منى مثوّب * وحسبك منّى أنْ أَوَدَّ وأَحْمَدَ وروىّ القصيدة بالكسر .

والعربُ تقول : فلانٌ "أشكَرُ من البَرْوَق" وهو نبت ضعيف ينبتُ بالسحاب إذا نشأ و بأدنى مطر .

وقال الشاعر :

لئن طِبتَ نَفْسًا عن ثَنَـائِي فإننى * لَأَطيَبُ نفسًا عن نَدَاك على عُسْرِى

٥ فلستُ الى جَدْواكَ أعظَمَ حاجةً * على شِدّةِ الإعسارِ منكَ إلى شُكرِى

وقال آخر :

حَسْبُ آمرئٍ إن فاتني غرضٌ * من بِرّه أن فاته شُــكرِى

إنّى إذا ضاق آمرؤٌ بجــدًا[1] * عنّى آتّسعتُ عليـه بالعُـــذْرِ

وقال الطائىّ لإسحاق بن إبراهيم :

١٠ ومُحجَّبٍ حاولتُـه فوجدته * نَجْمًا عن الركبِ العُفاةِ شَسُوعَا

أعدمتُــه لمّـا عَدِمتُ نوالَه * شُكرِى فرُحْنا مُعدِمَيْن جميعَا

وقال :

فإنْ يكُ أربَى[2] عفوُ شكرِى على نَدَى * أُنَاسٍ فقد أربَى نَدَاهُ على جُهدِى

وقال :

١٥ وكيفَ يجورُ عن قَصْدٍ لسانِى * وقلبى رائحٌ برِضَاكَ[3] غادِى

وممّـا كانتِ العلمـاءُ قالتْ * لسانُ المرءِ مِن خَدَمِ الفُـؤادِ

وقال :

أبا سَـعيدٍ وما وصفِى بمُتَّهَـمٍ * على الثّنـاءِ[4] وما شُكرِى بمُختَرَمِ

(١) الجدا : العطية . (٢) كذا فى ديوان أبى تمام ، وفى الأصل : «أدنى» وهو تحريف .

٢٠ (٣) كذا فى ديوان أبى تمـام وهو الذى يناسب البيت الذى بعـده ، وفى الأصـل : « بنداك » .

(٤) فى الديوان : «على المعالى» .

لئن جحدتُكَ ما أوليتَ من نِعَمٍ * إنّى لفى الشُّكر أحظَى منك فى النِّعَمِ (١)

أنسى ٱبتسامُكَ والألوانُ كاسِفةٌ * تبسُّمَ الصّبحِ فى داجٍ من الظُّلَمِ

رَدَدتَ رَوْنَقَ وجهى فى صَفيحَتِه * رَدَّ الصِّقالِ بَهاءَ الصّارِمِ الخَذِمِ

وما أُبالى، وخيرُ القول أصدقُه، * حَقَنتَ لى ماءَ وجهى أم حقنتَ دَمى

وقال : ٥

فلا تَكْدَرْ حِياضُك لى فإنى * أَمُتُّ اليك آمالًا طِوالَا

وفِرْ جاهِى علىّ فانّ جاهى (٢) * اذا ما غَبَّ يومٌ كان مالَا

وقال :

يا مِنّةً لك لولا ما أُخَفِّفُها * به من الشكر لم تُحمَلْ ولم تُطَقِ

بٱلله أدفعُ عنّى ثِقلَ فادحِها * فإنّنى خائفٌ منه (٣) على عُنُقى ١٠

وقال بشارٌ فى عمرَ بنِ العلاء :

دعانى الى عُمرٍ جُودُه * وقولُ العشيرةِ بَحرٌ خِضَمّْ

ولولا الذى زعموا لم أكن * لِأمدحَ رَيْحانةً قبلَ شَمّْ

ويقال : الشكر ثلاثُ منازلَ : لِمن فوقك بالطاعةِ، ولِنظيرِك بالمكافأةِ، ولِمن دونك بالإفضال عليه . ١٥

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الأصل ، وهو غير واضح المعنى، وقد ورد البيت فى الديوان هكذا :

لئن جحدتُكَ ما أوليتَ من حسَنٍ * إنى لفى اللؤم أحظَى منكَ فى الكرم

(٢) فِرْ : فعل أمر من قولهم : وفَر عِرضَه ووفره له لم يشتمه كأنه أبقاه له طيبا لم ينقصه بشتم قال الشاعر :

أَلِكْنى وفِرْ لابن الغريرة عرضه * الى خالد من آل سلمى بن جندل ٢٠

(٣) فى الديوان «منها» .

قال إبراهيمُ بن المهدىّ[1] يشكر المأمونَ :

رَددتَ مالى ولم تَمْنُنْ[2] عـلىّ به * وقبل ردِّكَ مالى قد حَقَنْتَ دَمِي[3]

فَأُبْتُ منــكَ وقــد جلّلتَنِي نِعَماً * هى الحياتان من موتٍ ومن عَدَمِ

فلو بذلتُ دَمى أبغِى رضــاكَ به * والمــالَ حتى أسُلَّ النعلَ من قَدَمِي

٥ ماكان ذاك سِوى عاريّةٍ رجعَتْ * اليــكَ لولم تُعِــرْها كنتَ لم تُلَمِ

وقام علمُكَ بى فآحتجَّ عندكَ لى * مقامَ شــاهِدِ عدلٍ غيرِ مُتَّهَــمِ

وقال آخرُ، و بلغنى أنه الخَثْعَمىّ :

فآذْهَبا بى إن لم يكن لكما عَقْـ * ـرٌ الى جَنب قــبره فآعقِــرَانى

وآنضَحا من دمى عليه فقد كا * ن دمى من نَداه لو تَعْلمانِ

١٠ وفد رجل على سليمانَ بن عبد الملك فى خلافته ، فقال له : ما أقدمكَ؟ قال : ما أقدمنى عليك رَغْبَةٌ ولا رَهْبَةٌ ، قال : وكيف ذاك؟ قال : أما الرّغبةُ فقد وصَلَتْ الينا وفاضتْ فى رِحالنا وتَنَاوَلهـا الأقصى والأدنى منّا ، وأما الرّهبَــةُ فقد أمِنَّا بعدْلِ أمير المؤمنين علينا وحُسنِ سِيرتِه فينا من الظلم ، فنحن وَفْدُ الشكر .

وقال الفرزدقُ فى عمرو بن عُتبةَ :

١٥ لولا آبنُ عُتبــةَ عمرٌو والرجاء له * ماكانت البَصْرةُ الحمقاءُ لى وطَنَا

أعطانِىَ المــالَ حتى قلتُ يُودِعُنِى * أو قلتُ أُودِعَ لى مالاً رآه لنَــا

---

(١) راجع استعطاف إبراهيم بن المهدى وشكره للمأمون وعفوه عنه وردّ ماله وضياعه اليه فى أمالى القالى (ج ١ ص ١٩٩ طبع دار الكتب) . (٢) فى أمالى القالى : «ولم تبخل» . (٣) كذا فى أمالى القالى والعقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٩) وفى الأصل : «ما حقنت دمي» . وهي هنا مصدرية .

بِجُودِهِ مُتعِبٌ شكرِي ومِنَّتُه * وكلّما زدتُ شكرا زادني مِنَنا

يَرمِي بهمّتِه أقصى مسافتِها * ولا يُريدُ على معروفه ثمنا

هذا مثل قول الأعرابيّ : ما زال فلانٌ يُعطيني حتى ظننتُ أنه يُودِعُني ماله . وما ضاع مالٌ أورثَ المحامدَ .

ويقال : خمسةُ أشياءَ ضائعةٌ : سراجٌ يُوقَدُ في شمسٍ ، ومَطَرٌ جَوْدٌ في سَبَخةٍ ، وحَسناءُ تُزَفُّ الى عِنِّينٍ ، وطعامٌ آستُجِيدَ وقُدِّمَ الى سَكرانَ ، ومعروفٌ صُنِعَ الى مَنْ لا شكرَ له .

وكان يقال : الشكرُ زيادةٌ في النّعم وأمانٌ من الغِيَرِ .

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ : اذا قَدُمَتِ المصيبةُ تُرِكَتِ التَّعزِيةُ ، واذا قَدُمَ الإخاء قَبُحَ الثناء .

بَعثَ رَوْحُ بنُ حاتم الى كاتبٍ له بثلاثين ألفَ درهم ، وكتبَ[1] اليه : قد بعثتُ بها اليك ، ولا أُقلِّلُها تكبُّراً ، ولا أُكثِّرها تمنُّناً ، ولا أَستَثيبُكَ عليها ثناء ، ولا أقطَعُ عنك بها رجاء .

وفي كتاب للهند : لاثَناءَ مع كِبْرٍ . وفيه : سِتّةُ أشياءَ لاثَباتَ لها : ظِلُّ الغَمامِ ، وخُلّةُ الأشرارِ ، وعِشقُ النساءِ ، والمالُ الكثيرُ ، والسّلطانُ الجائرُ ، والثناءُ الكاذبُ .

والعربُ تقول : « لا تَهْرِفْ[2] قبل أن تَعرف » أي لا تُطنِبَنَّ في الثّناء قبل الاختبار .

---

(١) في الأصل : «فكتب اليه» . (٢) هذه الرواية أشار اليها صاحب اللسان في مادة «هرف» وفي مجمع الأمثال للميداني : «لا تهرف بما لا تعرف» وهي الرواية المشهورة .

وكتب أبو نُوَاس من الحبس الى الفضل بن الربيع :

ما من يد فى الناس واحدةٍ * كيــدٍ أبو العبــاس مَولاها

نام الثِّقاتُ على مَضاجعهم * وسَرَى الى نفسى فأحياهـا

قــد كنتُ خِفتُك ثم آمنَنى * من أن أخافَك خوفُــك اللهَ

فعفوتَ عنّى عفوَ مُقتَــدِرٍ * وجبَتْ له نِــعَمٌ فألغاهَــا

والبيتُ المشهور فى هذا قول النَّجاشىّ :

لا تحمَدنّ آمرأً حتى تُجرِّبَه * ولا تَذُمَّنَّ مَنْ لم يبْلُه الخُــبُرُ

وقال آخَرُ فى الآختبار :

إنّ الرجالَ إذا آختبرْتَ طِباعَهم * ألفيتَهُمْ شتّى على الأخبـارِ

لا تَعجَلَنَّ الى شَريعــةِ مَوْرِدٍ * حتى تَبيَّنَ خُطّةَ الإصــدارِ

وقال الرِّياشىّ : أنشدَنى أبو العالية :

اذا أنا لم أشــكُرْ[1] على الخير أهلَه * ولم أذْمُمِ الجِبْسَ[2] اللئيمَ المذمَّمَــا

ففيمَ عرَفْتُ الخيرَ والشرَّ بآسمِهِ * وشَـــقَّ لِىَ اللهُ المسامعَ والفمَا

قال آبن التَّوأمِ : كلُّ مَنْ كان، جُودُه يرجِــع اليه؛ ولولا رجوعه اليه لمـا جاد عليك، ولو تهيأ له ذلك المعنى فى سِواك لمـا قصدَ اليك، فليس يجب له عليكَ شكرٌ. وإنما يُوصفُ بالجود فى الحقيقةِ ويُشكرُ على النفع فى حُجّةِ العقل، الذى إن جاد عليك فلك جادَ، ونفعَك أراد، من غير أن يرجع اليه جودُه بشىءٍ من المنافع على جهةٍ من الجهات، وهو الله وحدَه لا شريكَ له . فإن شكَرْنا الناسَ على بعض ما جرى لنا على

(١) فى زهر الآداب للحصرى (ج ١ ص ٢٥٠) : « اذا أنا لم أمدح » . (٢) الجبس : الدنىء الجبان .

أيديهم، فلأمْرَينِ : أحدُهما التعبُّدُ ؛ وقد أمرَ اللهُ تعالى بتعظيم الوالِدَينِ وإن كانا شيطانَينِ وتعظيمِ مَنْ هو أسنُّ منّا وإن كنّا أفضلَ منه . والآخرُ : لأن النفسَ مالا تُحصِّلُ الأمورَ وتُميِّزُ المعانِيَ، فالسابقُ اليها حُبُّ مَنْ جرَى لها على يديهِ الخيرُ وإن كان لم يُرِدْها ولم يَقْصِد اليها . ألا ترى أنّ عطيَّةَ الرجلِ صاحِبَه لاتَخلُو أن تكونَ للهِ أو لغير الله ؛ فإن كانتْ لله فثوابُه على الله ؛ وكيف يَجبُ[١] فى حجّةِ العقل شكرُه وهو لو صادف ابنَ سبيلٍ غيرى لمَا أعطانى ؛ وإما أن يكونَ إعطاؤه إياى للذكرِ ؛ فإن كان كذلك فإنما جعلنى سُلّمًا الى حاجتِه وسببًا الى بُغْيَتِه ؛ أو يكونَ إعطاؤه إياى طلبا للمكافأةِ ؛ فإنما ذلك تجارةٌ ؛ أو يكونَ إعطاؤه لخوف يَدِى أو لِسَانى أو آجترارِ مَعُونَتِى ونُصرتِى ، وسبيلُ هـذا معروفٌ ؛ أو يكونَ إعطاؤه للرحمةِ والرِّقّةِ ولِما يجدُ فى فؤادِه من العصرِ والألمِ ، فإنما داوَى بتلك العطيّةِ من دائِه ورفَّه من خِناقِه .

وكان محمد بن الجَهْم يقول : نحوُ هذا قول الشاعر :

لَعَمرُكَ ما النّاسُ أثنَوْا عليك * ولا عظَّمُوكَ ولا عَظَّموا[٢]
ولا شايَعُوكَ على ما بَلَغْـ * ـتَ من الصالحات ولا قدّموا
ولو وَجَدوا لَهُمُ مَطْعنًا * الى أن يَعيبوكَ ما جَمْجَموا
ولكن صَبرتَ لِمَا ألزموكَ * وجُدتَ بما لم يكن يلزمُ
وكان قِراكَ اذا ما لَقُوكَ * لسانًا بما سرّهم يَنْعِمُ
وخَفْضَ الجناح وَوَشْكَ النجاح * وتصغيرَ ما عظّم المُنْعِمُ
فأنتَ بفضلك ألجأتَهم * الى أن يُجِلّوا وأن يُنعِموا

وقال خَلَف بن خليفة الأَقْطع :

وفى اليأس من أن تسألَ الناسَ راحةٌ * تُميتُ بها عُسْرًا وتُحيى بها يُسْرَا

---

(١) فى الأصل : « وكيف يجب على حجة العقل » . (٢) كذا بالأصل ، والتكرار هنا غير مستساغ ، ولعل فيه تحريفا من الناسخ فى الكلمة الأولى بأن يكون أصلها « بجلوك » مثلا ، أو فى الكلمة الثانية بأن يكون أصلها « نظّموا » أى أكثروا من نظم المدائح فيك .

وليس يـــدٌ أوليتهـا بغنيمـــة * اذا كنت تبغى أن يعـد لهـا شكرا
غنى النفس يكفى النفس ما سد فاقةً * فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقـرا

قال ابن عائشة : بلغنى أن عبد الرحمن بن حسان سأل بعض الولاة حاجةً فلم يقضها له(١) ، فسألها آخر فقضاها له ، فقال :

ذممت ولم تحمـد وأدركت حاجتى * تولى سواكم أجرهـا واصطناعها
أبى لك كسب الحمد رأىٌ مقصرٌ * ونفسٌ أضاق الله بالخـير باعهـا
اذا هى حثته على الخـير مرةً * عصاها وإن همت بشر أطاعهـا

وقال ابن عائشـة : قال رجلٌ يوما لابن عيينة : ما شىء تحدثونه يا أبا محمد؟ قال : ما هو؟ قال : يقـولون إن الله تعالى يقول : أيمـا عبد كانت له الى حاجةٌ فشـغله الثناء علىّ عن سؤال حاجته ، أعطيته فوق أمنيتـه ؛ فقال له : يابن أخى ، وما تنكر من هذا! أما سمعت قول أمية بن أبى الصلت فى عبد الله بن جدعان :

اذا أثنى عليـــه المرء يوما * كفاه من تعرضـــه الثناء

فكيف بأكرم الأكرمين !

وكان يقال : فى طلب الرجل الحاجة الى أخيه فتنةٌ : إن هو أعطاه حمـد غير الذى أعطاه ، وإن منعه ذم غير الذى منعه .

حدثنا الرياشى قال : أنشدنا كيسان لدكين الراجز :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميـــل(٢)
اذا المرء لم يضرع عن اللؤم نفسه * فليس الى حسن الثناء سبيل

(١) كذا فى أمالى القالى (ج ٢ ص ٢٢١ طبع دار الكتب المصرية) ؛ وهو المناسب للشعر ، وفى الأصل : «فشفع رجل فقضيت حاجته» . (٢) المعروف أن هذا البيت هو مطلع قصيدة للسموءل بن عادياء اليهودى ، كما فى أمالى القالى وديوان الحماسة لأبى تمام وغيرهما ، والبيت الثانى يروى فى الحماسة هكذا :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء ســبيل

ويروى فى أمالى القالى هكذا : اذا المرء لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

وكان يقال : أوّلُ منازِل الحمدِ السلامةُ من الذمّ .

قال عُرْوةُ بن أُذَيْنةَ اللَّيثيّ [(١)] :

لا تترُكَنْ ، إنْ صَنيعةٌ سَلَفَتْ * منكَ وإنْ كنتَ لا تُصَغِّرُها
الى آمرِئٍ ، أنْ تقولَ إنْ ذُكِرَتْ * عندكَ فى الجِدِّ لستُ أذكُرُها
فإنَّ إحياءها إماتَتُها * وإنَّ مَنًّا بها يُكَدِّرُها ٥
وإن تولَّى آمرُؤٌ بشُكرِ يَدٍ * فاللهُ يَجْزِى بها ويَشكُرُها

ويقال : أحيُوا المعروف بإماتته .

أبو سُفيان الحِمْيرىّ قال : كان مَسْعَدَةُ الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مَوْلَى لخالد القَسْرىّ ، وكان فى ديوان الرسائل بواسط ، وكان مُوجِزًا فى كُتُبه ، فكتب الى صديقٍ له : أما بعد ، فإنه لن يَعْدَمك من معروفك عندنا أمران : أجرٌ من الله ١٠ وشكرٌ منّا . وخيرُ مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر . والسلام .

وكتب بعضُ الكتّاب الى بعض العمّال : وما أتأمّلُ فى وقت من الأوقات ولا يومٍ من الأيّام آثارَ أياديك لدىّ ، ومواقعَ معروفك عندى ، إلا نَبَّهني التأمّل على ما يُحسِرُ الشكرَ ويُثقل الظهرَ ، لأنك أنعشتَ من عَثْرَة ، وأنهضتَ من سَقْطة ، وتلافيْتَ نعمةً كانت على شَفَا زَوالٍ ودُروس ، وتَلَقَّيتَ ما ألقيتُ عليك من الكَلِّ بوجهٍ ١٥ طَليق وباعٍ رَحِيب [(٢)] . والسلام .

---

(١) أذينة : لقب لأبيه . واسمه يحيى بن مالك بن الحارث الليثى . وكان عروة شاعرا غزلا من شعراء أهل المدينة وثقة ثبتا ؛ روى عنه مالك وغيره من الأئمة رضى الله عنهم (راجع كتاب التنبيه على أوهام أبى علىّ فى أماليه ص ٢٦ طبع دار الكتب المصرية) وترجمته فى كتاب الأغانى (ج ٢١ ص ١٦٢ طبع أوربا) .

(٢) فى الأصل : «وبال» . ٢٠

الترغيب فى قضـاء الحاجة وآصطناع المعروف

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنـا داود بن المُحَبَّر عن محمـد بن الحسن الهَمْدَانى عن أبى حمزة عن علىّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : "مَنْ تَرَكَ مَعُونَةَ أخيه المسـلم والسَّعْىَ معه فى حاجته قُضِيَتْ أو لم تُقْضَ كُلِّفَ أن يسعى فى حاجة مَنْ لا يُؤْجَرُ فى حاجته . ومَنْ ترك الحَجَّ لحاجةٍ عَرَضتْ له لم تُقْضَ حاجتُهُ حتى يرى رءوس المحلّقين" .

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنـا آبن عُيَينة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بُرْدة عن أبيه عن جدّه عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اِشْفَعُوا إلىَّ ويَقْضِى اللهُ على لِسَانِ نَبِيِّكم ما شاءَ" .

بلغنى عن جعفر بن أبى جعفر المـازنىّ عن آبن أبى السَّرِىّ عن إبراهيم بن أدهم عن منصور بن المعتمِر قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أحببتَ أن يُحِبَّـك اللهُ فآزهَدْ فى الدنيـا وإن أحببتَ أن يُحبَّك الناسُ فلا يقع فى يدك من حُطامها شىء إلا نبذتَه اليهم" .

حدّثنى محمد بن داود عن محمد بن جابر قال : قال آبن عُيَينَة : ليس أقول لكم إلّا ما سمِعتُ : قيل لآبن المنكدِر : أىُّ الأعمالِ أفضـلُ ؟ قال : إدخالُ السرور على المؤمن . وقيل : أىّ الدنيا أحبُّ اليك ؟ قال : الإفضالُ على الإخوان .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : حدّثنا زَرِيرٌ[1] العُطَارِدِىّ قال : صلّى بنـا أبو رجاء العُطَارِدىُّ العَتَمَةَ ثم أوَى الى فراشه ، فأتته آمرأةٌ فقالت : أبا رجاءٍ ، إنّ

---

(١) ورد هـذا الاسم بالأصل هكذا : «زريك» بالكاف وهو تحريف ، فقد جاء فى القاموس وشرحه مادّة زرر : « سلم بن زرير كحرير من تابعى التابعين عطاردىّ بصرى سمع أبا رجاء العطاردىّ » .

اطارق الليل حقًّا، وإنّ بنى فلان خرجوا الى سَفَوان[(١)] وتركوا كُتُبَهم وشيئا من متاعهم؛ فانتعل أبو رَجَاء وأخذ الكُتُبَ وأدّاها وصلّى بنا الفجرَ، وهو مسيرةُ ليلةٍ للإبل، والناسُ يقولون : إنها أربعة فراسخ .

حدّثنى أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حدّثنا ابن المبارك عن حميد عن الحسن قال : لَأَنْ أَقْضِىَ حاجةً لأخٍ أَحبُّ إلىّ من أن أعتكف سنةً .

قال ابنُ عائشة : كان عمرو بن معاوية العُقَيلىّ يقول : اللهم بَلِّغْنِى عَثَراتِ الكرام .

قال المأمونُ لمحمد بن عبّاد المُهَلّبىّ : أنت متلافٌ؛ فقال : يا أمير المؤمنين، مَنْعُ الموجود سُوءُ ظنٍّ بالله، يقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

وكان ابنُ عبّاس يقول : صاحبُ المعروفِ لا يَقَعُ، فإن وَقَع وجد مُتَّكَأً . هذا نحوُ قولِ النبىّ صلى الله عليه وسلم : "المعروفُ يَقِى مَصَارِعَ السُّوءِ" .

وكان ابن عبّاس يقول أيضا : ما رأيتُ رجلا أَوْلَيْتُه معروفا إلّا أضاء ما بينى و بينه، ولا رأيتُ رجلا أَوْلَيْتُه سوءا إلّا أظلم ما بينى و بينه .

قال جعفر بن محمد : إن الحاجة تَعرِض للرجل قِبَلى فأُبادِر بقضائها مخافة أن يستغنِىَ عنها أو تأتِيَه وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع .

وقال الشاعر :

وبادِرْ بسلطان إذا كنتَ قادرًا * زوالَ اقتدارٍ أو غِنًى عنك يَعقُب

---

(١) سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المِرْبَد بالبصرة و به ماء كثير السافى (التراب) .

وقال آخر فى مثله :

بدا[1] حين أثرى بإخوانه * ففكّك[2] عنهم شباة[3] العَدَمْ

وذكّره الحزم غِبَّ الأمور * فبادَرَ قبل انتقال النِّعَمْ

وقرأتُ فى كتاب للهند : مَنْ صَنَع المعروفَ لِعاجل الجزاء، فهو كمُلْقِى الحبِّ لِيَصيدَ به الطيرَ لا لينفَعَه .

قال ابن عباس : ثلاثة لا أكافئهم : رجل بَدَأنِى بالسلام، ورجلٌ وسّع لى فى المجلس، ورجلٌ اغبرّت قدماه فى المشى إلىّ إرادةَ التسليم علىّ؛ فأما الرابع فلا يكافئه عنّى إلا الله جلّ وعزّ؛ قيل : ومن هو؟ قال: رجل نَزَل به أمرٌ فبات ليلَته يفكّر بمَنْ يُنزله، ثم رآنى أهلًا لحاجته فأنزلها بى .

وقال سَلْم[4] بن قُتَيْبة : رَبُّ[5] المعروفِ أشدّ من ابتدائه .

ويقال : الابتداء بالمعروف نافلة، ورَبُّه فريضة .

قيل لبُزُرْجِمهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يُرْزَأ شيئا؟ قال : نعم، من أحببتَ له الخير وبذلتَ له الوُدّ، فقد أصاب نصيباً من معروفك .

قال جعفر بن محمد : ما توسّل إلىّ أحدٌ بوسيلةٍ هى أقربُ به إلى ما يُحِبّ من يدٍ سَلَفتْ منّى إليه، أتبعتُها أختَها لأُحْسنَ رَبّها وحِفظَها؛ لأن منعَ الأواخرِ يقطع شكر الأوائل .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القَسْرىّ؛ فقال خالد : إنى لأُبغض هذا الرجل وماله إلىّ[6] ذنب، فقال رجل من القوم: أَوْلِهِ أيّها الأمير معروفًا ففعل، فما لبِث أن خفّ على قلبه وصار أحدَ جلسائه .

(١) بدا بمعنى بدأ بالهمز وسهل لضرورة الشعر . (٢) لعله : «ففلّل» . (٣) الشباة : طرف السيف وحدّته؛ وشباة العقرب : إبرتها؛ والظاهر أن المراد هنا أذى العدم وشدّته وحدّته .
(٤) فى الأصل «سالم» وما أثبتناه هو الصواب . (٥) ربّ الشىء يربّه ربّا : تعهده وأنماه .
(٦) فى الأصل : «ومالى إليه ذنب» وهى لا تتفق والسياق .

قال ابن عباس : لا يتمّ المعروف إلا بثلاث : تعجيلُه وتصغيرُه وسَتْرُه، فإنه اذا عجّله هنّاه، وإذا صغّره عظّمه، واذا ستره تمّمه .

وقال الخُرَيمىّ فى نحو هذا :

زاد معروفَك عنـدى عِظَمًا * أنه عنـدك محقورٌ صغير
تتنـاساه كأنْ لم تأته * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

وقال الطائى :

جودٌ مشيْتَ به الضَّرَاءَ(١) تواضعًا * وعَظُمْتَ عن ذكراه وهو عظيمُ
أخفيتَـه فَخَفَيْتَه(٢) وطويتَـه * فنشرتُه والشخصُ منه عَمِيم(٣)

وكان يقال : سَتَرَ رجلٌ ما أولَى، ونَشَرَ رجلٌ ما أُولِيَ .

وقال رجل لبنيه : إذا اتخذتم عند رجل يدا فانسَوْها . وقالوا : المنّة تهـدم الصنيعة . قال الشاعر :

أفسدتَ بالمنّ ماأسديتَ من حَسَنٍ * ليس الكريمُ إذا أسـدى بِمَنّانِ

قال رجل لابن شُبْرُمة : فعلتُ بفلانٍ كذا وفعلتُ به كذا، فقال : لاخيرَ فى المعروف إذا أُحصِيَ .

وفى بعض الحـديث : "كُلُّ معروفٍ صَـدَقةٌ وما أنفقَ الرجلُ على أهـله ونفسه وولدِه صَدَقةٌ وما وقَى المرء به عِرضَه فهو صدقة وكلُّ نفقةٍ أنفقها فعـلى الله خَلَفُها مثلها إلا فى معصيةٍ أو بنيانٍ(٤)". وفى الحديث المرفوع "فَضلُ جاهِكَ تَعودُ به

(١) هكذا ورد هذا الشعر فى ديوان أبى تمام الطائى (ص١٥١ طبع مصر) والضراء (بفتح الضاد وتخفيف الراء) : ماواراك من الشجر وغيره وهو أيضا : الاستخفاء والمشى فيما يواريك عمن تكيده وتختله، يقال : لاأمشى له الضراء، ولا الخمر أى أجاهره ولا أختاله . (٢) خفيته : أظهرته . (٣) العميم : الطويل التام . (٤) قال العزيزى فى شرحه لهذا الحديث : إنه البنيان الذى لم يقصد به وجه الله تعالى .

على أخيكَ صدقةٌ منك عليه ولِسانُكَ تُعبّر به عن أخيك صدقةٌ منكَ عليه و إماطتُك الأذى عن الطريق صدقةٌ منك على أهله " .

وكان يقـال : بذلُ الجاهِ زكاةُ الشرف .

وقال بعض الشعراء :

٥ وليس فتى الفِتْيانِ مَنْ راحَ وٱغتدَى * لشُربِ صَبُوحٍ(١) أو لشُربِ غَبوقِ
ولكنْ فتى الفِتيانِ مَنْ راحَ وٱغتدَى * لِضَــرِّ عدوٍّ أو لنفعِ صــديقِ

قال ٱبن عباس : لا يُزَهِّدنَّك فى المعروف كفرُ من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنِعه اليه .

وقال حمّاد عَجْرد :

١٠ إنّ الكريمَ ليُخفِى عنك عُسْرتَه * حتى تراه غَنِيًّا وهـــو مجهودُ
إذا تكرّمتَ أنْ تُعطِى القليلَ ولم * تَقْدِر على سَـعَةٍ لم يَظهرِ الجودُ
ولِلبخيــلِ على أمواله عِلَلٌ * زُرْقُ العيونِ عليها أوجُهٌ سـودُ
أوْرِقْ بخـيرٍ تُرَجّى للنوال فما * تُرْجَى ٱلثِّمارُ اذا لم يُورِقِ العُودُ
بُثّ النوالَ ولا تمنَعـكَ قِلّتُـه * فكلُّ ما سَـدّ فقرا فهـو محمودُ

١٥ والعـرب تقول : "مَنْ(٢) حَقَرَ حَرَمَ" .

حدّثنى عبد الرحمن عن عمه قال: قال سَلْمُ بن قتيبة : أحدُهم يَحْقِر الشيءَ فيأتِى ما هو شرٌّ منه، يعنى المنع .

وقال الشاعر :

---

(١) الصبوح : ما شرب من اللبن بالغداة فما دون القائلة، والغبوق : ما شرب بالعشىّ . (٢) هذا مثل ذكره الميدانىّ وشرحه بقوله : يقال : حقرته واحتقرته اذا عددته حقيرا أى من حقر يسيرا مما يقدر عليه ولم يقـدر على الكثير ضاعت لديه الحقوق . وفى الحديث : « لاتردّوا السائل ولو بظلف محرق» .

وما أبالى إذا ضيفٌ تضيّفنى * ما كان عندى إذا أعطيتُ مجهودى
جُهدُ المقلّ إذا أعطاك مُصْطَبِرًا * ومُكثرٌ من غنًى سِيّانِ فى الجودِ

وفى الحديث المرفوع "أفضلُ الصّدقةِ جُهْدُ المُقلّ" .

وقال البُرَيْق الهُذَلىّ :

أبو مالكٍ قاصِرٌ فقرَه * على نفسه ومُشِيعٌ غِنَاه

وكان خالد بن عبد الله يقول على المِنبر : أيها الناس عليكم بالمعروف ، فإنّ فاعل المعروف لا يَعْدَم جوازِيَه ، وما ضَعُفَ الناسُ عن أدائه قَوِىَ اللهُ على جَوازِيه ، والبيت المشهور فى هذا قول الحطيئة :

مَنْ يفعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَه(١) * لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

ويقال : إنه فى بعض كتب الله عزّ وجل .

قال وَهْبُ بن مُنَبِّه : إن أحسنَ الناس عيشا من حَسُنَ عيشُ الناسِ فى عَيْشِه ، وإنّ من ألَذّ اللّذّة الإفضالَ على الإخوان . وفى الحديث المرفوع "إنّما لكَ(٢) من مالِكَ ما أكلتَ فأفنيتَ أو لبستَ فأبليتَ أو أعطيتَ فأمضيتَ وما سِوى ذلك فهو مِلكُ الوارثِ" .

وقال بشارٌ :

أنفِقِ المالَ ولا تَشْقَ به * خيرُ دينارَيْك دِينارٌ نَفِقْ(٣)

قال بُزُرْجِمْهر : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق فإنها لا تَفْنَى وإذا أدبرت عنك فأنفِق فإنها لا تَبْقَى . أخذه بعض المُحْدَثين فقال :

(١) قال ابن جنى : ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع جاز أى لا يعدم جزاء عليه ، جاء على جواز لمشابهة اسم الفاعل للصدر ، فكما جمع سيل على سوائل ، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء (انظر اللسان مادّة جزى) . (٢) يروى : «ليس لك من مالك إلا ما أكلت الخ» . (٣) نفقت الدراهم (بفتح عين الفعل وكسرها) : فنيت وذهبت .

فأنفقْ إذا أنفقتَ إن كنتَ مُوسِرًا * وأنفِقْ على ما خيّلتْ[1] حين تُعْسِرُ
فلا الجودُ يُفنِي المـالَ والجَدُّ مقبِلٌ * ولا البخلُ يُبْقِي المـالَ والجَدّ مُدْبِرُ

وفى "كتاب كليلة" : لا يُعَدّ عائشًا من لا يُشارَك فى غِناه .

مرّ الحسنُ برجلٍ يقلّب درهما ؛ فقال له : أتُحِبّ دِرهمَك هذا؟ قال : نعم ؛ قال : أما إنه ليس لك حتى يخرجَ من يدك .

قال الربيعُ بن خَيْثَم لأخٍ له : كن وصىَّ نفسك ولا تجعلْ أوصياءك الرجالَ .

وقال بعضُ الشعراء :

سأحْبِس مالى على حاجـتِي * وأُوثِر نفسِى على الوارِثِ
أعاذِلُ عاجِلُ ما أشـــتهِى * أَحَبُّ مِن المُبطِئِ الرّائِثِ

قال عبيد الله بن عِكْراش : زمَنٌ خَؤون ، ووارِثٌ شَفُون[2] ؛ فلا تأمنِ الخؤون وكن وارِثَ الشَّفونِ .

وقال أبو ذَرٍّ: لك فى مالِك شريكانِ اذا جاءَا أخذَا ولم يؤامِراك : الحَـدَثان والقَدَر، كلاهما يمرّ على الغَثّ والسمينِ ، والورثةُ ينتظرون متى تموت فيأخذون ماتحتَ يديك وأنتَ لم تقدّم لنفسك ؛ فإن استطعتَ ألّا تكونَ أخسّ الثلاثة نصيبا فافعل .

وقال سعيد بن العاص فى خطبة له : من رزَقه الله رزقا حسنا فليكن أسعدَ[3] الناس به فإنه إنمـا يترُك لأحد رجلين : إمّا مصلِحٍ فلا يقلّ عليه شىءٌ ، وإمّا مُفْسِدٍ فلا يَبقى له شىء . فقال معاوية : جمع أبو عثمان طرَفَىِ الكلام .

(١) على ما خيلت أى شبهت ولوّنت ، ومعناه على أىّ حال . (٢) الشفون : الذى ينظر اليك كالكاره أو المبغض . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٠٦) والعقد الفريد (ج ١ ص ٨٤) : «فلينفق منه سرّا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به» .

وقال حُطَائط بن يَعْفُر :

ذَرِينى أكُنْ للمال ربًّا ولا يَكُنْ * لِيَ المالُ ربًّا تَحْمَـدِى غِبَّه غدا

أرِينى جوادا مات هَزْلا لعلّنى * أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلًا مخلَّدا

وقلت ولم أعْىَ الجـوابَ تبيَّنى * أكان الهُـزال حتفَ زيدٍ وأربدا

قال أعرابىّ : الدراهم مِيسمٌ تَسِمُ حمدًا أو ذمًّا؛ فمن حبَسها كان لها، ومن أنفقها كانت له، وما كلّ من أُعطى مالًا أُعطى حمدا، ولا كلّ عديم ذميم.

وقال بعض المُحَدَثين :

أنتَ للمال اذا أمسكتَه * فإذا أنفقتَه فالمالُ لكْ

حدّثنى يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال : حدّثنا النعمان بن هلال عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تَنزِلُ المعُونةُ على قَدْرِ المؤُونة".

قال معاوية لوَرْدان مولى عمرو بن العاص : ما بَقِى من الدنيا تَلَذّه؟ قال : العريض الطويل؛ قال : وما هو؟ قال : الحديث الحسن أو ألقى أخا قد نكبه الدهرُ فأجبره؛ قال : نحن أحقّ بهما منك؛ قال : إن أحقّ بهما منك من سَبَقك اليهما.

وقال أعرابىّ :

وما هـذه الأيام إلا مُعَارةٌ * فما آستطعتَ من معروفها فتزوَّدِ

فإنـك لا تدرى بأيّةِ بـلدةٍ * تموت ولا ما يُحدث اللهُ فى غدِ

يقولون لا تَبْعَدْ، ومن يك بعدُه * ذِراعَيْن من قُرب الأحبّة يَبْعَدِ

وقال آخر :

إن كنتَ لا تَبـذُلُ أو تَسألُ * أفسدتَ ما تُعطِى بما تفعلُ

قال بعضهم : مضى لنا سَلَفٌ أهلُ تواصُلٍ، اعتقدوا مِنَناً، واتّخذوا أيادىَ ذخيرةً لمن بعدهم : كانوا يرون ٱصطناعَ المعروف عليهم فرضا، وإظهارَ البِرّ حقّا واجبا، ثم حال الزمان بنَشْءٍ ٱتخذوا مِنَنَهم صناعةً، وبِرّهم مرابحةً، وأياديَهم تجارةً وٱصطناعَ المعروف مقارضةً كنقد السُّوق خذ منّى وهاتِ .

٥ قال العُتْبىّ : وقع مِيراثٌ بين ناس من آل أبى سفيان وبنى مروان، فتشاحّوا فيه، فلما ٱنصرفوا أقبل عمْرو بن عُتْبة على ولده، فقال لهم : إن لقريش دَرَجا تَزَلَّقُ عنها أقدامُ الرجال، وأفعالا تخشع لها رقابُ الأموال، وألْسُناً تَكِلُّ معها الشِّفار المشحوذة، وغاياتٍ تقصر عنها الجيادُ المنسوبة؛ ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سعة أحلامهم، ولو ٱحتفلتْ ما تزيّنتْ إلا بهم . ثم إن ناسا منهم تخلّقوا بأخلاق

١٠ العوامّ، فصار لهم رفق باللؤم وخُرق فى الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقها؛ إن خافوا مكروها تعجّلوا له الفقر، وإن عُجِّلت لهم نعمة أخّروا عليها الشكر، أولئك أنْضاء فِكْر الفقر[1] وعَجَزة حَمَلة الشكر .

قال بعض الحجازيّين :

فلو كنتَ تطلب شأو الكرام * فعلتَ كفعل أبى البَخْترى

١٥ تَتبّع إخوانَه فى البلاد * فأغنَى المُقِلَّ عن المُكْثِرِ

القَناعة والاستعفاف

حدّثنى شيخٌ لنا عن وكيع عن ٱبن أبى ذِئْب عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيد عن ثَوْبانَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ يتقبَّلُ[2] لى بواحدةٍ

---

(١) فى العقد الفريد : «فكرة الفقر» . (٢) فى تهذيب التهذيب للعسقلانى فى الكلام على

٢٠ عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، أورد هذا الحديث بالهامش هكذا : "من يتقبل لى بواحدة أتقبل له بالجنة" قلت : ما هى؟ قال "لا تسأل الناس شيئا" .

وأتقبّل له بالجنة " فقال ثوبانُ : أنا يا رسول الله، قال : "لا تَسْأَلِ الناسَ شيئًا" فكان ثوبانُ إذا سقط سوطُه من يده نزل فأخذه ولم يَسأل أحدا أن يناوله إياه .

وحدّثنى أيضا عن عبد الرحمن المحاربىّ عن الأعمش عن مجاهد قال : قال عمرُ رضى الله عنه : ليس من عبدٍ إلا وبينه وبين رزقه حجابٌ، فإن ٱقتصدَ أتاه رزقُه وإن ٱقتحم هتَك الحجابَ ولم يُزَدْ فى رزقِه .

وحدّثنى أيضا عن وكيع عن سفيان عن أُسامة بن زيد عن أبى مَعْنٍ الإسكندرانىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الصَّفَا[1] الزَّلّالَ الذى لا تَثْبُت عليه أقدامُ العلماء الطمعُ" . وقال عليه السلام : "إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فى رُوعِى أنّ نَفْسًا لن تَمُوتَ حتى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَها[2] فٱتقُوا اللهَ وأجمِلُوا فى الطلب" .

قال ٱبن حازم :

للنـاس مالٌ ولى مالانِ ما لَهُما * اذا تحارسَ أهـلُ المـالِ أحْرَاسُ
مالِى الرضا بالذى أصبحْتُ أملِكُه * ومالِىَ اليأسُ ممـا يملِكُ النـاسُ

أخذ هـذا من قول أبى حازم المدنىّ، وقال له بعضُ الملوكِ : ما مالُكَ ؟ قال : الرضا عن الله، والغِنَى عن الناسِ .

وقال بشّارُ بن بِشر[3] :

وإنى لعَفٌّ عن فكاهةِ جارتى * وإنى لمشـنُوءٌ الىّ ٱغتيابُهـا
اذا غاب عنهـا بعلُها لم أكن لهـا * زَءُورًا ولم تأنسْ الىّ كلابُهـا

(١) الصفا الزلال : الأملس من الحجارة . (٢) فى الجامع الصغير « حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها » . (٣) كذا فى الأصل ولم نجد فى كتب الأدب التى بين أيدينا شاعرا بهذا الاسم، وقد نسب البيت الأخير من هذه الأبيات «اذا سدّ ... الخ» فى حماسة البحترى (ص ٣٤٢ طبع أوروبا) لزياد بن منقذ التميمى .

ولم أكُ طَلّابًا أحاديثَ سِرِّها * ولا عالمًا من أىّ حَوْكٍ ثيابُها
وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيكَ مِلؤُه * ويكفيك سوءاتِ الأمورِ اجتنابُها
إذا سُدَّ بابٌ عنكَ من دون حاجةٍ * فَذَرْها لأُخرى لَيِّنٍ لكَ بابُها

وقال ابن أبى حازم[1] :

أوجعُ من وَخْزَةِ السِّنانِ * لذى الحِجا وَخزةُ اللِّسانِ
فاسْتَرْزِقِ اللهَ واستعنْه * فإنه خيرُ مُستعانِ
وإن نبا منزلٌ بحُرٍّ * فمِن مكانٍ الى مكانِ
لا يَثبتُ الحرّ فى مكانٍ * يُنسبُ فيه إلى الهوانِ
الحرُّ حرٌّ وإن تعدّتْ * عليه يوما يدُ الزمانِ

حدّثنى محمد بن داود عن جابر بن عثمانَ الحنفىّ عن يوسفَ بن عطيّةَ قال حدّثنى المعلَّى بن زياد القُرْدُوسى[2] : أن عامر بن عبد قيس العَنْبرىّ كان يقول : أربعُ آياتٍ من كتاب الله اذا قرأتُهنّ مَساءً لم أُبالِ على ما أُمْسِى، وإذا تلوتُهنّ صباحًا لم أُبالِ على ما أُصْبِحُ : ﴿ ما يَفتحِ اللهُ للنّاسِ من رحْمةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . ﴿ وَإنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ . ﴿ ومَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إلّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ . ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ .

حدّثنى عبد الرحمن عن بِشْر بن مُصلِح قال قال إبراهيم بن أدهم : لا تجعل بينك وبين الله مُنعِمًا عليك، وعُدَّ[3] النعمَ منه عليك مَغْرما .

(١) تقدّم هذا الشاعر فى الصفحة السابقة باسم «ابن حازم» ولم ندر هل هما لشخصين أم لشخص واحد، وقد بحثنا عن هذه الأبيات لنتحرى عن تحقيق هذا الاسم فلم نجدها . (٢) كذا فى الخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى بضم القاف . وفى الأصل : « الفردوسى » بالفاء وهو تحريف .
(٣) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «وأعدد النعم منهم مغنما » .

حدّثنى الرِّياشىّ عن الأصمعىّ قال : أَبرَعُ بيتٍ قالته العربُ بيتُ أبى ذُؤَيب الهُــذَلىّ :

والنَّفسُ رَاغِبــةٌ إذا رَغَّبتَها * وإذا تُرَدُّ الى قَليــلٍ تَقْنَــعُ

قال أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا أبو عمرو الصَّفّار عن الحجاج بن الأســود قال : احتاجت عجوزٌ من العُجُزِ القُدُمِ ، قال : فجَزِعتْ الى المسألة ، ولو صبَرتْ لكان خيرا لها . ولقد بلغنى أن الإنسانَ يَسألُ فيُمنَعُ ، ويَسألُ فيُمنَعُ ، والصَّبرُ مُنتبذٌ ناحيةً يقول : لو صِرتَ إلىّ لكَفيتُك .

وكان يقال : أنت أخو العزّ ما ٱلتَحفتَ القناعةَ ، ويقال : اليأس حرٌّ والرَّجاء عبدٌ .

وقال بعضُ المفسِّرين فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ قال : بالقنــاعة .

وقال سعد بن أبى وَقّاص لٱبنه عمر : يا بنىّ إذا طلبت الغِنى فٱطلُبه بالقناعةِ ، فإن لم تكن لك قناعةٌ فليس يُغنيكَ مالٌ .

وقال عروةُ بن أُذَيْنَةَ :

لقد علِمتُ ــ وما الإسرافُ فى طمعٍ ــ (١) * أنّ الذى هو رزقى ســوفَ يأتِينى

أسْــــعَى له فيُعنّينِى تَطَلُّبُــه * ولو قعــــدتُ أتانى لا يُعنّينى

وقال أبو العَتَاهِيَة :

إن كان لا يُغنيكَ ما يَكفيكا (٢) * فكلّ ما فى الأرض لا يُغنيكا

---

(١) ورد هذا البيت فى العقد الفريد هكذا :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقى وإن لم يأت يأتينى

(٢) أورد الجاحظ فى البيان والتبيين عبارة منسوبة للحسن تشبه شعر أبى العتاهية وهى : «ان كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك» .

وقال بعضهم : الغِنى والفقرُ يجولان فى طلب القنـاعة فإذا وجداها قطَنَاها .

حجّت أعرابيّـةٌ على ناقةٍ لهـا ، فقيل لها : أين زادُكِ ؟ قالت : ما معى إلا ما فى ضَرْعِها . وقال الشاعر :

يا رُوحَ مَنْ حَسَمَتْ قناعتُـه * سَبَبَ المطامعِ مِن غَدٍ وغَدِ
مَنْ لم يكن لله مُتَّهِـمًا * لم يُمسِ مُحتـاجًا الى أحـدِ

وقال أرْدَشِيرُ : خيرُ الشِّيم القناعةُ ، ونماءُ العقلِ بالتعلّم .

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَبٍ :

ومَتَى تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَارْجُ الغِنَى * والى الّذى يَهَبُ الرّغائبَ فَارْغَبِ
لا تَغضبَنَّ على آمرئٍ فى مالِهِ * وعلى كرائمِ صُلْبِ مالِكَ فَاغْضَبِ

وقال أبو الأسود :

ولا تَطْمَعَنْ فى مال جارٍ لقُربه * فكلُّ قَريبٍ لا يُنَـالُ بَعِيـدُ

وقال كعبُ بن زُهَير :

قد يَعوِزُ الحازمُ المحمودُ نِيّتُـه * بعدَ الثَّراءِ ويُثْرِى العاجِزُ الحَمِقُ
فلا تَخافِى علينا الفقر وآنتَظِرى * فضلَ الذى بالغِنى مِنْ فضلِه نَثِقُ

وشكا رجلٌ الى قوم ضِـيقًا فقال له بعضهم : شكوتَ مَنْ يَرحَمُكَ الى مَنْ لا يرحَمُـك .

وقال هشامُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة : سلنى حاجتَكَ ، قال : أكرهُ أن أسألَ فى بيتِ الله غيرَ الله . ورأى رجلا يسألُ فى الموقِفِ فقال : أفى مثل هذا الموضع تسألُ غيرَ اللهِ عزّ وجلّ ! .

وقال ابن المعذَّل :

تُكَلِّفُنى إذلالَ نفسى لعِزِّها * وهان عليها أن أُهانَ لتُكْرَمَا

تقول سَلِ المعروفَ يحيَى بن أكثم * فقلتُ سَليه رَبَّ يحيَى بنِ أكثمَا

وقال ابن عباس : المساكينُ لا يعودونَ مريضًا ولا يَشهَدُون جنازةً، واذا سألَ الناسُ اللهَ سألوا الناسَ . ٥

وكان الحسنُ يَطرُدُ السُّؤَّالَ يومَ الجمعةِ، ولا يَرى لهم جُمعَةً .

وقال بعضُ الشعراء :

حبُّ الرياسة داءٌ لا دواءَ له * وقَلَّ ما تَجِدُ الراضينَ بالقِسَمِ

وقال محمودٌ الورّاق :

شادَ الملوكُ قصورَهم وتحصَّنُوا * عن كلّ طالبِ حاجةٍ أو راغبِ ١٠

غالَوْا بأبواب الحديدِ لعِزِّها * وتَنَوَّقُوا (١) فى قُبحِ وجه الحاجبِ

واذا تلطّف للدّخول اليهمُ * راجٍ تلقَّوْه بوَعْدٍ كاذبِ

فارغَبْ الى مَلكِ الملوكِ ولا تكُنْ * ياذا الضَّراعةِ طالبا من طالبِ

وُجِدَ على مِيلٍ (٢) فى طريقِ مكّةَ :

ألا يا طالبَ (٣) الدّنيا * دَعِ الدنيا لِشانيكَا ١٥

الى كَم تَطلبُ (٤) الدنيا * وظِلُّ المِيلِ يَكْفيكَا

قال مُطرِّفُ بن عبد الله لابن أخيه : اذا كانت لكَ الىَّ حاجةٌ فاكتُبْ بها رُقعةً فإنى أَضِنّ بوجهكَ عن ذُلِّ السؤالِ .

(١) تنوّقوا : تأنقوا، يقال : تنوّق فى مطعمه وملبسه وأموره إذا تجوّد و بالغ فيها .

(٢) الميل : منار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . (٣) هذان البيتان نسبا فى الأغانى ٢٠ (ج ٣ ص ١٦٧ طبع بولاق) لأبى العتاهية . (٤) فى الأغانى : * وما تصنع بالدنيا *

وقال أبو الأسود :

وإنّ أحقّ الناس إن كنتَ مادحاً * بمدحك مَنْ أعطاكَ والوجهُ وافرُ

وكان معاويةُ يتمثّل بهذين البيتين :

وفتًى خَلَا من ماله * ومن المُروءة غيرُ خالِ

٥ أعطاكَ قبل سؤاله * فكفاكَ مكروهَ السؤالِ

وقال آخر :

أبا مالكٍ لا تسألِ الناسَ والتمسْ * بكفّيك سَيْبَ اللهِ فاللهُ أوسعُ

فلو تُسألُ الناسَ الترابَ لأوشكوا[1] * اذا قلتَ هاتوا أن يَمِيلُوا فيَمْنَعُوا

والمشهور فى هذا قول عَبيد :

١٠ مَنْ يَسألِ الناس يَحْرِمُوه * وسائلُ اللهِ لا يَخيبُ

قال سليمانُ لأبى حازمٍ : سَلْ حوائجَك ؛ فقال : قد رفعتُها الى من لا تُخْتَزَلُ[2] الحوائجُ دونه .

قال بعضُ المفسّرين فى قول الله عزّ وجلّ : (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أى المخلوقُ يَرْزُقُ فإذا سَخِط قطع رِزقَه، واللهُ عزّ وجل يَسْخَط ولا يَقطَعُ .

١٥ وقال الشاعر :

لا تَضْرَعنّ لمخلوقٍ على طمَعٍ * فإنّ ذلك وَهْنٌ منك بالدِّينِ

وآسترزِق اللهَ رِزقاً من خزائنه * فإنما هو بين الكافِ والنونِ

---

(١) روى هذا البيت فى لسان العرب مادة «وشك» وشرح الأشمونى ج ١ ص ٣١٥ طبع بولاق :
ولو سُئل الناس التراب لأوشكوا * اذا قيل هاتوا أن يملوا و يمنعوا

٢٠ (٢) كذا فى كتاب الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١٧٢) وفى الأصل : «تختزل» .

وقال الخليل بن أحمد :

أبلــغْ سُليمانَ[1] أنّى عنه فى سَعَةٍ * وفى غِنًى غيرَ أنى لستُ ذا مالِ

شُحًّا بنفسِىَ، إنى لا أرَى أحدًا * يموت هَزْلًا ولا يبقَى على حالِ

فالرزقُ عن قَدَرٍ لا الضَّعفُ يمنعه * ولا يَزِيدُكَ فيــه حولُ محتالِ

وقال المَعْلُوطُ :

متى ما يَرَ النــاسُ الغَنــِىَّ وجارُه * فقــيرٌ يقــولوا عاجزٌ وجَليــدُ

وليس الغِنَى والفقرُ من حيلة الفتى * ولكن حُظوظٌ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

وقال آخر :

يَخِيبُ الفتى من حيثُ يُرْزَقُ غيرُه * ويُعْطَى الفتَى من حيثُ يُحرَمُ صاحِبُهْ

وقال أبو الأسود :

ليتــكَ آذنْتَنِى بواحـــدةٍ * تَجعَلُهــا منك سائرَ الأبــدِ

تَحلِفُ ألّا تَبَرَّنى أبــدًا * فإنّ فيهــا بردًا على كَبِدى

إن كان رِزْقِى إليك فآرمِ به * فى ناظِرَىْ حيَّــةٍ على رَصَدِ

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : حِرفةٌ يقالُ فيها خيرٌ من مَسْألَةِ الناس .

---

(١) هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الأزدىّ وكان والى فارس والأهواز، فكتب الى الخليل بن أحمد يستدعى حضوره ، وكان له راتب على سليمان المذكور؛ فكتب الخليل جوابه : أبلغ سليمان ... الأبيات . فقطع عنه سليمان الراتب؛ فقال الخليل :

ان الذى شقّ فمى ضامن * للــرزق حتى يتوفانى

حرمتــنى مالا قليلا فما * زادك فى مالك حرمانى

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب الى الخليل يعتــذر اليه وأضعف راتبــه . (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٣ طبع بولاق) .

وقال سعيدُ بن العاص : مَوْطِنانِ لا أستحيي من العِيِّ فيهما : عند مُخَاطَبتي جاهلًا ، وعند مَسْألتي حاجةً لنفسى .

حدّثني محمد بن عبيد عن أبي عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال : جاء رجلٌ إلى شُرَيح يستقرِضُ دراهمَ ، فقال له شريحٌ : حاجتُك عندنا فأْتِ مَنزلَكَ فإنّها ستأتيكَ ، إنّى لأكره أن يَلحَقَكَ ذُلُّها .

حدّثني الرِّيَاشِيّ عن الأصمعيّ عن حَكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بَنِيه عند موته فقال : إيّاكم والمسألةَ ، فإنها آخرُ كسبِ الرجل .

وقال بعضُ المحدَثِينَ :

عَوّدتُ[1] نفسى الضِّيقَ حتى أَلِفْتُه * وأخرجَنى حسنُ العزاءِ الى الصَّبرِ

ووسّع قلبي للأذى الأنسُ بالأذى * وقد كنتُ أحيانا يَضيقُ به صَدْرِى

وصَيَّرنى يأسِى من الناس راجيًا * لِسُرعةِ[2] لُطفِ اللهِ من حيثُ لا أَدْرِى

وقال آخر :

حَسْبِي بعِلْمى لو نَفَعْ * ما الذُّلُّ إلا فى الطَّمَعْ

مَنْ راقبَ اللهَ نَزَعْ * عن قُبحِ ما كان صَنَعْ

ما طارَ شيء فآرتفَعْ * إلا كما طارَ وقَعْ

(١) هكذا ورد هذا البيت فى الأصل وقد دخله الخرم ، وورد فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٢ طبع بولاق) :

تعوّدت مرّ الصبر حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر

(٢) فى الأغانى : «لحسن صنيع الله ...» .

الحِـــرصُ والإلحاحُ

لما قتل كسرى بُزُرْجِمهْرَ وجد فى منطقته كتابا : إذا كان القدرُ حقًّا فالحرصُ باطلٌ ، وإذا كان الغدْرُ فى الناس طِباعًا فالثِّقةُ بكلّ أحدٍ عجزٌ ، وإذا كان الموتُ لكل أحدٍ راصدًا فالطمأنينةُ إلى الدنيا حُمْقٌ .

وقال بعض الشعراء :

من عفّ خفّ على الصّديق لِقاؤه * وأخو الحوائج وجهُـه مملولُ

وفى كتاب للهند : لا يُكثِر الرجلُ على أخيه الحوائجَ ؛ فإنّ العِجلَ إذا أفرط فى مصّ أمه نطحته ونحّته .

وقال عدىّ بن زيد :

قد يُدرِكُ المُبطِئُ من حظّه * والرزقُ قد يَسبِقُ جهدَ الحريصْ

وقال ابن المقفّع : الحرصُ محْرمةٌ ، والجبنُ مَقتلةٌ ، فانظُرْ فيما رأيتَ وسمِعتَ أَمَنْ قُتِل فى الحروب مُقْبِلًا أكثرُ أم مَنْ قُتِل مُدْبِرا ، وانظرْ مَنْ يطلبُ إليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخوَ نفسُك له بالعطيّة أم مَنْ يطلبُ ذلك بالشَّرَه والحرص .

وقال الشاعر :

كم مِنْ حَريص على شيءٍ لِيُدْرِكَه * وعَلَّ إدراكَه يُدْنِى الى عَطَبِهْ

وقال آخر :

ورُبَّ مُلِحٍّ على بُغيـةٍ * وفيها مَنيّتُه لو شَعَرْ

والعربُ تقول فى الرجل المُلِحّ فى الحوائج الذى لا تنقضى له حاجةٌ إلا سأل أخرى :

* لا يُرسِلُ الساقَ إلا مُمسِكًا ساقا *

وأصلُ المثل فى الحِرْباء، إذا اشتدّ عليه حرُّ الشمس لجأ إلى شجرة ثم توَقَّى فى أغصانها، فلا يُرسل غُصنا حتى يَقبِض على آخر.

وقال الشاعر:

أَنَّى[1] أُتيِـــحَ له حِرْباءُ تَنْضُـــبَةٍ * لا يُرسلُ السّاقَ إلّا مُمسِكًا ساقَا

٥ وفى كتاب كليلة: لا فقرَ ولا بلاءَ كالحِرص والشَّرَه، ولا غِنَى كالرِّضا والقناعة، ولا عقلَ كالتّدبير، ولا ورَعَ كالكفِّ، ولا حَسَبَ كحسن الخلق.

قال ابن المقفع: الحرصُ والحسدُ بِكْرا الذنوب وأصلُ المهالك؛ أمّا الحســدُ فأهلك إبليسَ، وأما الحرصُ فأخرج آدمَ من الجنّة.

وفى كتاب كليلة: خمسةُ حُرَصاءَ، المـالُ أحبُّ إليهـم من أنفسهم: المُقاتِلُ ١٠ بالأُجرة، وحفّارُ القُنِيّ[2] والأسرابِ، والتّاجِرُ يركَـبُ البحر، والحاوى يُلسِـعُ يدَه الحيّةَ، والمُخاطِرُ على شُرب السمّ.

دخل مالك بن دينار على رجل محبوسٍ قد أُخِذ بمال عليه وقُيِّدَ، فقال له: ياأبا يحيى، أمَا ترى ما نحن فيه من هذه القيود! فرفَع مالك رأسَه فرأى سَلَّةً، فقال: لمن هذه؟ قال: لى، قال: فأمر بها أن تُنزَلَ، فأُنزِلتْ فوُضعتْ بين يديه، فإذا دَجَاجٌ ١٥ وأَخْبِصةٌ[3]، فقال مالك: هذه وَضعت القيودَ فى رِجلك.

كان أشعب يقول: أنا أطمع وأُمّى تيقَنُ فقلّ ما يفوتُنا.

---

(١) قائله أبو دؤاد الإيادى. قال ابن برى: هكذا أنشده الجوهرى وصواب إنشاده: «أنى أتيح لها» لأنه وصف ظُعُناً ساقها وأزعجها سائق مجدّ (انظر اللسان مادة حرب) والتنضُبَة: واحدة التنضُب وهو شجرٌ عيدانه بيض ضخمة وورقه متقبض ولا تراه إلا كأنه يابس مغبرّ. (٢) جمع قناة وهى الآبار ٢٠ التى تحفر فى الأرض. (٣) أخبصة: جمع خبيص، والخبيص: ضرب من الحلواء.

وقال النابغةُ :

واليأسُ عما فات يُعقِب راحةً * ولرُبَّ مَطْعَمَةٍ[1] تعودُ[2] ذُباحا[3]

وقال أبو علىٍّ الضريرُ :

فإنّى قد بلوتُكُمُ جميعًا * فما منكمْ على شكرى حريصُ

وأرخصتُ الثناءَ فعفتُموهُ * ورُبَّتَما غلا الشيءُ الرَّخيصُ

فعِفتُ نوالَكم ورَغِبتُ عنه * وشرُّ الزادِ ما عافَ الخَصيصُ[4]

وقال أعرابىٌّ :

أيّها الدّائبُ الحريصُ المُعَنَّى * لك رزقٌ وسوف تستوفيهِ

قَبَحَ اللهَ نائلًا ترتجيهِ * من يدَىْ مَنْ تُريد أن تقتضيهِ

إنما الجودُ والسماحُ لِمن يُعْـ * ـطيك عفوًا وماءُ وجهك فيهِ

لاينالُ الحريصُ شيئًا فيكفيـ * ـه وإن كان فوق ما يكفيهِ

فَسَلِ اللهَ وَحدَه ودَعِ النا * سَ وأسخِطْهمُ بما يُرضيهِ

لا تَرَى مُعطيًا لِما منعَ اللهُ * ولا مانعًا لما يُعطيهِ

---

(١) كذا فى لسان العرب مادة «ذبح» وفى الأصل : «مطمعة» . (٢) فى لسان العرب : «تكون» . (٣) الذباح : القتل . (٤) الظاهر من السياق أن الخصيص هو الفقير، اشتقاقا من الخصاصة وهى الفقر، ولم نعثر عليه فى كتب اللغة التى بين أيدينا .

[وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتى] :

آخر كتاب الحوائج، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى رحمـة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمـد بن علىّ الواعظ الجَزَرىّ وذلك فى شهور سـنة أربع وتسعين وخمسمائة . والحمـد لله ربّ العالمين، وصلاتُه وسـلامُه على سيِّدنا محمـد النبىّ وآله أجمعين . ويتلوه الكتاب التاسع وهو ٥ كتاب الطعام، والله الموفِّق للصّواب .

[وفيه كذلك — وهو من زيادات النّساخ —] :

فى الاستعفاف :

عليـك باليأس من النـاسِ * إنّ غِنَى نفسِـك فى اليأسِ
١٠ كم صاحبٍ قد كان لى وامقًا * إذ كان فى حالة إفـلاس
أقول لو قـد نال هـذا الغِنَى * صَـيَّرنى منـه على الرّاس
حتى إذا ما صارَ فيما آشتهَى * وعدّه النّاسُ من النّاسِ
قَطّع بالصدّ حبالَ الصّـفا * منِّى ولمّا يَرْضَ بالقاسى

آخر[(١)] وقد أحسن :

١٥ إنّ للمعـروف أهـلًا * وقليـلٌ فاعِـلوهُ
أهنـأُ المعـروفِ ما لم * تُبتـذَلْ فيـه الوجوهُ
أنت ما آستغنيتَ عن صا * حبِـك الدّهرَ أخوهُ
فإذا آحتجتَ إليـه * ساعـةً مَجّك فـوهُ

(١) هو أبو العتاهية .

إنما يَعْرِف الفضـ * ـلَ من الناس ذووه

لو رأى الناسُ نَبِيًّا * سائلا ما وَصَلوهُ

وكتب أبو العيناء الى أبى القاسم بن عُبَيدِ الله بن سُليمان رُقعة يقول فيها : أنا — أعزك الله — وولدى وعِيالى زرعٌ من زَرْعك، إن سَقَيته راعَ وزكا، وإن جفوتَه ذَبُلَ وذَوَى . وقد مسّنى منك جفاءٌ بعد بِرٍّ وإغفالٌ بعد تَعَهُّد، فشَمِت عدوٌّ، وتكلّم حاسد، ولَعِبتْ بى ظنونٌ؛ وانتزاعُ العادةِ شديدٌ. ثم كتب فى آخرها : ٥

لا تُهِنّى بعدَ إكرامك لى * فشديدٌ عادةٌ مُنتزَعَهْ

آخر :

مالى مَعَاشٌ سوى ضدِّ المعاشِ فلا * أغدُو إلى عملٍ إلّا بلا أَمَلِ

وليس لى شُغُلٌ يُجْدِى علىّ إذا * فكّرتُ فيه ومَا أنفكُّ من شُغُلِ ١٠

كلُّ امرئٍ رائحٌ غادٍ إلى عملٍ * وما أروح ولا أغدو إلى عملِ

ولستُ فى الناسِ موجودًا كبعضهمُ * وإنما أنا بعضُ الناسِ فى المثلِ

آخر :

المرءُ بعد الموتِ أُحدوثةٌ * يفنَى وتبقَى منه آثارُهُ

يَطْوِيه من أيّامه ما طوى * لكنّه تُنشَرُ أسرارُهُ ١٥

وأحسنُ الحالاتِ حالُ امرئٍ * تَطيبُ بعد الموت أخبارُهُ

يفنَى ويبقَى ذكرُه بعدَه * اذا خَلَتْ من شخصه دارُهُ

وقال حبيب الطائى :

وما ابنُ آدمَ إلّا ذكرُ صالحةٍ * أو ذكرُ سيّئةٍ يَسرِى بها الكَلِمُ

أمَا سَمِعتَ بدهرٍ بادَ أُمّتُه * جاءت بأخبارها من بعدها أُمَمُ ٢٠

في البخل :

طَرَقْتُ أُنَاسًا عــلى غِرَّةٍ * فذُقتُ من العيش جهدَ البلاء

فأمّا القـــديدُ[1] وأشـــباهُهُ * فذاك مفاتيحُـــه في السماء

وأما السَّوِيقُ فـــفي عَيْبةٍ * يُشَمُّ ويُدْعَى لـــه بالبقاء

ومَنْ حاولَ الخـــبز قالوا له * أتذكر شيئًا خُـــبِي للدَّواء ٥

(١) القديد : اللحم المجفف في الشمس .

كتاب الطعام

صنوف الأطعمة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة الدِّينَوَرِيّ رحمة الله عليه : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أىّ الطعامِ أحبُّ إليك ؟ قال : الزُّبْدُ والكَمْأةُ[1]؛ فقال عمر : ما هما بأحبّ الأطعمةِ إليه، ولكنه يُحبّ الخِصْبَ للمسلمين .

قال الأصمعىّ : قال رجلٌ فى مجلس الأحنف : ليس شىءٌ أبغضَ الىَّ من التمر[2] والزُّبْد؛ فقال الأحنف : رُبَّ مَلُومٍ لا ذنبَ له .

عن أبى عمرو بن العَلَاء قال : قال الحجّاج لجلسائه : لِيَكْتُبْ كلُّ رجلٍ فى رُقْعةٍ أحبَّ الطعامِ إليه ويجعلْها تحت مُصَلّاىَ؛ فإذا فى الرِّقاع كلِّها الزُّبْدُ والتمرُ .

عن الأصمعىّ قال قال مَدَنِىّ : الكُبَادات أربع : العصيدةُ والهريسةُ والحَيْسةُ[3] والسَّميذةُ[4] .

عن الأصمعىّ عن حزم قال : قال مالك بن حِقْبة لحَسّان بن الفُرَيْعة : ما تَزَوَّدْتَ إلينا ؟ قال : الحَيْسَ؛ قال : ثلاثةُ أسْقِيَة فى وِعاء .

---

(١) الكمأة اسم للجمع وللواحد : نبات يقال له : شحم الأرض ، مستدير كالقلقاس ، لا ساق له ولا عرق لونه الى الغبرة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٢) : «ما شىء أبغض الىّ من الزيت والكمأة» . (٣) الحيسة : الأقط يخلط بالتمر والسمن . (٤) السميذة (بالدال المهملة والذال المعجمة) : الحوّارى ، وهى لباب الدقيق .

قال الأصمعىّ : قال بعض الأعراب : أشتهى ثريدةً دَكْناء[1] من الفُلْفُل[2]، رَقْطاء[3] من[2] الحِمَّص، ذات حِفَافين[4] من اللحم[2]، لها جَناحان من العُرَاق[5]، أَضْرِب فيها ضَرْب ولىّ السَّوْء فى مال اليتيم .

وقال ٱبن الأعرابىّ : يقال: أطيبُ اللحم عُوَّذُه، أى أطيبه ما وَلِىَ العظمَ، كأنه عاذَ به .

عن أبى عُبَيدة قال : مرّ الفرزدقُ بيحيى بن الحُصَين بن المُنْذِر الرَّقَاشىّ، [ف]قال له : هل لك يا أبا فِراسٍ فى جَدْيٍ سَمِين ونَبيـذِ زبيبٍ جيِّـد ؟ فقال الفرزدق : وهل يأبى هذا إلا ابنُ المَرَاغة! يعنى جريرا .

وقال الأَحْوَص لجرير : ما تُحِبُّ أن يُعَدّ لك؟ قال : شِواءٌ وطِلاءٌ[6] وغِنـاءٌ ؛ قال : قد أُعِدَّتْ لك .

وقال مَدَنِىٌّ لصـديق له : والله أشتهى كَشْكِيَّةً[7]، ومدّ بها صوتَه فخرجت منه ريح، فقال له : ما أسرع ما لَفَحَتْكَ يٱبنَ عمّ .

---

(١) ثريدة دكناء : كثيرة الأبازير، والأبازير : التابل وهو ما يطيب الطعام . (٢) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٩٤) وفى الأصل : «ومن» . (٣) الرقطاء : السوداء تشوبها نقط بيضاء . (٤) كذا فى البخلاء، والحفاف : الجانب . وفى الأصل : « خفافين » بالخاء المعجمة وهو تحريف . (٥) العراق (بضم العين) : العظام اذا لم يكن عليها شىء من اللحم . (٦) الطلاء : الخمر . (٧) فى كتب اللغة الكشكية : ماء الشعير، وفى القواميس الفارسية : الكشك : ضرب من الحساء اللزجة مصنوع من القمح والشعير وزبد لبن الشاء، وربما أضيف اليه شىء من اللحم .

وعن الأصمعيّ قال: قال شيخ من أهل المدينة : أتيتُ فلانا فأتانى بمَرَقةٍ كان فيها مُسَقٍّ، فلم أر فيها إلا كَبِدًا طافيـةً، فغَمَستُ يدى فوجدت مُضْغة[١]، فمددتها فآمتدّتْ حتى كأنى أزمُر فى ناىٍ .

أُدخِل أعرابىّ على كِسْرَى ليتعجّبَ من جَفائه وجَهْـلِه ؛ فقال له : أىّ شىء أطيبُ لحمـا؟ قال : الجمل . قال : فأىُّ شىء أبعدُ صوتا ؟ قال : الجمل . قال : فأىّ شىء أنهضُ بالحِمْل الثقيل ؟ قال : الجمل . قال كسرى : كيف يكون لحم الجمل أطيبَ من البَطّ والدّجاج والفِراخ والدُّرّاج[٢] والحِـداء؟ قال : يُطبَخ لحم الجمل بماءٍ ومِلْح، ويُطبخ ماذكرتَ بماءٍ ومِلْح حتى يُعرفُ فَضْلُ ما بين الطعمين. قال: كيف يكون الجمـل أبعدَ صوتًا ونحن نسمع الصوتَ من الكُرْكىّ[٣] من كذا وكذا مِيلا؟ قال الأعرابىّ : ضَع الكُرْكىّ فى مكانِ الجمل وضَعِ الجملَ فى مكان الكركىّ حتّى تعرفَ أيُّهما أبعدُ صوتا. قال كسرى : كيف تزعمُ أنّ الجمل أحملُ للحِمل الثقيل والفيلُ يحمل كذا وكذا رطلا ؟ قال : لِيُبْرَكِ الفيلُ ويُبْرَكِ الجملُ ولْيُحْمَلْ على الفيل حِمْلُ الجمل ، فإن نهض به فهو أحمل للأثقال .

عن جعفر بنِ سليمان قال : شيئانِ لا يزيدهما كثرةُ النفقة طِيباً : الطِّيبُ والقِدْر، ولكن تُطَيِّبُهما إصابةُ القَدْر .

وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه[٤] قال: كان أبو عبد الرحمن الثورىّ يُعْجَبُ بالرءوس ويَصِفُها ويُسمِّى الرأس عُرْسا لِمـا تجمّع فيه من الألوان الطّيبة ،

(١) المضغة : قطعة اللحم . (٢) الدرّاج (وزان رمّان) : طائر يطلق على الذكر والأنثى جميل المنظر ملوّن الريش . (٣) الكركىّ : طائر يقرب من الإوَزّ أبتر الذنب رمادىّ اللون فى خدّه لمعات سود قليل اللحم صلب العظم يأوى الى الماء أحيانا . (٤) قد أورد عمرو بن بحر الجاحظ هذه القصة فى كتابه البخلاء (ص ١١٥ طبع أوربا) .

وكان يسمّيه مرّةَ الجامعَ ومرّةً الكاملَ، ويقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوانٍ عجيبةٍ وطعومٍ مختلفةٍ ؛ وكلّ قِدْرٍ وكلّ شِواءٍ فإنما هو شيءٌ واحد، والرأس فيه الدِّماغُ وطَعْمُه مُفْرد، والعينان وطعمهما مفرد [وفيه الشحمة التي بين أصل الأذن ومُؤْخرِ العين وطعمها على حدة][١]، على أن هذه الشَّحمة [خاصّة][١] أطيبُ من المخّ وأنعم من الزُّبد وأدسم من السِّلاء، ثم يَعُدّ أسقاطه كلها، ويقول: الرأسُ سيِّد البَدَن، وفيه الدّماغ وهو مَعْدِن العقل، ومنه يتفرّق العَصَبُ الذي فيه الحِسّ، وبه قِوامُ البَدَن، وإنما القلبُ بابُ العقل؛ كما أنّ النفس هي المدركةُ والعينُ هي باب الألوان، والنفس هي السامعة الذائقة وإنما الأنف والأُذُن بابان . ولولا أنّ العقل في الرأس لما ذهب العقل من الضربة تُصيبه؛ وفي الرأس الحواسّ الخمس . وكان يُنشد :

همو ضَرَبُوا رأسِي[٢] وفي الرأس أكثري * وغُـودِرَ عندَ المُلْتَـقَى ثَمَّ سائري

وكان لا يَشترى الرأسَ إلا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرءوس يوم السبت أكسدُ، للفضلات التي تَبقى في منازل التجّار عن يوم الجمعة. وكان إذا فرغ من غَدائه يوم الرأس، عَمَد إلى القِحْف[٣] وإلى اللَّحْيَين[٤] فوضعه قُرْبَ بيوتِ النمل والذرّ ، فإذا اجتمعْنَ عليه أخذه ونَفَضَه في طَسْتٍ فيه ماء، ولا يزال يُعيد ذلك على تلك المواضع حتى يُقلِع النملُ والذر من داره، فإذا فرغ من ذلك ألقاه مع الحطب فاستوقده في التَّنُّور .

الأصمعيّ قال: قال أبو صَوارة أو ابن دُقَّة : الأرز الأبيض بالسَّمن المَسْليّ بالسكر الطَّبَرْزَذ[٥]، ليس من طَعام أهل الدنيا .

(١) الزيادة عن البخلاء . (٢) في البخلاء : «إذا» . (٣) القحف : العظم الذي فوق الدماغ ، أو هو ما انفلق من الجمجمة فانفصل ، ولا يدعى قحفا حتى ينكسر منه شيء . (٤) اللحيان : عظما الحنك وهما اللذان عليهما الأسنان ، وفي البخلاء : «الجبين» . (٥) الطبرزذ : السكر الأبيض الصلب ، فارسيّ .

قال: وقال أبو صَوارة أو ابن دُقّة: أطولُ الليالى ثلاث: ليلةُ العقرب، وليلة الهريسة، وليلة جُدّة إلى مكة.

الأصمعىّ عن جعفر بن سليمان قال: قال أبو كامل مولى علىّ رضى الله عنه: أَطْعِمونى حَفْنَةَ زُبْدٍ ثم اختموا سراويلى ثلاثا.

وقال رجل للثَّورىّ فى الحديث: "إن الله يُبْغِض البيتَ اللَّحِمَ"؛ فقال: ليس هو الذى يؤكل فيه اللحم، وإنما هو الذى يؤكل فيه لحومُ الناس.

عن أبى الصِّدِّيق الناجى[1] عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خيرُ تَمَراتكم البَرْنِىّ[2] يذهب بالداء ولا داءَ فيه".

وعن ابن عُمَر عن عمر أنه قال: ياغلام أَنْضِجِ العصيدةَ تَذْهَبْ حرارةُ الزيت.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بيتٌ ليس فيه تَمْرٌ جِياعٌ أهلُه".

شيخٌ من أهل البادية قال: أضافنا فلان فأتانا بحِنْطة كأنها مناقيرُ الغِرْبان، وتمرٍ كأنه أعناقُ الوَزِّ[3] يُوَحِّلُ فيه الضِّرس.

الأصمعىّ قال: قال أعرابىّ: تَمْرنا جُرْدٌ[4] فُطْسٌ[5] يَغيبُ فيه الضِّرْسُ، كأن نواه ألسُن الطير، تَضَع التمرةَ فى فِيكَ فتجدُ حلاوتها فى كَعْبَيْك.

الأصمعىّ عن أبيه قال: أَسَر رجلٌ رجلين فى الجاهلية فخيَّرهما بم يُعَشِّيهما، فاختار أحدُهما اللحمَ واختار الآخرُ التمرَ، فعُشِّيا وأُلْقيا فى الفِناءِ وذلك فى شِتاءٍ شديدٍ، فأصبح صاحبُ اللحم خامدا وأصبح صاحب التمر تَزِرّ[6] عيناه.

(١) هو بكر بن عمرو أو ابن قيس، كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة. (٢) البرنىّ: ضرب من التمر أصفر مدوّر، وهو أجود التمر. (٣) فى الأصل هكذا: «الوزلان» والظاهر أنه محرّف عما أثبتناه. (٤) جرد: ناعمة. (٥) فطس: صغار الحب لاطئة الأقماع. (٦) تزرّ عيناه: توقدان.

وقال غيرُ الأصمعيّ : قيل لأعرابيّ : ما رأيك فى أكل الجِرِّىِّ[1] ؟ قال : تَمْرة نِرْسِيَانَةٌ غَرّاءُ الطَّرَفِ صفراءُ السائر عليها مِثْلُها زُبْدًا أحبُّ إلىّ منها ، ثم أدركه الوَرَعُ فقال : وما أُحَرِّمُهما .

وقال بعضُ الأعراب :

٥ أَلَا ليتَ لِي خُبْزًا[2] تَسَرْبَلَ رَائِبًا * وخيلًا من البَرْنِيّ فُرسانُها الزُّبْدُ

قال : ورأى أعرابيٌّ دقيقا وتمرا فآشترى التمر، قيل له : كيف وسعرُ الدقيق والتمر واحد ! قال : إنّ فى التمر أُدْمَه وزيادةَ حلاوةٍ .

عن زياد النُّمَيْرىّ قال : قالت عائشة : من أكل التمرَ وِتْرًا لم يضرّه .

الأصمعىّ قال : حدّثنى شيخٌ عالمٌ قال : أطيبُ التمرِ صَيْحَانِيَّةٌ[3] مُصَلَّبَةٌ .

١٠ الأصمعىّ قال : حدّثنى رجلٌ من آل حزم قال : كان يقال : مَنْ خلا[4] على التمر فالعَجْوة، ومن أكله على ثِقَلٍ فالصَّيْحانىّ .

الأصمعىّ قال: قال أعرابىّ يُفَضِّلُ الرُّطَبَ على العسل: أتجعلُ عَسَلَةً فى أحثاءِ البقر كعَسَلَةٍ فى جوِّ السماءِ لها مَحارِسُ من جَريدٍ وذوائبُ من زُمُرُّدٍ !

وقال الأصمعىّ : قيـل لٱبن القَدّاح : أىّ التمرِ أطيبُ؟ فدعا بأنواع التمر، فلمّا ١٥ أكلوا قال : ٱنظروا أىُّ النوى أكثرُ؟ قالوا : نوى الصيحانىّ، قال : هو أطيبُ .

---

(١) الجِرِّىّ : ضرب من السمك . والتمر النرسيان : نوع من التمر جيد ، واحده نرسيانة ، وفى الأصل «تمرة برسنانية» وهو تحريف . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ طبع بولاق) . ورواية الأصل : * ألا ليت خبزا قد تسربل رائبا *

(٣) الصيحانى : ضرب من التمر أسود صلب الممضغة نسب الى صيحان وهو كبش كان يربط الى نخلة ٢٠ بالمدينة فأثمرت تمرا فنسب اليه ، و يقال : صلبت التمرة اذا بلغت اليبس (انظر اللسان مادّة صلب) .

(٤) يقال : خلا على بعض الطعام اذا اقتصر عليه . قال اللحيانىّ : تميم تقول : خلا فلان على اللبن وعلى اللحم اذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به . قال : وكنانة وقيس يقولون : أخلى فلان على اللبن واللحم .

وقال الأصمعىّ : العرب تقول للبخيل الأكول : "أَبَرَماً قَرُوناً"[(١)] أى لا يُخرج مع أصحابه شيئا و يأكل تَمْرَتين تمرتين .

وقال النابغة يصف تمرا :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرُها * اذا طار قشرُ التمر عنها بطائرِ

سمع الحسنُ رجلا يَعيبُ الفالُوذجَ[(٢)] فقال : لُبابُ البُرِّ بلُعابِ النحل بخالِص السَّمْنِ ! ما عاب هذا مسلمٌ . وقال لِفَرْقَدٍ السَّبَخِىّ : يا أبايعقوبَ ، بلغنى أنك لاتأكل الفالوذجَ ، فقال : يا أباسعيدٍ ، أخافُ ألّا أُؤدِّىَ شكرَه ، فقال : يا لُكَعُ ! وهل تُؤدِّى شكرَ المـاءِ البارد [فى الصّيف والحارِّ فى الشتاء[(٣)] ! أما سمعتَ قولَ الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُمْ ﴾] .

---

(١) كذا ورد هذا المثل فى مجمع الأمثال للميدانى ولسان العرب مادّة «برم» والبرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله . والقرون : الذى يقرن بين الشيئين أى هو برم و يأكل مع ذلك تمرتين تمرتين . يضرب مثلا لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين ، وفى الأصـل : « أبرما أكولا قروما » وهو تحريف . ١٠

(٢) الفالوذج : حلواء يسوّى من لب الحنطة . فارسىّ معرّب . وفى الصحاح : الفالوذ والفالوذق معرّبة ، قال يعقوب : ولا يقال : الفالوذج . (انظر القاموس وشرحه مادّة فلذ) والعرب لا تعرفه حتى حكى أن عبد الله بن جدعان ، وكان سيدا شريفا فى قريش ، وفد على كسرى مرة وأكل عنده الفالوذج فتعجب منه ١٥ وسأل عن حقيقته ، فقيل : هى لباب البرّ يلبك مع العسل ، فابتاع من عنده غلاما يصنعه ، وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج فوضع موائده بالأبطح الى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ، فكان ممن حضر أمية بن أبى الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيـلة رأس وهادى * وأنت الرأس تقدم كلّ هادى
له راع بمكة مشمعـلّ * وآخر فوق دارته ينـادى
الى رُدُح من الشيزى ملاءٍ * لبـاب البرّ يلبـك بالشهاد

(٣) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨١) .

الأصمعيّ قال: اختصم روميّ وفارسيّ في الطعام، فحكّما بينهما شيخا قد أكل طعامَ الخُلفاءِ، فقال : أمّا الروميّ فذهب بالحَشْوِ والأحشاء، وأما الفارسيّ فذهب بالبارد والحَلْواء .

وعن الأصمعيّ قال : كنّا عند الرشيد فقُدِّمتْ اليه فالُوذَجةٌ، فقال : يا أصمعيّ حَدِّثْنَا بحديث مُزَرِّدٍ، فقلت : إن مُزَرِّدا أخا الشمّاخ كان غلاما جَشِعًا وكانت أُمّه تُؤْثِرُ عيالَها بالطعام عليه وكان ذلك يُحْفِظُه[1]، فخرجتْ أُمّه ذاتَ يوم تزورُ بعضَ أهلها، فدخل مُزَرِّدٌ الخيمةَ وعمَد الى صاعَىْ دقيقٍ وصاعٍ من تمر وصاعٍ من سمن فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول :

ولمّا غدتْ أُمّى تَميرُ بَناتِها * أَغَرْتُ على العِكْمِ[2] الذى كان يُمنَعُ
لَبَكْتُ[3] بصاعَىْ حِنطةٍ صاعَ عَجْوةٍ * الى صاعِ سمنٍ فوقَــهُ يَتَرَيَّعُ[4]
ودَبَّلْتُ[5] امثالَ الأثافِى كأنها * رُءوسُ نِقادٍ[6] قُطِّعَتْ يومَ تُجمَعُ
وقلتُ لِبَطْنِى أَبْشِرِ اليـومَ إنه * حِمًى أُمِّنا مما تَحُوزُ وتَرفَعُ
فإن كنتَ مَصْفورًا[7] فهذا دواؤه * وإن كنتَ غَرْثانًا[8] فذا يومُ تَشْبَعُ

فضحِكَ الرشيدُ حتى ٱستلقَى على ظهره، ثم قال : كُلوا بٱسم الله، هــذا يومُ تَشْبَعُ [يا أصمعيّ][9] .

(١) يحفظه : يغضبه . (٢) العكم : النمط تجعله المرأة كالوعاء تدّخر فيه متاعها .
(٣) لبكت : خلطت، واللبيكة : أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط و يصب عليه السمن . (٤) يتريع : يتميع هاهنا وهاهنا لا يستقرّ له وجه لكثرته . وفي الأصل : «يتربع» بالبا الموحدة . (٥) دبلت الشيء : جمعت بعضه على بعض وعظمته مثل الكتلة . وفي الأصل «وذيلت» بالذال المعجمة والياء المثناة وهو تحريف (انظر اللسان مادة ريع ودبل) . (٦) نقاد : جمع نقدة وهى الصغيرة من الغنم، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . (٧) المصفور : من به الصفر وهو داء فى البطن يصفرّ منه الوجه .
(٨) غرثان : جائع؛ وقد وردت هــذه الأبيات فى الجزء الثالث من العقد الفريد ص ٣٨٥ باختلاف قليل فى بعض ألفاظها عما هو مثبت هنا . (٩) زيادة عن العقد الفريد (ج٣ ص ٣٨٥) .

قال : وكتب الحجاجُ الى عامِله بفارِسَ : اِبعَثْ الىّ عسلًا من عسلِ خُلّار[١]، من النّحْلِ الأبكار، مِن الدَّسْتَفْشار، الذى لم تمسَّه النار .

وقال الأصمعىّ : كتب بعضُ الخلفاء[٢] الى عامله بالطائف : أن أرسل الىّ بعسلٍ أَخْضَرَ فى سقاء، أبيضَ فى الإناء ، من عَسلِ النَّدْغ[٣] والسَّحاء[٤]، من حِداب بنى شبابة .

والعربُ تصِف العسلَ بالبرودة .

وفى حديث ٱبن عباس أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم سئِل عن أفضل الشراب قال : "الحلْواءُ البارِدُ" يعنى العسلَ . وقال الأعشى :

كما شِيبَ بمـاءٍ با * رِدٍ من عسلِ النحلِ

ويقال : أجودُ العسلِ الذهبىّ[٥] الذى اذا قَطَرتْ منه قَطرةٌ على وجه [الأرض] ٱستدارَ كما يَستدِيرُ الزِئبقُ ولم يَنفُشْ ولم يختلط بالأرض والتراب .

والرومُ تقول : أجودُه ما يُطبَخ على فَتيلةٍ ثم تُشعَلُ فيه النارُ فيَعْلَق .

وسُئِل ديمقراطيس العالِمُ عمـا يَزيدُ فى العُمْر فقال : مَنْ أدام أكلَ العسلِ ودهَن جِسمَه به زاد الله بذلك فى عمرِه .

---

(١) خلّار كرمان : موضع بفارس ينسب اليه العسل الجيد . والدستفشار : كلمة فارسية ومعناها مما عصرته الأيدى وعالجته . (انظر القاموس وشرحه مادة خلر) . وقال ٱبن سيده فى المخصص (ج ٥ ص ١٨ طبع بولاق) : قال أبو حنيفة : المستفشار والدّستفشار : العسل الذى لم تمسه النار . وقال : ليست واحدة منهما عربية لأن هذا البناء ليس من كلامهم . (٢) كذا فى الأصل ، وفى اللسان مادة «ندغ» أن الذى كتب الحجاج ، والحجاج لم يكن من الخلفاء كما هو مذكور هنا . (٣) الندغ : الصعتر البرىّ و هو مما ترعاه النحل وتعسل عليه وعسله أطيب العسل ، وفى الأصل « البذع » . (٤) السحاء : نبت آخر من مراعى النحل يطيب عسله عليه ، وفى الأصل «السماء» . وحداب بنى شبابة : جبال بالسراة ينزلها بنو شبابة ، قوم من فهم بن مالك كما فى اللسان وشرح القاموس مادّة (حدب) . وفى الأصل : «حدب» بدون ألف . (٥) فى ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه للمحبى ، وفى لطائف المعارف للثعالبى ص ١١٠ طبع أوروبا : «أن خير الأعسال كلها عسل أصبهان ، وأن فى أجوده هذه الخاصة وذكر الثعالبى أنه يحمل منه كل سنة الى السلطان ألفا رطل » .

والعَسَلُ إن جُعل فيه اللحمُ الطريّ بقي كهيئته حتى لا يَنْتَن . ويقال : مَنْ كان به داء قديمٌ فليأخُذْ درهمًا حلالًا وليَشْتَرِ به عسلا ثم يَشربْه بماء سماء فإنه يبرأ بإذن الله تعالى . وكان الحسنُ يُعجبه اذا آستمشى[1] الرجلُ أن يَشربَ اللبنَ والعسلَ .

ويزعم أصحابُ الطبائـع أن العسلَ اذا دِيفَ[2] بالمـاء وخُلِط معه زيتٌ أو دُهنُ سِمسِمٍ نافعٌ لمن شَرِبَ السُّمومَ والأدويةَ القاتلةَ يُتقيّأ به .

ميمونُ بن مِهرانَ عن آبن عبّاس قال — ولا أعلمه إلّا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم — أنه قال : "أكرِمُوا الخبزَ فإنّ الله سخّر له السمواتِ والأرضَ" .

الأصمعيّ قال : كانت امرأةٌ من[3] بكر بن وائل تنزلُ الطُّفاوةَ[4] وكانت قـد أدركت بعض أصحابِ النبيّ صلى الله عليه وسلم، وكان العُبّادُ يَغشَوْنها في منزلهـا، فعابَ عائبٌ عنـدها السَّويقَ، فقالت : لا تفعَـلْ ! إنه طعامُ المسافر، وطعامُ العَجْلانِ[5]، وغِذاءُ المبكِّرِ، وبُلْغـةُ المريضِ، ويَشُدُّ فؤادَ الحزينِ، ويَرُدُّ من نَفْسِ الضَّعيفِ، وهو جيّدٌ في التّسمين ونقاوة البلغمِ، ومَسمونُه[6] يُصفّي الدمَ، إن شئتَ كان ثريدا، وإن شئتَ كان خَبيصًا، وإن شئتَ كان خُبزًا .

وكان غسّانُ بن عبد الحميد كاتبُ سليمانَ بن عليّ يقول لجاريته : خَوِّضي[7] لنـا سويقا فأَخْثِريه، فإنّ الرجلَ لا يَستحيي أن يزدادَ ماءً فيرقّقَـه، ويستحيي أن يزدادَ سويقًا فيُخثِرَه به .

---

(١) استمشى : استطلق بطنه . (٢) ديف : خلط (٣) في الأصل : «كان في الطفاوية امرأة من بكر بن وائل تنزل الطفاوة ... الخ» . (٤) الطفاوة : حيّ من قيس عيلان، وموضع بالبصرة سمي بالقبيلة التي نزلته . (٥) كذا بالأصل، وهذا التكرار لا يتفق مع بلاغة السياق، وفي العقد الفريد : «طعام المسافر والعجلان» . (٦) سمن الطعام يسمنه سمنا فهو مسمون : عمله بالسمن ولتّه به . (٧) خوض الشراب وخاضه : خلطه وحرّكه . والخثورة : ضدّ الرقة، يقال : أخثر الشيء وخثّره إذا غلظه بعد الرقة .

مرّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علىّ وهو فى مَزْرَعتِه وقد عَطِش، فاستسقاه فخاضَ له سَوِيقَ لَوْزٍ فسقاه إياه؛ فقال عبد الله :

شَرِبتُ طَبَرْزَذًا[1] بِغَرِيضِ[2] مُزْنٍ * ولكنّ المِلاحَ بكم عِذابُ
وما [هو] بالطَّبَرْزَذِ طاب لكن * بِمَسِّكَ إنه طابَ الشرابُ
وأنت إذا وَطِئتَ ترابَ أرضٍ * يَطِيبُ إذا مشيتَ به الترابُ
لِأنّ نَدَاكَ يَنفِى المَحْلَ عنها * وتُحْيِيها[3] أيادِيكَ الرِّطابُ

وقال الحسنُ : لا تَسْقُوا نساءكم السَّوِيقَ، فإن كنتم لا بدّ فاعِلِينَ فاحفَظُوهنّ.
وقال الرّقاشىّ : السَّمنةُ للنساء غُلْمةٌ وهى للرجال غَفْلةٌ .

عن ابن عمرَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثةٌ لا تُرَدُّ : اللَّبنُ والسِّواكُ[4] والدُّهْنُ".

الرّياشىّ قال : سمعتُ أبا يزيدَ يقول : رأيتُ رجلا كأنّ أسنانَه الذَّهَبُ لشربه اللَّبنَ حارًّا .

الأصمعىّ عن ذى الرُّمّة أنه قال : إذا قلتَ للرّجل : أىُّ اللّبن أطيبُ ؟ فإن قال : قارِصٌ[5]، فقُلْ : عبد مَنْ أنتَ؟[6] وإن قال : الحليبُ، فقُلْ : ابنُ مَن أنتَ؟

مرّ رجل من قريشٍ بامرأةٍ من العرب فى باديةٍ، فقال : هل من لبنٍ يُباعُ؟ فقالت : إنك لئيمٌ أو قريبُ عهدٍ بقومٍ لِئامٍ .

(١) الطبرزذ : السكر فارسىّ معرّب، ويقال فيه : طبرزن وطبرزل بالنون واللام (انظر القاموس وشرحه مادة طبرزذ ومفردات ابن البيطار طبع بولاق فى اسم الطبرزذ) . (٢) الغريض من اللحم والماء واللبن والتمر : الجديد الطازج . (٣) فى الأصل : «وتجنيها» بالجيم والنون وهو تحريف .
(٤) فى الأصل هكذا : «الوساك» وهو تحريف . (٥) القارص : الحامض .
(٦) أى هو عبد، لأنه باستطابته الحامض دل على أنه لم ير خيرا منه، اذ العبد يأكل ما يفضل من مواليه فلا يصل اليه الحليب إلا حامضا .

وكان يقـال : اللبنُ أحدُ اللحمَيْنِ .

وقال بعضُ المدنيّين : مَنْ تَصبّحَ[1] بِسبعِ مَوْزَاتٍ[2] و بقـدَحٍ من لبن إبلٍ أوارِكَ[3] تجشّأ بخورَ الكعبة .

وقف معاويةُ على امرأةٍ فقال : هل مِن قِرًى؟ فقالت : نعم، قال : وما هو؟ قالت : خبزٌ[4] خمير ولبنٌ فطير وماءٌ نمير، والعرب تقول : "إنّ الرَّثيئةَ تفثأُ الغضب"[5]. والرَّثيئـةُ : اللبنُ الحامضُ يُحلَبُ عليه الحليبُ، وهو أطيبُ اللبن . قال بعضُ الأعراب :

وإذا خشيتَ على الفؤادِ لحاجَةٍ * فاضرِب عليه بجَرْعَةٍ من رائبِ

وعن مطر الورّاق : أنّ نبيًّا من الأنبياء شكا الى الله تعالى الضعفَ، فأوحى الله إليه : أنِ اطبُخِ اللبنَ باللحم، فإنّ القوة فيهما .

وصف أعرابيّ خِصْبَ البادية فقـال : كنتُ أشربُ رثيئـةً تجرُّها الشّفتان جرًّا، وقارِصًا إذا تجشّأتُ جدَع أنفي، ورأيتُ الكمأةَ تدوسُها الإبلُ بمناسِمِها، وخُلاصةً[6] يَشَمُّها الكلبُ فيعطِسُ .

وتقول الأطبّاء : إنّ اللبن اذا سُخّنَ بالنـار وسِيطَ[7] بعُودٍ من عيـدان شجرِ التّين راب من ساعته، وقالوا : وإن أراد صاحبه ألّا يروبَ وإن[8] كان فيه رُوبة جعل فيه شيئا من الحَبَقِ، وهو الفُوذَنْجُ[9] النهريّ، فإنه يبقى كهيئته .

---

(١) تصبح : أكل شيئا قليلا يتعلل به . (٢) كذا فى الأصل ولعلها «لوزات» أو «تمرات» . (٣) الإبل الأوارك : التى تأكل الأراك . (٤) الماء النمير : الناجع فى الريّ، وقيل : الماء النمير : الكثير . واللبن الفطير : الطريّ القريب العهد من الحلب . (٥) هـذا مثل ذكره الميدانيّ وقال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو، وتفثأ الغضب أى تكسره وتذهبه . وأصله أنّ رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم وكان مع سخطه جائعا فسقوه الرثيئة فسكن غضبه . (٦) الخلاصة : التمر والسويق يلقى فى السمن . (٧) سيط : حرّك . (٨) فى الأصل : «فإن» . (٩) الفوذنج : نبت، معرّب عن پوذينه .

أخبار من أخبار العرب فى مآكلهم ومشاربهم

المعلَّى الرَّبَعِىّ قال : مكثتُ ثلاثا لا أذوق طعاما ولا أشرب فيهنّ شرابا ، فدعوت اللهَ تعالى ، واذا دعا العبدُ اللهَ بقلبٍ صادقٍ كانت معه من الله عينٌ بصيرةٌ ، فدَفَعتُ الى ذِئْبينِ فى جَفْرٍ[1] ، فرميتُهما فقتلتُهما ، ثم أتيتُ جَفْرًا فيه ماء فآستقيت ، ثم أتيتهما واذا هما على مُهَيْدِيَتِهِما[2] ، واذا لهما نَخْفَةٌ — يعنى شبهَ الزَّفير — فاشتويتُ وآحتذيتُ[3] وآدّهنت .

قال آبن قِرْفَةَ (شيخ من سليم) : أضافنى رجل من الأعراب فجاءنى بِقِدْرٍ جِمَاعٍ[4] ضخمةٍ ليس فيها شىء من طعام إلا قِطَعُ لحم ، فاذا بَضْعة تَمَاتُّ[5] فى فمى ، وبَضْعة كأنّها بِضَع ساقٍ ، و بضعة كأنها شحمٌ زَخِمٌ[6] ، فقلت : ما هذا؟ فقال : إنى رجل صيّاد ، جمعتُ بين ذِئْبٍ وظَبيٍ وضَبُعٍ .

قال مدنىّ لأعرابىّ : ما تأكلون وما تَدَعُون ؟ قال : نأكل ما دَبَّ ودَرَجَ إلا أمَّ حُبَيْنٍ[7] ؛ فقال المدنىّ : لِيَهْنِ[8] أُمَّ حُبَيْنٍ العافيةُ .

---

(١) الجفر : البئر الواسعة التى لم تطو ، وقيل : هى التى طوى بعضها ولم يطو بعض . (٢) على مهيديتهما : على حالهما التى كانا عليها ، يقال : هو على مهيديته ومهيدئته ، بالهمز وعدمه ، حكاه ثعلب وقال : لامكبر لها . وقد ذكرها صاحب اللسان والقاموس فى مادتى (هدى) و (هدأ) . (٣) احتذيت : آتخذت نعلا . (٤) قدر جماع وجامعة : عظيمة ، وقيل : هى التى تجمع الجزور . (٥) تمات : تمتّد وتمطط . (٦) زخم : كريه خبيث الرائحة . (٧) بحاء مهملة مضمومة وباء موحدة مخففة : دويبة قيل : هى ضرب من العظاء ، وقيل : هى أعرض من العظاء ، وقيل : هى أنثى الحرباء ، وقيل غير ذلك ، وهى منتنة الريح تحاماها الأعراب فلا يأكونها لنتنها ، و يقال لها : حبينة معرفة بلا ألف ولام وانما سميت بذلك لكبر بطنها ، من الحبن الذى هو السّق فى البطن . تقول : فلان به حبن فهو أحبن أى مستسق ، فسميت بذلك لشبهها بالمستسق . (٨) فى الأصل : «ليهن» قال شارح القاموس فى مادّة هنأ : تقول العرب فى الدعاء : ليهنئك الفارس بجزم الهمزة وليهنيك الفارس بياء ساكنة ، ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة ، أى لأن الياء بدل من الهمزة ، ثم قال : وقد ورد فى صحيح البخارى فى حديث توبة كعب بن مالك : يقولون : ليهنك توبة الله عليك . راجع شرح القاموس (مادة هنأ) .

قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجلٌ من بنى هلال بن عامر، فذكروا الضبّ ومن يأكله، فأفرط الفضلُ فى ذمّه وتابعه القومُ، فغاظ الهلالىَّ ما سمع منهم، ولم يكن على المائدة عربىّ غيرُه، ثم لم يلبث أن أُتِىَ الفضلُ بصَحْفَة فيها فِراخ الزَّنابير[1]، فلم يَشُكّ الأعرابىّ أنها ذِبّان البيوت، فقال حين خرج :

٥ وعِلْجٍ يَعَافُ الضبَّ لؤما وبِطْنَةً[2] * وبعضُ إدامِ العِلْجِ هامُ ذُبابِ

ولو أنّ مَلْكًا فى المَلَا نالك أُمّهُ * لقالوا لقد أُوتِيتَ فصلَ خِطابِ

وقال أبو الهندى[3] (رجل من العرب) :

أكلتُ الضِّبابَ فما عِفْتُها * وإنّى لأشهى قديدَ[4] الغَنَمْ

ولحمَ الخروفِ حنيذًا[5] وقد * أُتِيتُ به فاترًا فى الشَّبَمْ[6]

١٠ فأمّا البَهَطُّ[7] وحيتانُكم * فما زلتُ منها كثيرَ السَّقَمْ

وقد نِلتُ منها كما نِلتُمُ * فلم أرَ فيها كضَبٍّ هَرِمْ

---

(١) قال الدميرى فى حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٢) فى الكلام على الزنبور: « وفراخ الزنابير تؤخذ من أوكارها وتغلى فى الزيت و يطرح عليها سذاب وكراو يا وتؤكل » وذكر خاصة لذلك .

(٢) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٨)، وقد وردت فيه هذه الحكاية وهى لا تختلف

١٥ فى المعنى عما ورد فى الأصل . وفى الأصل : «وعلج يعاف الضب واللوم بطنه» . (٣) كذا ورد فى اللسان (مادتى عرب و بهط) منسوبا اليه بعض هذه الأبيات، وقد عقد له المؤلف ترجمة فى كتابه الشعر والشعراء (ص ٤٢٩) وفى الأصل : « أبو هند » . (٤) القديد : اللحم المملوح المجفف فى الشمس . (٥) حنيذ : مشوىّ . (٦) كذا فى الدميرى (ج ٢ ص ٩٣) والحيوان للجاحظ، وقد فسره الدميرى بماء الأسنان وهو غير واضح، والظاهر أنه بمعنى البرد كما هو معناه

٢٠ اللغوى . وفى الأصل : «السنم» وهو تحريف . (٧) قال فى اللسان : «البهط : كلمة سندية وهى الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء، واستعملته العرب بالهاء فقالت : بهطة طيبة» .

ولا في البيوض كبيض الدّجاج * وبيض الدجاج[1] شفاء القرم[2]
ومكن[3] الضباب طعام العريب[4] * ولا تشتهيه نفوس العجم

وقال بعض الأعراب :

وأنت لو ذقت الكشى[5] بالأكباد * لما تركت الضبّ يعدو بالواد

ونزل رجل من العرب برجل من الأعراب فقدّم اليه جرادا، فقال :

لحى الله بيتاً ضمّني بعد هجعة * اليه دجوجىٌّ من الليل مظلم
فأبصرت شيخاً قاعداً بفنائه * هو العتز إلا أنه يتكلم
أتانا ببرقان[6] الدَّبى في إنائه * ولم يك برقان الدَّبى لي مطعم
فقلت له غيّب إناءك[7] واعتزل * فهل ذاق هذا، لا أبالك، مسلم

وقال بعض العباسيين[8] :

ليت شعرى متى تخبّ بي النا * قة نحو العذيب[9] فالصّنين[10]
محقبا[11] زكرة[12] وخبز رقاق * وجبينا[13] وقطعة من نون

(١) كذا في حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ . وفي الأصل : «و بيض الجراد» .
(٢) كذا في حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ . والقرم (بفتح القاف والراء) : شدّة الشهوة الى اللحم . وفي الأصل «الشقم» وهو تحريف . (٣) المكن (بفتح الميم و إسكان الكاف) و بالنون في آخره) : بيض الضبة . (٤) العريب : تصغير العرب؛ قال في اللسان مادّة عرب : صغّرهم تعظيما كما قال : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب . وفي الأصل «الغريب» بالغين المعجمة وهو تحريف . (٥) الكشى : جمع كشية (بضم الكاف وإسكان الشين) وهي أصل ذنب الضب .
(٦) البرقان : جمع برقانة وهي الجرادة المتلونة . والدبى : الجراد؛ أى أتانا بالمتلون من الجراد .
(٧) في الأصل : «فناءك» . (٨) ذكر هذا الشعر بالجزء الثاني من كتاب الأغاني (طبع دار الكتب المصرية ص ٣٤٨) منسوبا الى حنين بن بلوع الحيرى، ولم يذكر أبو الفرج أنه أدرك الدولة العباسية . (٩) العذيب : ماء لبنى تميم، وهو أوّل ماء يلقى الانسان بالبادية اذا سار من قادسية الكوفة يريد مكة . (١٠) الصنين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر و به نهر ومزارع .
ورواية الأغاني في هذا الشطر : «بين السدير والصنين» وفي اللسان : «بين العذيب فالصنين» بفاء العطف وهو ما اخترناه . وفي الأصل : «في الصنين» . وفي هذا الشعر السناد وهو، كما فسره ابن سيده، المخالفة بين الحركات التي تلي الأرداف في الروى . (١١) يقال : أحقب الزكرة واحتقبها اذا احتملها خلفه . (١٢) الزكرة بالزاى : زق يجعل فيه شراب أو خل . (١٣) الجبين تصغير الجبن المأكول . والنون : الحوت .

وقال بعض الأعراب :

أقول له يومًا وقد راح صُحْبتى * تُرى أبتغى من صَيْدِه وأُخاتِلُه[1]

فلما التقتْ كفّى على فَضلِ ذَيلِه * وشالت[2] شِمالى زَايَلَ الضَّبَّ باطلُه

فأصبح محنوذًا[3] نضيجًا وأصبحتْ * تَمشّى على القِيزَانِ[4] حُولًا حلائلُه

شديدَ اصفرار الكُشْيَتَيْنِ[5] كأنما * تَطلّى بوَرْسٍ[6] بطنُه وشَوَاكِلُه[7]

فذلك[8] أشهى عندنا من نِتَاجِكم[9] * لحى الله شارِبِيه وقُبِّح آكِلُه

وبنو أسدٍ تُعَيَّر بأكل الكلاب؛ قال الفرزدق :

إذَا أسَدِىٌّ جاع يومًا ببلدةٍ * وكان سمينًا كلبُه فهو آكِلُهْ

وتُعيّر أيضا بأكل لحوم الناس، كما قال الشاعر[10] :

اذا ما ضِفْتَ ليلًا فَقْعسيًّا * فلا تأكل له أبدًا طعامَا

فإنّ اللحم إنسانٌ فدعْه * وخيرُ الزادِ ما منع الحراما

---

(١) فى الأصل : «وأخاطره» والقافية فى الشعر اللام، وقد ورد هذا الشطر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٧ طبع مصر) :

* وبالله أبغى صيده وأخاتله *

(٢) كذا فى كتاب الحيوان، وشالت : ارتفعت . وفى الأصل : «نالت» . (٣) الشواء المحنوذ الذى قد ألقيت فوقه الحجارة المرضوفة بالنار حتى ينشوى انشواء شديدا فيتهرّى تحتها . (٤) القيزان : جمع قوز (بالفتح) وهو الكثيب الصغير من الرمل تشبّه به أرداف النساء . (٥) كذا فى كتاب الحيوان . والكشية : شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه، وفى الأساس أنها شحمة مستطيلة فى جنبيه . وفى الأصل : «الكليتين» . (٦) الورس : صبغ أصفر يصبغ به . (٧) الشواكل : جمع شاكلة وهى الخاصرة . (٨) كذا فى كتاب الحيوان . وفى الأصل : «كذلك» بالكاف . (٩) فى الأصل «نيا حكم» (بالنون والياء والحاء المهملة) وهو تحريف، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ . (١٠) نسب هذا الشعر فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٢ طبع أوربا) الى معروف الدبيرى .

قال رجل : كنت بالبادية فرأيت ناسًا حولَ نارٍ، فسألتُ عنهم فقالوا : صادوا حيّات فهم يَشْتَوُونها ويأكلونها ، فأتيتُهم فرأيت رجلا منهم قد أخرج حيّةً من الجَمْر ليأكلها فامتنعتْ عليه ، فجعل يمدّها كما يُمَدّ عُصَيب لم يَنْضَج ، فما صرفتُ بصرى عنه حتّى لُبِجَ[1] به فمات ، فسألت عن شأنه فقيل لى : عَجِلَ عليها قبل أن تنضج وتعمل فى سُمّها النارُ .

قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لى لحمًا ، فاشتروه فطبخه حتى تهرّى ، وأكل منه حتى انتهت نفسه ، وشرعَت اليه عيون ولده فقال : ما أنا بمُطْعِمِه أحدًا منكم إلا مَن أحسن وصفَ أكْلِه ، فقال الأكبر منهم : آكُلُه يا أبت حتى لا أَدَعَ لِلذرِّ فيه مَقيلا ؛ قال : لستَ بصاحبه . فقال الآخر : آكله حتى لا يُدْرَى ألِعامِه هو أم لِعامٍ أوّل ؛ قال : لستَ بصاحبه . فقال الأصغر : أدقّه يا أبت دقا وأجعل إدامه المخّ ؛ قال : أنت صاحبُه ، هو لك .

بينا أعرابيٌّ يسير وهو يُوضِع[2] بعيرَه إذ سقط بعيرُه فنَحَره وأكله ، فأنشأ يقول :

إن السّعيد من يموتُ جَمَلُهْ * يَشْبَع لحمًا ويقِلّ عَمَلُهْ

ومرّ رجلٌ من سَلُول بفِتْيانٍ يشربون فشَرِب معهم ؛ فلما أخذ منه الشراب قام الى بعيره فنحره ، وقال :

عَلِّلانى إنما الدّنيا عِلَلْ * ودَعانِى من مَلامٍ وعَذَلْ
وانْشُلا[3] ما اغْبَرّ من قِدْرَيْكما * واسقِيانِى أبعدَ اللهُ الجَمَلْ

---

(١) يقال : لبج بالرجل ولبط به اذا صرع . (٢) يوضع بعيره : يعديه ويحمله على العدو الحثيث . (٣) نشل اللحم (من بابى ضرب ونصر) وأنشله : أخرجه من القدر بيده من غير المغرفة .

آداب الأكل والطعام

عن أبى هريرةَ قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الأكْلُ فى السُّوقِ دَناءةٌ". وعن عبد الرحمن بن عِراكٍ قال : بلغنى أنه مَنْ غسل يده قبل الطعام كان فى سَعَةٍ من الرِّزق حتى يموتَ .

٥ عن الحسن أنه قال : الوُضوءُ قبل الطعام يَنفِى الفقرَ وبعده يَنفِى اللَّمَم[١] .

وعنه قال : قيل لسَمُرَةَ بنِ جُنْدَب : إنّ أباك أكَلَ طعاما كاد يقتُلُه ؛ قال : لو مات ما صَلَّيتُ عليه .

وعن شُرَحْبِيل بنِ مسلم قال : قال أبو الدَّرداء : بِئس العونُ على الدِّينِ قَلبٌ نَخِيبٌ[٢] ، وبطنٌ رَغِيبٌ[٣] ، ونَعْظٌ شديدٌ .

١٠ أكَلَ الجارودُ[٤] مع عمرَ طعامًا ، ثم قال : ياجاريةُ هاتِ الدَّستَورْدَ[٥] ؛ فقال عمر : امسحْ بِاْستِك أو ذَرْ .

قال جعفر : كنا نأتِى فَرْقَدا السَّبَخِيَّ ونحن شَبَبةٌ[٦] فيُعلِّمنا : إن مِن ورائكم زمانًا شديدًا ، فشُدُّوا الأُزُرَ على أنصافِ البطونِ ، وصَغِّروا اللُّقَمَ ، وشَدِّدوا المَضغَ ،

---

(١) اللمم : ما دون الكبائر من الذنوب ، وفى التنزيل العزيز : (الذين يجتنبون كبائر الإثم ١٥ والفواحش إلا اللمم) يعنى الذنوب الصغائر . (٢) نخيب : جبان كأنه منتزع الفؤاد . (٣) بطن رغيب : واسع الجوف ، وهو كناية عن كثرة الأكل وشدة النهم . (٤) هو بشر ابن عمرو بن حنش بن المعلى من بنى عبد القيس العبدى الصحابى ، والجارود لقبه ومعناه المشئوم ، لأنه فرّ بإبله الجرد (التى أصابها الجَرَد) الى أخواله من بنى شيبان ، ففشا ذلك الداء فى إبلهم فأهلكها . وفد على النبىّ صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث . وقتل فى خلافة عمر بأرض فارس سنة احدى وعشرين .

٢٠ (٥) الدستورد : ثوب أحمر يضرب الى صفرة حسنة . وهو مركب من "دست" بمعنى ثوب ، و"ورد" بمعنى أحمر ضارب الى الصفرة ، كما فى القاموس وشرحه (مادتى دست و ورد) ، ولعله يقصد هنا المنشفة . (٦) شببة : جمع شاب .

ومُصُّوا المـاءَ مَصًّا . واذا أكل أحدُكم فلا يَحُلَّنَّ إزارَه فتَتَّسِعَ[1] أمعاؤه . واذاجلس أحدُكم ليأكل فليَقْعُدْ على أليَتيه، وليَلْزَقْ بطنه بِفَخذيه ، واذا فرغ فلا يَقْعُدْ وليَجِئْ وليَذْهَبْ، واَحْتَمُوا[2] فإنّ مِنْ ورائكم زَمانا شديدا .

وعن عبد الله بن أبى أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "سَاقِى القَوْمِ آخِرُهُم شُرْبًا" .

وعن الجارُودِ بن أبى سَبْرةَ قال : قالى بلالُ بن أبى بُرْدَةَ : أتحضُرُ طعامَ هذا الشيخ — يعنى عبدَ الأعلى بن عبد الله بن عامر — ؟ فقلت : إِيهًا[3] واَللهِ؛ فقال : حَدِّثْنِى عنه . فقلتُ : نأتيه وكان سِكِّيتًا[4]، إن حَدَّثَنَا أحسنَ الحديثَ، وإن حَدَّثْناه أحسنَ الاِستماعَ، فإذا حضرَ الغَداءُ جاء خَبَّازُه فمَثَل بين يديه؛ فيقولُ : ماعندكَ ؟ فيقولُ : بَطَّةٌ[5] بكذا، ودَجَاجَةٌ بكذا وكذا . قال : ومايُريدُ بذاك؟ قلت : كى يَحبِس كلُّ إنسانٍ نفسَه الى ما يَشتهى، فإذاوُضعَ الخِوانُ خَوَّى[6] تَخْوِيَةَ الظَّالِيم[7] فما له إلا موضعُ مُتَّكئِه فيَجِدُّ ويَهْزِلُ، حتى اذا رآهم قد فتَروا وكَلُّوا أكَلَ معهم أَكْلَ الجائع المقرورِ[8] حتى يُنَشِّطَهم بأكله .

وكان يقال : اذا اَجتمعَ للطعام أربعُ كَمَلَ : أن يكون حلالًا، وأن تَكثُرَ عليه الأيدى، وأن يُفْتَتَح باَسم الله، ويُخْتَتَم بحَمدِ الله .

(١) فى الأصل : «فتشبع» ، وهو تحريف . (٢) احتموا : امتنعوا عن الطعام ؛ وفى الأصل : «احتقوا» . (٣) إيها (بالنصب) : معناه الكف ، وقد يرد للتصديق والرضا كما هنا ؛ ومنه حديث ابن الزبير لما قيل له : يابن ذات النطاقين ؛ فقال : إيها والإله ، أى صدّقت ورضيت بذلك . (٤) سكيتا : كثير السكوت قليل الكلام . (٥) فى الأصل «يختبئ» والتصويب عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٨٦) . (٦) خوى الرجل : فرّج ما بين عضديه وجنبيه . (٧) كذا فى كتاب التاج للجاحظ (ص ٢٠ طبع بولاق) وكتاب البخلاء له أيضا (ص ١٩٤ طبع أوربا) . والظاليم : ذكر النعام ؛ وفى الأصل : « تخوية الطين » وهو تحريف . (٨) المقرور : الذى أصابه القرّ وهو البرد .

وكان يُقالُ : سَمُّوا اذا أكلتم ودَنُّوا (١) وسَمِّتُوا .

قال أبْرَوِيزُ لِصاحِبَيْ طعـامِه وشرابه : إنى سَلَّطتُكما على المعيشـةِ، وأشركتُكما فى الحياة، وجعلتكما أمينينِ على نفسى، ووَلَّيتكما من طعامى وشرابى ما التوسعةُ فيه مُروءةٌ والتضييقُ فيه دَناءةٌ؛ فآجعلاه فى فضلِه على ما سواه كفضلى على مَنْ سواى، وفى كثرته ككثرة مَنْ معى على مَنْ مع غَيرى . ولا يَشْهَدَنَّ طعامى الذى آكُلُ عينٌ تراه ولا نَفسٌ تُحِسُّه ولا يَدٌ تداولُه خلا نفسًا واحدةً؛ وإنما أفردتُه بذلك لِتَستحكِمَ الحجّةُ فيه على مَنْ أضاعَ، وتنقطعَ الشبهةُ فيه عمن غفَلَ، ولأجعلَ صاحبَ ذلك رَهنًا بدمِ نفسِه إن هو قَصَّر فى صُنعِهِ أو أوقع بغائلةٍ .

الأصمعىّ قال حدّثنى ابراهيمُ بنُ صالح : أنه كان له جَامٌ من حَبّ رُمّانٍ مدقوقٍ يَسُفُّ منه بينَ كلِ لَونَينِ ملعقةً حتى يعرِفَ آختلافَ الألوانِ .

وفيما أجاز لنا عمرو بن بَحْرٍ من كتبه قال : كان أبو عبد الرحمن (٢) الثَّورىّ يُقعِدُ آبنَه معه على خِوَانه يوم الرأس (٣)، ثم يقول : إياكَ ونَهمَ (٤) الصـبيان وأخلاقَ النوائح، و[دع عنـك] (٥) خَبْطَ المَلّاحين والفَعَلَة، ونَهْشَ الأعراب والمَهَنَة، وكُلْ من بينِ يديكَ؛ فإنّ حظّكَ الذى وَقع وصار اليك . وآعلم أنه اذا كان فى الطعام شيء طَريفٌ أو لُقمةٌ كريمةٌ أو بَضْعةٌ (٦) شَهِيّةٌ ، فانما ذلك للشـيخ المعظّم والصبىّ المدلّل، واستَ

(١) دنوا : كلوا ممـا بين أيديكم وما يليكم وما دنا وقرب منكم . وسمتوا : أمر من التسميت وهو الدعاء بالخير والبركة . (انظر اللسان مادّتى سمت ودنا) . (٢) كذا فى الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص١١٥)؛ وفى العقد الفريد «أبو عثمان الثورى» . (٣) ورد فى كتاب البخلاء : أن أبا عبدالرحمن هـذا كان يعجب بالرءوس ويحمدها ويصفها وكان يسمى الرأس عرسا . فلعل المقصود من قوله «يوم الرأس» ذلك اليوم الذى يجتمع له فيه هـذا النوع من الطعام . (٤) كذا فى العقد الفريد؛ وفى الأصل «ونهم السلطان» . (٥) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١١٧) (٦) البضعة (بفتح الباء وتكسر) : القطعة من اللحم .

واحدا منهما. وأنت قد تأتى الدعوات، وتُجيب الولائم، وتَدخُلُ منازلَ الإخوانِ، وعَهدُكَ باللحم قريبٌ، وإخوانُك أشدُّ قَرَمًا[1] اليه منكَ، وإنما هو رأسٌ واحدٌ، فلا عليك أن تتجافَى عن بعضٍ وتُصيبَ بعضا. وأنا بعدُ[2] أكرهُ لك الموالاةَ بين اللحم؛ فإن الله يُبغِضُ أهلَ البيتِ اللَّحِمِين[3].

وكان يقال: مُدمِنُ اللحم كمُدمِنِ الخمر.

ورأى رجل رجلا يأكل لحما، فقال: لحمٌ يأكل لحما، أُفٍّ لهذا عملًا!

وكان عمر يقول: إيّاكم وهذه المجازرَ، فإنّ لها ضَراوةً[4] كضَراوةِ الخمر.

يا بُنيَّ عوِّدْ نفسك الأُثْرةَ[5] ومجاهدةَ الهوى والشهوة، ولا تنهَش نهشَ السِّباع، ولا تَخضِم خَضْمَ البراذين، ولا تُدْمِن الأكلَ إدمانَ النِّعاج، ولا تَلقَمْ لقمَ الجمال؛ فإن الله تعالى جعلك إنسانا وفضَّلك، فلا تجعل نفسَك بهيمةً ولا سبعا. واحذر سرعةَ الكِظَّة[6] وسَرَف البِطْنَة.

قال بعض الحكماء: إذا كنتَ بطينا فعُدَّ نفسك من الزَّمْنى. وقال الأعشى:

... ... والبِطْنَةُ* مِمّا تُسَفِّهُ الأحلاما[7]

واعلم أنّ الشِّبَع داعية البَشَم، وأنّ البشم داعية السَّقَم، وأنّ السقم داعية الموت، فمن مات بهذه المِيتة فقد مات مِيتةً لئيمةً، وهو مع هذا قاتلُ نفسِه، وقاتلُ نفسِه ألأمُ من قاتلِ غيره.

(١) قرم الرجل الى اللحم قرما: اشتدت شهوته اليه. (٢) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١١٧ طبع أوربا)، وفى الأصل «بعد» وهو تحريف. (٣) اللحمين: جمع لحم ككتف وهو الأكول للحم القرم اليه. (٤) الضراوة بالشىء: الولع به. (٥) الأثرة (بالضم): المكرمة لأنها تؤثر أى تذكر ويأثرها قرن عن قرن. (٦) الكظة: الامتلاء من الطعام.
(٧) هذا بعض بيت أورده اللسان فى مادّة «بطن» والبيت:

يا بنى المنذر بن عبدان والبِطْنة* مما تسفه الأحلاما

وفى الأصل «والبطنة يوما تسفه الأحلاما».

يابنىّ، والله ما أدّى حقّ الركوع والسجود ذو كِظَّة، ولا خشع لله ذو بِطْنة، والصومُ مَصَحّة، والوَجَبات(١) عيش الصالحين .

أىْ بنىّ، لأمرٍ مّا طالت أعمار الهند، وصحّت أبدان الأعراب. فلله درّ الحارث ابن كَلَدة حيث يزعم أنّ الدواء هو الأَزْم(٢)، وأنّ الداء إدخال الطعام إثْرَ الطعام .

أىْ بنىّ، لِمَ صَفَتْ أذهان الأعراب، وصحّتْ أبدان الرُّهبان، مع طول الإقامة فى الصوامع حتى لم تعرف النِّقْرِس(٣) ولا وجع المفاصل ولا الأورام، إلا لقلّة الرُّزْءِ(٤) وخفّة الزاد . وكيف لا ترغب فى تدبيرٍ يجمع لك صحّة البدن، وذكاءَ الذهن، وصلاحَ المِعَى(٥)، وكثرةَ المال، والقُرْبَ من عيش الملائكة ! .

أى بُنَىّ، لم صار الضبّ أطولَ شىء ذَمَاءً(٦) إلا لأنه يتبلَّغ بالنسيم ؛ ولِمَ قال(٧) الرسول صلى الله عليه وسلم إنّ الصوم وِجَاء(٨) إلّا ليجعله حِجازا(٩) دون الشهوات . اِفهم تأديب الله، فإنه لم يَقصِد به إلّا الى مثلك .

أى بنىّ، قد بلغتُ تسعين عاما ما نَغَضَ(١٠) لى سنّ، ولا انتشر لى عصبٌ، ولاعرفتُ ذنين(١١) أنف، ولا سَيَلان عين، ولا سَلَس بول ؛ ما لذلك علّةٌ إلّا التخفيف

(١) الوجبات : جمع وجبة وهى الأكلة فى اليوم والليلة . (٢) الأزم : ألا تدخل طعاما على طعام . (٣) النقرس كزبرج : داء يأخذ فى الرجل . (٤) الرزء : ما يصيبه الإنسان من الطعام . (٥) المعى (بالمد والقصر والقصر أشهر) : المصارين . وفى الأصل « المعاد » وهو تحريف . (٦) الذماء : بقية النفس والحركة، والمراد : أطول شىء حياة . وفى العقد الفريد "أطول عمرا" . (٧) كذا بالعقد الفريد . وفى الأصل : « زعم » . (٨) نص الحديث كما فى الجامع الصغير : « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وِجاء» والوجاء، كما فى النهاية لابن الأثير : أن ترض أنثيا الفحل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع ويتنزل فى قطعه منزلة الخصى . (٩) حجازا : مانعا وحائلا . وفى العقد الفريد : « حجابا » . (١٠) نغض قلق وتحرك . وانتشر العصب : انتفخ . (١١) كذا فى العقد الفريد، والذنين والذنان : المخاط الرقيق يسيل من الأنف، وفى الأصل : «دنين أذن» .

من الزاد . فإن كنتَ تحبّ الحياة فهـذه سبيل الحيـاة ، و إن كنتَ تريد الموت فلا يُبعد الله إلّا مَنْ ظلم نفسَه .

وقال أبو نَهْشَل[1] : كانت لى آبنـة تجلس معى على المـائدة فتُبرِز كفًّا كأنهـا طَلْعة، فى ذراع كأنه جُمّارة، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خَصّتنى بها، فزوّجتها وصرت أُجلِس معى على المـائدة آبنـا لى فيُبرِز كفًّا كأنها كِرْنافة[2]، فى ذراع كأنه كَرَبة، فوالله ما إن تسبق عينى الى لُقْمة طيّبة إلّا سبقتْ يدُه اليها .

وقال بعضهم : غلَبتْ بِطْنتى فِطْنتى .

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكّم الحكمان: أكثروا الطعام، فوالله ما بَطِن[3] قومٌ قطّ إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عَزْمَةُ رجل بات بطينا .

وكان يقال : أقلِل طعامًا تحمَد مناما .

الأصمعىّ قال : كان يقال : ليس لشبعة خير من جوعة تحفزها .

دعا عبد الملك بن مروان الى الغداء رجلا فقال: ما فىَّ فضل؛ فقال عبدالملك: ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل! فقال : يا أمير المؤمنين، عندى مستزاد، ولكن أكره أن أصير الى الحال التى آستقبحها أميرُ المؤمنين .

وقال لشيخ : ما أحسن أكلك؟ قال : عملى منـذ ستين سنة .

وقال الحسن : إنّ آبن آدم أسير الجوع، صريع الشبع .

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة[4] فقال : هل آتّخمتَ قطّ ؟ قال لا ؛ قال : وكيف ذاك؟ قال : لأنا اذا طَبَخنا أنضجنا، و إذا مَضَغنا دقّقنا، ولا نكُظّ[5] المعدة ولا نُخْليها .

---

(١) نسب هذه الحكاية ابن خلكان (ج ١ ص ٤٥٦) لأبى الحسن . (٢) الكرنافة : واحدة الكرناف (بالكسر و بضم) وهو أصول الكرب التى تبقى فى جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) البطنة : الكظة وهى امتلاء البطن من الطعام، ومن أمثالهم : «البطنة تذهب الفطنة» . (٤) كذا فى الأصل. وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) «أبا المغور» وقد ورد هذا الاسم فى الطبرى (ص ٧٩١ ، ٨٣٧ من القسم الثانى طبع أوربا) هكذا : «أبا الزعيزعة» وفى ابن الأثير (ج ٤ ص ٢٤٩ طبع أوربا : «أبا الزعيرية» . (٥) كذا فى العقد الفريد، ولا نكظ المعدة : لا نملؤها . وفى الأصل : «لا نكب» .

وقال الأحنف : جنّبوا مجالسنا ذكر النســاء والطعام، فإنى أبغض الرجل أن يكون وصّافا لبطنه وفرجه، وإنّ من المروءة أن يترك الرجلُ الطعامَ وهو يشتهيه .

الأصمعىّ قال: بلغنى أنّ أقواما لبسوا المَطَارِفَ العتاق، والعمائم الرِّقاق، وأوسعوا دورَهم، وضيّقوا قبورهم، وأسمنوا دوابّهم، وهزّلوا دينهم، طعامُ أحدهم غصب، وخادمه سُخْـرة، يتّكئ على شمـاله، ويأكل من غير ماله، حتى اذا أدركته الكِظّة قال : يا جارية هاتى حاطوما[1]، ويلك! وهل تحطِم إلا دينك! أين مساكينُك! أين يتاماك! أين ما أمرك الله به! أين أين ! .

قال بعض الحكماء: مدارُ صلاح الأمور فى أربع : الطعام لا يؤكل إلّا على شَهْوة، والمرأة لاتنظر إلا الى زوجها، والملك لا يُصلحه إلا الطاعة، والرعيّة لا يُصلحها إلا العدل.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أكل مِن سَقَط المـائدة عاش فى سَعَةٍ وعُوفِىَ فى ولده وولد ولده من الحُمْق" .

وقيل لأعرابىّ : أتُحسِنُ أن تأكلَ الرأس؟ قال: نعم، أَبْخَصُ[2] عينيه، وأسحى[3] خدّيه، وأفُكّ لَحْيَيه، وأرمِى بالدماغ الى مَنْ هو أحوج منّى اليه . وكانوا يكرهون أكل الدماغ، ولذلك يقول قائلهم : أنا من قبيلة تُبقِى المخّ فى الجماجم[4] .

دِعْبِل قال: يا بُنَىّ، لا تأكل أَلْيَة الشاة لأنها طَبَقُ الإست وقريبٌ من الجواعر[5].

قال بعض الشعراء :

اذا لم أرَى إلّا لآكُلَ أكْلَةً * فلا رَفَعَتْ يُمْنَى يدىَّ طعامى
فما أكلةٌ إنْ نِلْتُها بغنيمةٍ * ولا جَوْعةٌ إن جُعْتُها بغرامِ

(١) الحاطوم : الهاضوم، وهو كل دواء يهضم الطعام . (٢) بخص عينه : أغارها .
(٣) يقال : سحيته أسحاه إذا قشرته . (٤) ومنه قول الشاعر :

ولا يسرق الكلب السروق نعالنا * ولا ننتقى المخ الذى بالجماجم

وفسره صاحب اللسان فقال : إنه يمدح قوما بأنهـم لا يلبسون من النعال الا المدبوغة والكلب لا يأكلها وبأنهم لا يستخرجون ما فى الجماجم لأن العرب تعير بأكل الدماغ كأنه عندهم شَرَهٌ ونَهَم .
(٥) الجواعر : جمع جاعرة وهى الدبر .

عبد الملك بن عُمَير عن عمه عن الأصمعىّ قال : لا تخرج يا بُنَىّ من منزلك حتى تأخذ حِلْمك[1] ، يعنى حتى تتغدّى . وقال هلال بن جُشَم[2] :

وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيك مَلْؤُهُ * ويكفيك سَوءات الأمور آجتنابُها

وقرأت فى الآيين[3] : أن رجلا من خدم دار المملكة أوصى آبنه فقال : إذا أكلتَ فضمّ شَفَتيك، ولا تلتفتنّ يمينا وشمالا . ولا تتخذنّ خِلالك قَصَبا . ولا تَلْقَمنّ بسكّين أبدا، وإذا كان فى يدك سكّين وأردتَ آلتقاما فضَعْها على مائدتك ثم آلتقِم . ولا تجلس فوق مَن هو أسنّ منك وأرفعُ منزلة . ولا تَتخلّل بعود آس . ولا تمسح بثيابِ بَدَنِك . ولا تُرِق ماء وأنت قائم . ولا تحفِر أرضا بأظفارك . ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فتلْعَن ، ولا تسترح على أُسْكُفّة[4] فتُجَهّل ، ولا تَستَنْج بمَدَر[5] فيورثَك البواسير، ولا تَمتَخِط حيث يُسمَع آمتخاطك، ولا تبصُق فى الأماكن المنظّفة .

وأجلس معاوية[6] على مائدته رجلا يؤاكله، فأبصر فى لقمته شَعرة، فقال : خُذ الشعرة من لقمتك؛ فقال له الرجل : وإنك لتراعينى مُراعاة مَنْ يُبصر الشعرة فى لُقْمتى ! والله لا أكلتُ معك أبدا ! ثم خرج الأعرابىّ وهو يقول :

ولَلْموتُ خيرٌ من زيارة باخلٍ * يُلاحِظُ أطرافَ الأَكِيلِ على عَمْدِ

وكان سعيد بن جُبير إذا فرغ من طعامه قال : اللهمّ أشبعتَ وأرويتَ فهنّئنا، وأكثرت وأطبتَ فزدنا .

(١) الحلم : العقل، وفسر أخذ الحلم بالغذاء لأن الشبع قوام العقل . وفى الأصل : «جلمك بالجيم» .
(٢) تقدّم هذا البيت فى باب القناعة والاستعفاف (ص ١٨٤ من هذا المجلد) ضمن أبيات منسوبة لبشار بن بشر . وفى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٦) وكتاب الحيوان له أيضا (ج ١ ص ١٩٣) نسبت هذه الأبيات نفسها الى هلال بن خثعم . (٣) فى تعليقات كتاب التاج للجاحظ (ص ١٩ طبع بولاق) : الآيين : كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها، ومعناها القانون والعادة . (٤) الأسكفة : عتبة الباب . (٥) المدر : التراب المتلبد . (٦) كذا فى الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ٧٤) . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : «هشام بن عبد الملك» .

الجـــوع والصـــوم

قِيل لبعض الحكماء : أىّ الطعامِ أطيبُ ؟ قال : الجوعُ أعلم .

وكان يقال : نِعمَ الإدامُ الجوعُ ، ما ألقيتَ اليه قَبِلَه .

قال لُقمان لابنه : يابنىّ ، كُلْ أطيبَ الطعامِ ، ونَمْ على أوطأ الفِراش . يقول :
٥ أكثِر الصيام ، وأطِل بالليل القيام .

اشتاق أعرابىّ بالبصرة الى البادية فقال :

أقول بالمِصر لمّا ساءنِى شِبَعِى * ألا سبيلَ إلى أرضٍ بها جُوعُ
ألا سبيلَ الى أرضٍ بها عَرَسٌ(١) * جُوعٌ يُصَدِّعُ منه الرأسُ بُرقوعُ(٢)

وقال آخر :

١٠ وعادةُ الجوعِ فاْعلَمْ عِصمةٌ وغِنًى(٣) * وقــد يزيدُك جُوعًا عادةُ الشِّبَـعِ

العُتبىّ(٤) قال : قلتُ لرجلٍ من أهل البادية : يا أخى ، إنى لأعجبُ من [أن] فقهاءكم أظرفُ من فقهائنا ، وعَوَامَّكم أظرفُ من عوامّنا ، ومجَانِينكم أظرفُ من مجانيننا ؛ قال : وما تدرِى لِمَ ذاك ؟ قلتُ لا ؛ قال : [من] الجوع ؛ ألا ترى أن العُود إنما صفا صوتُه لخلاءِ جوفه ! .

١٥ وقيل لبعض حكماء الرُّوم(٥) : أىُّ وقتٍ الطعامُ فيه أطيبُ وأفضلُ ؟ قال : أمّا لِمَنْ قَدَر فإذا جاع ، وأمّا لِمَن لم يَقدِر فإذا وَجَد .

---

(١) كذا بالأصـــل ، ولعله « غَرَثٌ » (بالغين المعجمة والثاء المثلثة) بمعنى الجوع ليناسب المقام .

(٢) جوع برقوع (بضم الباء وفتحها) : شديد ، ومثل البرقوع البركوع واليَرْقوع (بفتح الباء الموحدة وضمها فى الأوّل وفتح الياء المثناة فى الثانى) والخُنتور والخِيتار . (٣) فى الأصل : « وَعنا » .

٢٠ (٤) رويت هـــذه الحكاية فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) والزيادات المذكورة هنا عنه .

(٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « بزرجمهر » وهو من حكماء الفرس .

ونظر أعرابىّ الى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان، فقال: أمَا والله لئن أثرتموه لتُمسِكُنّ[1] منه بذُنَابَى عَيْشٍ أغبر.

وقيل لآخر: ألا تصومُ البِيضَ من شعبان! فقـال: بين يديها ثلاثون كأنها القَبَـاطِىّ[2].

وقيل لمدنىّ: بم تتسحّر الليلة؟ فقال: باليأس من فطور القابلة. ٥

الرِّياشىّ قال: قيل لأعرابىّ: اشرب، فقال: إنى لا أشرب على ثَمِيلة[3]. وقال:

إذا لم يكن قبـل النبيذ ثَرِيدةٌ * مُبَقَّـلَةٌ صـفراءُ شَحْمٌ جميعُها

فإنّ نبيذ الصِّرف إن كان وحدَه * على غير شىء أوجعَ الكِبْدَ جُوعُها

قدِمَ أعرابىّ على ٱبن عمٍّ له بالحَضَر، فأدركه شهرُ رمضان، فقيل له: أبا عمرٍو لقد أتاك شهرُ رمضان، قال: وما شهرُ رمضان؟ قالوا: الإمساك عن الطعام، ١٠ قال: أبالليلِ أم بالنهار؟ قالوا: لا، بل بالنهار، قال: أَفَيَرْضَوْنَ بدلا من الشهر؟ قالوا: لا، قال: فإن لم أَصُمْ فعلوا ماذا؟ قالوا: تُضرَب وتُحبَس، فصام أياما فلم يَصْبِر، فارتحل عنهم وجعل يقول:

يقول بنو عمّى وقد زُرتُ مِصْرَهم * تهيَّـأْ أبا عمـرٍو لشهرِ صيـامِ

فقلتُ لهم هاتوا جِرَابى ومِزْوَدِى * سـلامٌ عليكم فٱذهبُوا بسَـلامِ ١٥

فبادرتُ أرضًـا ليس فيها مُسَيطِرٌ * علىّ ولا مَنّـاعُ أكلِ طعَـامِ

(١) قد صححنا هذه الجملة عن الجزء الحادى عشر من كتاب تذكرة ٱبن حمدون (ص ١٥١) وقد وردت فى الأصل محرّفة هكذا: «لتمكن منه أذناى عيش أغبر». (٢) القباطىّ: ثياب بيض من كتان كانت تنسج بمصر، شبـه بها أيام رمضان. (٣) الثميلة: البقية القليلة من الطعام أو الشراب فى البطن.

وأدركَ أعرابيًّا شهرُ رمضانَ فلم يَصُمْ ؛ فعذَلَتْه آمرأتُه فى الصوم ، فزجرها وأنشأ يقول :

أتأمُرُنِى بآلصّوم لا دَرَّ دَرُّها * وفى القبرِ صومٌ يا أُمَيمَ طويلُ

دعا عبدُ الله بنُ الزبير الحسينَ فحضر وأصحابَه ، فأكلوا ولم يأكُلْ ؛ فقيل له : ألا تأكُلُ ! فقال : إنّى صائمٌ ، ولكن تُحفةَ الصائمِ ؛ قيل : وما هى؟ قال : الدُّهنُ والمِجْمَـــر .

أخبارٌ من أخبار الأكَلَة

الأصمعىّ قال : قال رجلٌ : أُحِبُّ أن أُرزَقَ ضِرْسًا طَحُونًا ، ومَعِدَةً هَضُومًا ، وسُرْمًا نَثُورًا[1] .

عن إسحاق بن عبد الله قال : سمعتُ أنسَ بن مالك يقول : رأيتُ عمرَ يُلْقَى اليه الصاعُ من التمر فيأكُله حتى حَشَفَه .

وقال بعضُ الشعراء :

همُّ الكريم كريمُ الفعلِ يفْعَلُه * وهمُّ سعدٍ بما يُلقِى الى المَعِدَهْ

وقيل لرجل رُئِى سمينا : ما أسمنك؟ قال : أكلِى الحارَّ، وشربى القارّ، وآتكائى[2] على شِمَالِى ، وأكلى من غير مالِى .

وقيـــل لآخرَ : ما أسمنك ؟ قال : قِلَّةُ الفكْرةِ ، وطُولُ الدَّعَةِ ، والنَّـــومُ على الكِظَّةِ[3] .

(١) كذا فى اللسان مادة (سرم) ، والسرم النثور : الكثير القذف للثفل من المعى . وفى الأصل : "وسرما مشاقا" . (٢) فى الأصل «وآتكالى» باللام . (٣) الكظة : شىء يعترى الانسان عند الامتلاء من الطعام .

قال الحجّاج للغضبان بن القبعثرى فى حبسه : ما أسمنك ؟ قال : القيدُ والدَّعةُ، ومَنْ كان فى ضيافةِ الأميرِ فقد سَمِنَ .

وقال آخرُ لرجل رآه سمينا : أرى عليكَ قطيفةً من نَسْجِ أضراسِك .

وقيل لآخرَ : إنك لحسَنُ الشَّحْمةِ ليِّنُ البَشَرة، فقال : آكُلُ لُبابَ البُرِّ بصغارِ المَعْز، وأدَّهِنُ بدُهنِ البَنفسج، وألبَسُ الكَتّانَ .

قيل لمَيْسَرةَ الأَكُولِ وأنا أسمعُ : كم تأكُلُ فى كلّ يومٍ ؟ قال : مِن مالى أو مِن مال غيرى؟ قالوا : مِن مالك، قال : دُونان[1]، قالوا : فمن مال غيرك؟ قال : أخبِز وأطْرَح .

والعرب تقول : «العاشيةُ تَهيجُ الآبيـةَ[2]» . يريدون أنّ الذى لا يَشتهِى أن يأكلَ، اذا نظر الى مَن يأكلُ هاجه ذلك على الأكل .

قال جريرٌ :

وبنـو الهُجَيم[3] سَخيفةٌ أحلامُهم * ثُطُّ[4] اللّحى مُتَشابِهُـو الألوانِ
لو يَسْـمَعُونَ بأكْلةٍ أوشَرْبةٍ * بعُمَانَ أصبح جمعُهـم بعُمَانِ
متأبِّطين[5] بَنيهِـمُ وبَنَاتِهِـم * صُعْرُ[6] الأنوف لِريحِ كلِّ دُخَانِ

(١) دونان : كلمة فارسية ومعناها رغيفان . وفى العقد الفريد : «مكوك» والمكوك : مكيال ذكرت فى مقداره عدّة أقوال .

(٢) العاشية : التى ترعى بالعشىّ من المواشى وغيرها . والآبية : التى لاتريد العشاء . أى اذا رأت الآبيةُ الإبلَ العواشى تبعتها فرعت معها .

(٣) فى الأصل : «وبنـو الهجين» بالنون وهو تحريف، والتصويب من القاموس وديوان جرير (النسـخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) . وروى هذا الشطر فى الديوان هكذا :
* إن الهجيم قبيلة مخسوسة *

(٤) ثط : جمع أثط، والأثط : قليل شعر اللحية .

(٥) فى الديوان : «متوركين» .

(٦) كذا فى الديوان، وصعر الأنوف : ميلها، من الصعر وهو الميل . وفى الأصل : «صعب الأنوف» وهو تحريف .

قعَــد رجلٌ على مائدة المُغيرة ، وكان منهُومًا ، وجعــل ينهَش ويتعرَّق ؛ فقال المغيرةُ : ناوِلُوه سِكّينًا ؛ فقال الرجل : كلُّ آمرئٍ سِكّينُه فى رأسه .

وقيل لأعرابىّ : مالكم تأكلون اللحم وتَدَعون الثريد؟ فقال : لأن اللحم ظاعِنٌ والثريدَ باقٍ .

٥ وقيل لآخر : ما تُسَمُّونَ المرَق ؟ قال : السَّخِينَ؛ قال : فإذا برَد ؟ قال : لا نَدَعُه يبرُد .

قال أبو اليَقْظَانِ : كانَ هِـلالُ بنُ أسـعرَ التَّميمىّ ، من بنى دارِم بن مازِن ، شديدا أكُولًا؛ يزعمون أنه أكل جمـلا إلا ما حَمَل على ظهره منـه . وأكلَ مرّةً فَصِيلًا ، وأكلَت آمرأتُه فصيلا ، فلما ضاجعَها لم يَصِل اليها ؛ فقالتْ : كيف تَصِلُ ١٠ إلىّ وبينَنا بعيرانِ ! .

الأصمعىّ قال : دعا عَبّادُ بنُ أخضر هلالَ بن أسعرَ إلى وليمةٍ ، فأكل مع الناس حتى فرَغُوا ، ثم أكل ثلاثَ جِفانٍ تُصـنَعُ كلُّ جَفنــةٍ لعشرةِ أنفسٍ ؛ فقال له : أشبِعْتَ ؟ قال لا ؛ فأتَوْه بكل خبزٍ فى البيت فلم يَشْبَعْ ، فبعثُـوا الى الجيرانِ ، فلمّا آختلفَتْ ألوانُ الخبزِ علم أنه قد أضرَّ بهم فأمسك ؛ فقالوا : هل لكَ فى تمرٍ شِهرِيزٍ (١) ١٥ ولبنٍ ؟ فأتَوْه به فأكلَ منه قَواصِرَ (٢) ؛ فقالوا له : أشبِعْتَ ؟ قال : لا ؛ قالوا : فهل لك فى السَّوِيقِ ؟ قال : نعم ؛ فأتَوْه بجرابٍ ضخمٍ مملوء ؛ فقال : هل عندكم نبيذٌ ؟ قالوا : نعم ؛ قال : أعنـدكم تَوْرٌ (٣) تغتسِلُونَ فيه من الجنابةِ ؟ فأُتِيَ به فغسَلَه وصبَّ السَّوِيقَ فيـه وصبَّ عليه النبيذَ ، فما زال يفعل ذلك حتى فَنِيَ .

(١) الشهريز (بكسر الشين المعجمة وقد تضم و بالسين المهملة أيضا) : ضرب من التمر ، وفيه وجهان ٢٠ الاتباع والاضافة . (٢) القواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء وتشديدها) : وعاء للتمر من قصب .
(٣) التور : إناء من نحاس أو حجر .

الشَّمَرْدَلُ وكيلُ آل عمرو بن العاص قال : قدِم سليمانُ بن عبد الملك الطائفَ وقد عُرِفَتْ شجاعتُه(١)، فدخل هو وعمرُ بن عبد العزيز [وأيوبُ ابنُه(٢) بستانًا لعمرو، قال : فجال في البستان ساعةً ثم قال] : ناهيكَ بمالِكُم هذا [مالًا(٢)] لولا جِرارٌ فيه! فقلت : يا أميرَ المؤمنين، إنها ليستْ بجرارٍ ولكنها جُرُبُ الزَّبيب، فجاء حتى ألقى صدرَه على غُصن، ثم قال : ويلكَ يا شمردلُ! أمَا عندك شيء تُطعِمُني؟ قلت : بلى والله! إن عندي لَجَدْيًا تغدُو عليه بقرةٌ وتروحُ أخرى، قال : اَعْجَلْ به، فأتيتُه به كأنه عُكّةٌ(٣)، وتشمّر فأكل ولم يَدَعْ آبنَه ولا عمرَ حتى أبقى فَخِذًا . فقال : يا أبا حفص هَلُمّ، قال : إنّي صائمٌ، ثم قال : ويلكَ يا شَمَردَلُ! أمَا عندك شيء؟ فقلت : بلى والله! دَجاجاتٌ ستٌّ كأنهنّ رِئلانُ(٤) النّعام، فأتيتُه بهنّ، فكان يأخذ رِجلَ الدجاجةِ حتى يُعرِى عظمَها ثم يُلقيها [بفيه(٢)] حتى أتى عليهنّ . ثم قال : ويلك! أمَا عندك شيء؟ فقلت : بلى والله! إن عندي لَحَريرةً(٥) كقُراضةِ الذّهب، فقال : اَعْجَلْ بها، فأتيتُه بعُسٍّ(٦) يَغيبُ فيه الرأسُ، فجعل يتلقّمها(٧) بيده ويشربُ، فلما فرغ تجشّأ كأنه صاحَ في جُبّ، ثم قال : ياغلامُ، أفرَغْتَ من غَدائنا؟ قال : نعم، قال : وما هو؟ قال : نَيِّفٌ وثمانونَ قِدرًا، قال : فأْتِني بها قِدرًا قِدرًا، فأتاه بها وبقِناعٍ(٨) عليه

(١) كذا بالأصل، وسياق الكلام يأباها، ولعلها محرفة عن كلمة تدل على معنى الجشع والنهم .
(٢) التكملة من العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٢) . (٣) العكة : وعاء السمن وهي أصغر من القربة . (٤) الرئلان : أولاد النعام، واحدها رأل . (٥) كذا في العقد الفريد، والحريرة : ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق يطبخ بلبن أو دسم، وفي الأصل «لنبيذة» . وفي المستطرف ونهاية الأرب (ج ٣ : ص ٣٥٣) «سويق» . (٦) العس (بالضم) : القدح الكبير .
(٧) يتلقمها من تلقم الشيء : أكله بسرعة . وفي العقد الفريد : «يقلعها بيده» . وفي الأصل : «يتلكمه» واللكم في كتب اللغة : الضرب باليد مجموعة، ولعل ما أثبتناه أنسب بالمقام . (٨) القناع (بالكسر) : إناء من عسب النخل يوضع فيه الطعام .

رُقاقٌ ، فأكثرُ ما أكل من قدرٍ ثلاثُ لُقمٍ وأقلُّ ما أكل لُقمةٌ ، ثم مسح يدَه وآستلقى على فراشه ، وأُذِن للناس ووُضِعت الخِوانات[1] فجعل يأكلُ مع الناس .

الخَطّابيّ عن الدَّيْرانيّ أنه قال : إني لأعرِفُ الطعامَ الذي يأكلُه سُليمانُ ، قال : لما آستُخلِفَ سُليمانُ قال لي : لا تَقطَعْ عنّي الطافةَ التي كنتَ تُلطِفني بها قبل أن أُستَخلَفَ ، فأتيته بزِنبيلَين أحدُهما بَيضٌ والآخرُ تِينٌ ، فقال : لَقِّمْنيه ، فجعلت أقشرُ البيضةَ وأقرِنُها بالتينةِ حتى أكلَ الزِّنبيلَين .

العُتْبيّ عن أبيه قال : كان عُبيد الله بن زِياد يأكل كلّ يوم أربعَ جَرادِقَ[2] أصبهانية وجُبْنًا قبل غَدائه .

وعن سَلْم بن قُتيبة قال : عَدَدْتُ للحجاج أربعًا وثمانينَ لُقمةً في كلّ لُقمةٍ رغيفٌ من خبزِ الماءِ[3] فيه مِلْءَ كفّه سمكٌ طريٌّ .

وكان لعبد الرحمن بن أبي بَكْرةَ آبنٌ أكولٌ ، فقال له [معاوية][4] : ما فعل آبنك التِّلْقامةُ[5]؟ قال : آعتلّ ، قال : مثلُه لا يَعدَم عِلّةً .

أكل أبو الأسود الدؤليّ وأقعدَ معه أعرابيًّا فرأى له لَقمًا مُنكَرًا ، فقال له : ما آسمُكَ؟ قال : لُقمانُ ، قال : صدق أهلُكَ ، إنك لُقمانُ .

وُلِدَ لآبن أبي ليلى غلامٌ فعَمِلَ الأخبِصَةَ للجيرانِ ، فلما أكلوا قام مُساوِرُ الورّاقُ فقال :

مَنْ لا يُدَسِّمْ بالثريد سِبالَنا[6] * بعد الثّريد فلا هَناهُ الفارِسُ

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٢) . وفي الأصل : « فوضعت الخوان » .
(٢) الجرادق جمع جردق ، والجردق والجردقة (بالدال المهملة) والجرذق (بالذال المعجمة) : الرغيف فارسية معربة .   (٣) كذا بالأصل .   (٤) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٦٥ طبع أوربا) وقد ذكرت فيه هذه الحكاية بأوضح مما في الأصل فراجعه .   (٥) التلقامة : العظيم اللقم .
(٦) والسبال : جمع سبلة وهي مجتمع الشاربين ومقدم اللحية .

وقال العُجَيْفُ[1] فى أُمِّه :

ياليتما أُمُّنا شالت نعامتُها * إمّا الى جنّة إمّا[2] الى نار
ليست بشبعى وإن أسكنتها هجرًا[3] * ولا بريًّا ولو حلّت بذى قار[4]
تلهّم الوسق مشدودًا أشظّتُه[5] * كأنما وجهها قد طُلِىَ[6] بالقار
خرقاءُ فى الخير لا تُهدَى لوجهته * وهى صَنَاعُ[7] الأذى فى الأهل والجار ٥

رأى أبو الحارث جُمَّيْن سلّة بين يدى رجل من الملوك، فقال له : جُعلتُ فداكَ، أىّ شىء فى تلك السلّة؟ فقال : بَظْرُ أُمّك، قال : فأعضّنى به .

قيل للحارثىّ : لم لا تؤاكل الناس؟ فقال : لو لم أترك مؤاكلتهم إلا لنزوعى عن الأسوارىّ[8] لتركتُها، ما ظنّكم برجل نهش بضعة لحم بقر[9] فانقلع ضرسه وهو لا يدرى . وكان اذا أكل ذهب عقلُه وجحظت[10] عيناه وسكر وسدِر[11] وتربّد[12] وجهه وغضب ولم ١٠ يسمع ولم يبصر، فلما رأيته وما يعتريه ويعترى الطعام منه صرتُ لا آذنُ له إلا ونحن نأكل الجوزَ والتمرَ والباقلّى، ولم يفجأنى قطّ وأنا آكل تمرًا الا استفّه سفًّا وزدا[13] به

(١) نسب هذا الشعر فى شرح ديوان الحماسة (طبعة أوربا ص ٨١٠) الى شخص اسمه «سعد» . ونسب فى شرح شواهد المغنى (٦٧ طبعة مصر) الى من اسمه سعد بن قرين سيار ويلقب بالنحيت الحدرى .

(٢) فى ديوان الحماسة واللسان والمغنى : «أيما الى جنة أيما الى نار» . (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر . (٤) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة . ١٥

(٥) كذا فى الحماسة، والأشظة : جمع شظاظ وهو خشبة عقفاء تدخل فى عروة الجوالق . وفى الأصل «أسربه» وهو تحريف . (٦) كذا فى ديوان الحماسة، وفى الأصل «مطلو بالقار» .

(٧) كذا فى شرح شواهد المغنى (ص ٦٧ طبع مصر)، وفى الأصل : «وفى اصطناع الأذى» . وهو تحريف .

(٨) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٢ طبعة أوربا) : « ... ... لو لم أترك مؤاكلة الناس وإطعامهم الا لسوء رعة على الأسوارى لتركته، وما ظنكم ... الخ ... » . ولعل الصواب : الا لشره على الأسوارى أو نحو ذلك . وفى الأصل هنا : «إلا لنزوعى عن الأسواق»، والظاهر أن كلمة «الأسواق» هنا محرفة عن «الأسوارى» وهو الشخص الذى يتحدث عنه فى هذا الحديث . ٢٠

(٩) فى كتاب البخلاء : «فنهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه» . (١٠) جحظت عينه : عظمت مقلتها ونتأت . (١١) سدر الرجل : تحير . (١٢) تربد وجهه : تغير . ٢٥

(١٣) زدا به : رمى به . وفى كتاب البخلاء «وذرا به ذروا» .

زَدْوًا، ولا وجده كَنيزًا[1] إلا وتناوَلَ القِطعةَ منه بجُمْجُمَةِ الشَّورِ كَدَمها كَدْمًا[2]، ونهشَها طُولًا وعرضًا، ورَفعًا وخَفضًا، حتى يأتيَ عليها، ثم لا يقعُ عَضُّه إلا على الأنصافِ والأثلاثِ، ولا رَمَى بنَواةٍ قطّ، ولا نزَع قِمعًا[3]، ولا نفَى عنه قشرًا، ولا فتّشه مخافةَ السوسِ والدود.

٥ وقال بعض الشعراء:

تَبِيتُ تُدَهْدِهُ[4] القِرّانَ[5] حَوْلى * كأنك عنـد رأسى عُقْرُبانُ

فلو أطعَمتَنى حَمَلًا سمينـًا * شكرتُك والطعـامُ له مكانُ

وقال بعض الأعراب:

وإنّ طعامًا ضمّ كفّى وكفَّها * لعمرُك عندى فى الحياةِ مباركُ

١٠ فمن أجلهـا أستوعبُ الزادَ كلَّه * ومن أجلها أهوِى يدى فأُدارِكُ

وقال آخر:

عريضُ البِطانِ[6] جديد الخوان * قـــريب المَراثِ[7] من المـــرتع

فنِصفُ النهـار لِكِرْياسِه[8] * ونِصفٌ لمـــأكله أجمـــع

الأصمعىّ قال: قيل لأعرابىّ: ما يُعجبك من هذا القَنْد[9]؟ قال: يُعجبنى

١٥ خَضْدُه وبَرْدُه. قال الأصمعىّ: الخضد: المضغ والأكل الشديد.

---

(١) الكنيز: التمر يجعل فى قواصر للشتاء. (٢) كدمه كدما: عضه بأدنى فيه.
(٣) القمع (بكسر ففتح وبالكسر): ما التصق بأسفل التمرة ونحوها حول علاقتها. (٤) تدهده: تدحرج. (٥) القرّان (كشدّاد): القارورة. (٦) كذا فى البيان والتبيين، وأصل البطان: حزام القتب الذى يجعل تحت بطن الدابة، ولعله يريد به كبر بطنه؛ وفى الأصـل: «الخوان».
٢٠ (٧) المراث بفتح الميم: مكان الروث. (٨) كذا فى البيان والتبيين. وفى الأصل «بترياسه» وهو تحريف، والكرياس: الكنيف الذى يكون مشرفا على سطح بقناة الى الأرض. (٩) القند: عسل قصب السكر اذا جمد. وقد ورد فى اللسان: «قيل لأعرابىّ — وكان معجبا بالقثاء —: ما يعجبك منه؟ قال: خضده».

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته : يا جارية ، أطعمينا جبنا ، فإنه يُشهّى الطعامَ ويَهيج المعدة ، وهو يُعدّ من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأعامِلك إنه والله ، ما علمتُ ، ليَقْدَح فى الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمّة .

كان يقال : اذا كثُرتِ المقْدِرة ، ذهبت الشهوة .

وقال بعض الظرفاء :

زرعنا فلما سلّم اللهُ زرعَنا * وأوفى عليه مِنجلٌ بحَصادِ
بُلينا بكوفىّ حليفِ مجاعةٍ * أضرّ علينا من دَبى(١) وجرادِ

عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "مَنْ دَخَل على غير دَعوة دخل سارقا وخرج مُغيرا ، ومن لم يُجب الدَّعوةَ فقد عصى الله ورسولَه".

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دُعى أحدُكم فجاءَ مع الرسولِ فإنّ ذلك له إذنٌ". وعن مجاهد : أن ابن عمر كان اذا دُعى الى طعام وهو صائم يجيب ، وكان يهيئ اللقمة بيده ثم يقول : كلوا باسم الله فإنى صائم . وعن أسماء بنت رُقَيد قالت : دخلنا على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأُتى بطعام فعرَض علينا فقلنا : لا نشتهيه ، فقال : "لا تجمَعْنَ كذِبًا وجوعًا" .

دعا رجل علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه الى طعام ، فقال : نأتيكَ على ألّا تتكلّف ما ليس عندك ، ولا تدّخر عنا ما عندك .

وكان يقول : شرّ الإخوان مَنْ تُكُلِّف له .

دعا رجل رجلا الى الغداء ثم قال له : هذه بِكر زيارة ولم نستعدد ، فلعل تقصيرا فيما أُحبّ بلوغَه ، فقال الآخر : حرصُك على كرامتى يكفيك مؤونةَ التكلّف .

(١) الدبى : الجراد قبل أن يطير .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : أتانى الزبيرُ(١) بن دَحْمانَ يوما فسألته أن يقيم عنـدى، فقال : قد أرسل إلىّ الفضـل بن الربيع وليس يمكننى التخلّف عنـه ؛ فقلت له :

أقم يا أبا العـــوّام ويحك نشربِ * ونلْهُ مع اللاهين يومًا ونَطــرَبِ
إذا ما رأيتَ اليـــوم قد جاء خيرُه * فخذه بشكر واتْرُكِ الفضلَ يَغضبِ

وقال بعض المحدَثين :

نحن قوم متى دُعِينا أجَبْنا * ومتى نُنْسَ يَدْعُنا التطفيل
ونَقُــلْ علّنا دُعِينا فغِبْنَـا * وأتانا فلم يجدنا الرســـول

كان طُفَيلُ العرائس الذى يُنسب اليه الطُّفَيليُّون يُوصى أصحابَه فيقول لأحدهم: إذا دخلتَ عُرسا فلا تَلتفتْ تلفُّتَ المُريب، وتخيّرِ المجالس، وأجِدْ ثيابك، واعمل على أنها العقدة التى تَشغَل . وإن [كان](٢) العرس كثير الزحام فمُرْ وانْهَ . ولا تنظر فى عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك من هؤلاء . وإن كان البــوّاب غليظا وَقاحًا فابدأْ به ومُرْه وانْهَه من غير أن تُعنِّف عليه، وعليك بكلامٍ بين النصيحة والإدلال .

عرض رجل على رقبةَ الغداءَ، فقال : إن أقسمتَ علىّ وإلّا فدعنى .

ومن أشعار الطُّفَيليّين :

دعوتُ نفسى حين لم تدعُنى * فالحمـــدُ لى لا لكَ فى الدّعوهْ
وقلتُ ذا أحسنُ من مَوعدٍ * إخلافُه(٣) يدعو إلى جَفْــوهْ

(١) كذا فى الأغانى (ج ٥ ص ٧٨ طبع بولاق)، وفى الأصــل : "يزيد بن دحمان" وهو تحريف . (٢) التكملة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٧) . (٣) كذا فى نهاية الأرب . وفى العقد الفريد : «مخلافه» . وفى الأصل : «أخلفه» .

وقال آخر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضَيفنٌ[1] * فأودَى بما تُقرى الضيوفُ الضَّيافِنُ

وقال إسحاق[2] بن إبراهيم الموصلىّ :

نعم الصديقُ[3] صديقٌ لا يكلّفنى * ذبحَ الدَّجاج ولا شَيَّ الفَراريج

يرضى بلونين من كَشْك ومن عدس * وإن تَشهَّى فزيتونٌ بطَسُّوج[4]

كان سعيد بن أسعد الأنصارى إمام الجامع بالبصرة طفيليّاً ، فإذا كانت وليمةٌ سبق الناسَ إليها ، فربما بسط معهم البُسُط وخدم . فقيل له فى ذلك فقال : إنى أبادر بردَ الماء ، وصفوَ القدور ، ونَشاطَ الخبّاز ، وخلاءَ المكان ، وغفلةَ الذِّبّان ، وجفافَ المنديل .

وقيل لبعض الطفيليّين : كم اثنان فى اثنين قال : أربعة أرغفةٍ .

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المِقدام أبى كريمة[5] أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أيَّما مسلم ضَافه[6] قومٌ فأصبحَ الضيفُ محروما كان له على كلّ مسلم نَصرُه حتى يأخذَ بِقِرَى ليلته من زرعِه ومالِه" .

(١) الضيفن : الطفيلىّ . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤١) : « وقال ابراهيم الموصلىّ فى طفيلىّ كان يصحبه » . (٣) فى العقد الفريد : « نعم النديم نديم الخ » . (٤) الطسوج : مقدار من الوزن مقداره حبتان من الدانق ، والدانق أربعة طساسيج . وأراد بالطسوج والدانق نسبتهما من الدرهم لا من الدينار لأن الدرهم ستة دوانيق وثمان وأربعون حبة فيكون طسوج الدرهم حبتين ودانقه ثمان حبات (راجع شرح القاموس) . (٥) هو المقدام بن معديكرب وكنيته أبو كريمة . وفى الأصل : « المقدام بن أبى كريمة » وهو خطأ . (٦) رواية الجامع الصغير : "أيما رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم الخ" .

روى آبنُ العَجْلانِ[1] عن أبيه قال : قال أبو هريرة : إذا نزلْتَ برجل ولم يَقْرِكَ فقاتِلْه . عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخيرُ أسرعُ[2] الى مُطعِم[3] الطّعام من الشّفْرةِ[4] فى سَنام البعير" .

داود قال : قلت للحسن : إنك تُنفق من هذه الأطعمة وتُكثر ، قال : ليس فى الطعام سَرَفٌ . وقال الثورىّ : ليس فى الطعام ولا فى النساء سرفٌ .

عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنّ مِنَ السُّنّةِ أن يَمشِيَ الرجلُ مع ضَيفهِ الى باب الدارِ" .

عن عبد الرحمن بن عباس قال : رأيت آبن عباس فى وليمة فأكل وألقى للخبّاز درهما .

الأصمعىّ قال : سُئِل أَقرَى أهل اليمامةِ للضيف : كيف ضبطتم القِرَى؟ قال : بأنا لا نتكلّفُ ما ليس عندنا .

عن بعض النُّسّاك قال : قد أعيانى أن أَنزِلَ على رجل يَعلمُ أنى لستُ آكل من رزقه شيئا .

---

(١) فى الأصل : « رؤبة بن العجاج » وهو تحريف ، اذ أن هذا العلم لم يرد إلا ضمن الشعراء ولم توجد له مناسبة بين رواة الحديث . ولعل ما أثبتناه أنسب ، لأنه ورد فى تهذيب التهذيب : أن العجلان روى عنه آبنه وروى هو عن أبى هريرة .

(٢) كذا فى الجامع الصغير والإنافة فيما جاء فى الصدقة والضيافة لابن حجر الهيتمى . وفى الأصل : «انحر واسرع» وهو تحريف .

(٣) فى الجامع الصغير : «الى البيت الذى يغشى» وفى الانافة : «الى البيت الذى يؤكل فيه» .

(٤) فى الأصل : « السفرة » بالسين المهملة وما أثبتناه عن الجامع الصغير . والشفرة (بالفتح) : السكين العظيمة العريضة .

عن عَوْن بن عبد الله قال : ضلّ رجلٌ صائمٌ في عام سنةٍ، فآبتُلِيَ برجل عند فطره وقد أُتى بقُرصينِ فألقى اليه أحدَهما، ثم قال : ما هذا بمُشبِعِه ولا بمُشبِعِي، ولأن يشبع واحد خير من أن يجوع آثنان، وألقى اليه الآخر. فلما أَوَى الى فراشه أتاه آت فقال : سَلْ؛ فقال : أسأل المغفرة؛ قال : قد فُعِل ذلك بك؛ قال : فإني أسأل أن يُغاثَ الناسُ .

عن الحسن : أنّ رجلا جَهَده الجوعُ، ففطِنَ له رجلٌ من الأعيان، فلمّا أمسى أتى به رحلَه[2]، فقال لآمرأته : هل لكِ أن نَطوِيَ ليلتَنا هذه لضيفنا ؟ قالت : نعم قال : فإذا قدّمتِ الطعام فادْنِي الى السراج كأنك تُصلحينه فأطفئيه، ففعلتْ وجاءتْ بثريدة كأنها قَطَاة فوضعتْها بين أيديهما، ثم دَنَتْ الى السراج كأنّها تُصلحه فأطفأته، فجعل الأنصاريّ يضع يده في القَصْعة ثم يرفعها خالية؛ فأُطلِع على ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما أصبح الأنصاريّ صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، فلما سلّم أقبل على الأنصاريّ وقال : "أنت صاحبُ الكلام الليلة"؛ ففزع الأنصاريّ وقال : أيّ كلامٍ يا رسول الله؟ قال : كذا وكذا : قوله لآمرأته؛ قال : كان ذاك يا رسول الله؛ قال : "فوالله لقد عجِب اللهُ من صُنعِكما الليلةَ" .

الأصمعيّ قال : كان عمر بن عبد العزيز اذا قدِم عليه بَرِيدٌ قال : هل رأيت في الناس العُرُسَات؟ يعني الخِصبَ للمسلمين .

وقيل لأعرابيّ كان في مجلس : فيم كنتم؟ قال : كنّا في قِدْر تفور، وكأسٍ تدور، وغِناء يصور[3]، وحديث لا يخور[4] .

---

(١) في الأصل : «صاعما» . (٢) رحله : منزله . (٣) يصور : يصوّت .

(٤) لا يخور : لا يضعف .

بلغني أن محمد [بن خالد] (١) بن يزيد بن معاوية كان نازلا بحلب على الهيثم بن يزيد التَّنُوخيّ (٢)، فبعث الى ضيف له من عُذْرة فقال: حَدِّثْ أبا عبد الله ما رأيتَ فى حاضرة المسلمين من أعاجيب الأعراس؛ قال: نعم، رأيتُ أمورا مُعْجِبة: منها أنى رأيت قرية عاصم (٣) ابن بكر الهلالىّ، فإذا أنا بدُورٍ متباينة، واذا أخصاصٌ مُنظَّمٌ بعضها الى بعض، واذا بها ناسٌ كثيرٌ مُقبِلون ومُدبِرون وعليهم ثياب حَكَوْا بها ألوانَ الزَّهْر، فقلت لنفسى: هذا أحد العيدين الأضحى أو الفِطر، ثم رجع إلىّ ما عَزَب عنّى من عقلى، فقلت: خرجت من أهلى فى عَقِبِ صَفَر (٤) وقد مضى العِيدان قبل ذلك؛ فبينما أنا واقفٌ ومُتعجِّب أتانى رجل فأخذ بيدى [فأدخلنى دارا قَوْراء (٥)] وأدخلنى بيتا قد نُجِّد فى وجهه فُرُش قد مُهِّدت وعليها شابٌّ ينال فروعُ شعره كَتِفَيْه، والنـاس حوله سِماطانِ (٦)؛ فقلت فى نفسى: هذا الأمير الذى يُحكى لنا جلوسُه وجلوس الناس حولَه، فقلت وأنا ماثلٌ بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فجـذب رجلٌ بيدى وقال: آجلس فإن هذا ليس بالأمير؛ فقلت: ومن هو؟ قال: عَرُوس؛ قلت: وَاثُكْلَ أُمّاه! رُبّ عروسٍ رأيتُ بالبـادية أهْونُ على أصحابه من هَنِ أمّـه؛ فلم أَلْبَث إذ دخلت الرجالُ عليها هَنَاتٌ مدوّراتٌ من خشب وقُضْبان، أمّا ما خَفّ فيُحْمَلُ حملًا، وأمّا ما ثَقُـل فيُدَحْرَج، فوُضعتْ أمامنا وتحلّق القوم حلَقا حلَقا، ثم أُتينـا بخِرَق بِيض

---

(١) التكملة عن كتاب الأغانى (ج ١٢ ص ٣٥ طبع بولاق)؛ وقد ورد فيه هذا الخبر بتوسع عما هنا وذكر اسم الأعرابى الذى رواه وأفرد له ترجمة خاصة، وهو ناهض بن ثومة بن نصيح وكان شاعرا بدويا فصيحا من شعراء الدولة العباسية. وذكر أنه كان بدويا جافيا كأنه من الوحش طيب الحديث، يقدم البصرة فيكتب عنـه شعره وتؤخذ عنـه اللغة، روى عنه الرياشىّ وأبو سراقة ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. وقد وردت فى الأصل كلمات محرفة صححناها عن الأغانى ونبهنا عليها فى مواضعها. (٢) فى الأغانى: «النخعى». وفى العقد الفريد: «الهيثم بن عدى». (٣) فى الأغانى: «فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبدالله الهلالىّ». وفى العقد الفريد: «قرية بكر بن عاصم الهلالى». (٤) فى الأغانى: «خرجت من أهلى فى بادية البصرة فى صفر». (٥) الزيادة عن الأغانى. وقوراء: واسعة. (٦) سماطان: صفان.

فألقيتُ بين أيدينا، فظننتها ثيابا (١) وهممت عندها أن أسأل القوم خِرَقًا أقطعُ منها قميصا، وذلك أنى رأيت نَسْجًا مُتلاحِكا (٢) لا تبين له سَدًى ولا لُحْمَة، فلما بسَط القومُ أيديهم إذا هو يتمزّق سريعًا وإذا هو [فيما زعموا] (٣) صِنفٌ من الخبز لا أعرفه. ثم أُتينا بطعامٍ كثيرٍ من حلوٍ وحامِضٍ وحارٍّ وبارد، فأكثرتُ منه وأنا لا أعرف ما فى عَقِبه من التُّخَم والبَشَم. ثم أُتينا بشرابٍ أحمر فى عِسَاس (٤)، فلما نظرت اليه قلت: لا حاجة لى فيه، أخاف أن يقتلنى. وكان فى جانبى رجلٌ ناصحٌ لى — أحسن الله جزاءَه — كان ينصح لى من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابىّ، إنك قد أكثرتَ من الطّعام، وإن شربتَ الماء آنتفخ بطنُك — فلما ذكر البطن تذكرتُ شيئا كان أوصانى به [أبى و] (٣) الأشياخ [من أهلى] (٣): قالوا: لا تزال حيًّا ما دام شديدا (يعنى البطن) فإذا آختلف فاوصِ — فلم أزل أتداوى به ولا أَمَلّ من شربه، فتداخلنى — نالك الخير — صَلَف (٥) لا أعرفه [من نفسى، وبكاء لا أعرف سببه ولا عهدَ لى بمثله، وآقتدارٌ على أمرٍ أظن معه أنى لو أردت نيلَ السقف لبلغتُه ولو شاوَتُ الأسد لقتلتُه، وجعلتُ ألتفت الى الرجل الناصح لى فتحدّثنى نفسى] (٦) بِهَتْم أسنانه وهَشْم أنفه، وأَهُمّ أحيانًا بان أقول له: يابن الزانية؛ فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعةٌ:

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «فألقيت عليها فهممت الخ». (٢) متلاحكا: متداخلا بعضه فى بعض تداخلا شديدا. (٣) زيادة عن كتاب الأغانى. (٤) كذا فى العقد الفريد (ج٢ ص١٢٦)، والعساس: جمع عُس بالضم وهو القدح الكبير. وفى الأصل: «عساف»، والعسف: القدح الضخم، ولم يرد هذا الجمع فى كتب اللغة والوارد فيها عسوف. (٥) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «خلف» وهو تحريف. (٦) العبارة المحصورة ما بين المربعين وردت فى الأغانى. وفى الأصل: «لا أعرفه وبق فى نفسى لا عهد لى به وأشكل علىّ أمرى، وكان الى جانبى الرجل الناصح لى، فجعلت نفسى تحدّثنى الخ».

أحدهم قد علّق فى عنقه جعبة فارسية مُشنّجة[1] الطرفين دقيقة الوسط قد شُبِحت[2] بالخيوط شبْحا منكرا، وقد أُلبستْ قطعة فرْو كأنهم يخافون عليها القُرّ . ثم بدر الثانى فاستخرج من كُمّه هنة [سوداء][3] كفيشلة الحمار فوضع طرفها فى فيه فضرّط فيها فاستتمّ بها أمرُهم، ثم حسَب[4] على جحَرة فيها فاستخرج منها صوتا ملائما مشاكلا بعضه بعضا [كأنه — علم الله — ينطق][3]. ثم بدر الثالثُ عليه قميص وسِخ وقد غرّق شعره بالدُّهْن معه مرآتان فجعل يمْرِى إحداهما على الأخرى مرْيا. ثم بدر الرابع عليه قميصٌ قصير وسراويلُ قصير وخُفّان أجذمان لاساقينِ لهما، فجعل يقفِز كأنه يثِب على ظهور العقارب، ثم التبط بالأرض، فقلت: معتوه وربِّ الكعبة! ثم ما برِح مكانه حتى كان أغبطَ القومِ عندى، ورأيت الناس يحذِفونه بالدراهم حذْفا منكرا. ثم أرسلت الينا النساءُ أن أمتِعونا من لهوكم، فبعثوا بهم إليهن وبقيت الأصوات تدور فى آذاننا. وكان معنا فى البيت شابٌّ لا آبَهُ له، فعلَت الأصواتُ له بالدعاء، فخرج فجاء بخشبة عينُها فى صدرها فيها خُوَيْطاتٌ أربعة، فاستخرج من جنبها عُودا فوضعه على أُذنه، ثم زمّ الخيوطَ الظاهرةَ، فلما أحكمها وعرَك آذانها حرّكها بجَسّة فى يده، فنطقتْ وربِّ الكعبة! وإذا هى أحسنُ قَيْنة[5] رأيتها قطّ، [وغنّى عليها][3] فاستخفّنى

(١) التشنج: التقبض، وفى الأغانى: «مسنجة» بالسين المهملة، ومعناه: مخططة، وكلا المعنيين هنا غير واضح، وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦): مفتحة الطرفين. ولعل صواب الكلمة «منتفخة الطرفين» لوضوح المعنى بها وليطابق وصف الوسط بالدقة. والظاهر أن الأعرابىّ يصف بهذا الوصف الآلة المعروفة عندنا الآن بالكمنجا. (٢) كذا فى الأغانى. وشبحت: شدّت. وفى الأصل: «قد سبحت بالخيوط سبحا منكرا». وفى العقد الفريد: «شبكت». (٣) زيادة فى الأغانى.

(٤) يريد: حرك أصابعه على ثقوب هذه الهنة، وهى المزمار، كما يصنع الحاسب حين يعد بأصابعه. وعبارة الأغانى: «ثم حرك أصابعه ... الخ». (٥) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «قشة» وهو تحريف.

فى مجلسى حتى قمتُ فجلستُ بين يديه ، فقلت : بأبى أنت وأمّى ! ما هذه الدابّة(1)؟ [فلستُ(2) أعرفها] للأعراب وما خلقتْ إلا حديثا ! فقال : يا أعرابىّ ، هذا البَرْبط الذى سمعتَ به ؛ فقلت : بأبى أنت وأمى ! فما هذا الخيط الأسفل(3)؟ قال : زير ؛ قلت : فما الذى يليه ؟ قال : مَثْنى ؛ قلت : فالثالث؟ قال : المَثْلث ؛ قلت : فالرابع؟ قال : البَمّ ؛ قلت : آمنتُ بالله أوّلا وبالبمّ ثانيا .

وقال الخُرَيمىّ :

أُضاحِكُ ضَيْفى قبل إنزالِ رَحْلِهِ * ويُخْصِبُ عندى والمَحَلّ جَديبُ
وما الخِصْبُ للأَضْيافِ أن يَكْثُر القِرَى * ولكنّما وجهُ الكريم خَصِيبُ

وقال أَرْطاة بن سُهيّة :

وإنّى لَقوّامٌ الى الضيف مَوْهِنًا * اذا أَغدف السِّتْرَ البخيلُ المُواكِلُ(4)
دعا فأجابتْه كلابٌ كثيرةٌ * على ثقةٍ مِنّى بما أنا فاعِلُ
وما دُون ضَيْفى من تِلادٍ تَحُوزُهُ * لِيَ النفسُ إلا أن تُصانَ الحلائلُ

آخر(5) :

إذا نزل الأضيافُ كان عَذَوّرًا(6) * على الأهلِ حتى تَسْتقِلّ مَراجِلُهْ

يقول : يُسَوِّئُ خُلقه حتى يُطعِم أضيافَه ، لإعجاله إياهم ولخوف تقصيرٍ يكون منهم .

(1) كذا فى الأغانى . وفى الأصل « الداهية » . (2) زيادة عن كتاب الأغانى .
(3) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « فما هذه الخيوط السفلى » . (4) المواكل : العاجز الذى يكل أمره الى غيره ويتكل عليه . (5) الشعر لزينب بنت الطثرية ترثى أخاها يزيد وقيل إنه لغيرها . (راجع الشعر فى الأغانى ج ٧ ص ١٢٣) . (6) العذوّر : السيئ الخلق القليل الصبر فيما يريده ويهم به .

وقال دِعْبِل[1] :

وإنّى لعبدُ الضيفِ من غيرِ ذِلّةٍ * وما فىّ إلا تلك من شيمةِ العبـيد

وقال آخر[2] :

لحَافِى لحافُ الضَّيف والبيتُ بيتُه * ولم يُلْهِنِى عنـــه الغزالُ المُقَنَّـــع[3]

أُحَدِّثُه، إن الحـــديث من القِرَى * وتعـــلمُ نفسى أنه ســـوف يَهْجَعْ

وقال الفرزدق فى العُذافِر :

لَعَمْرُكَ ما الأرزاقُ يومَ اكتيالهـا[4] * بأكثرَ خيرًا من خِوَانِ عُذَافِرِ

ولو ضافَه الدَّجّال يلتمِسُ القِرَى * وحَلَّ على خَبّـازه بالعساكـر

بعِدّةِ يأجوجٍ ومأجوجَ كُلِّهـــم * لأشـــبعهم يومًا غَدَاءُ[5] العُـــذَافِرِ

وقال مِسْكِين الدارِمىّ :

نارِى ونارُ الجارِ واحدةٌ * وإليهِ قَبْـــلِى تُنْزَلُ القِدْرُ

ما ضَرَّ جارًا لى أُجاوِرُهُ * ألّا يكونَ لبابِه سِـــتْرُ

ضاف رجلٌ من كَلْب أبا الرَّمْكاء الكلبىّ، ومع الرجلِ فَضْـلة من حِنْطة، فراحَتْ مِعْزَى [أبى] الرَّمْكاء، فحَلَبَ وشَرِب، ثم حلب وسَقَى ٱبنَه، ثم حاب وسَقَى

(١) ذكر أبو الفرج فى الأغانى هذا البيت ضمن أبيات منسوبة الى قيس بن عاصم المنقرىّ (انظر الأغانى فى ترجمته ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق)؛ وكذلك رواه المبرد فى الكامل له أيضا (ص ٣٣٤ — ٣٣٥ طبع أوربا) وقد رواه :

وإنى لعبد الضيف ما دام ثاويا * وما من خلالى غيرها شيمة العبد

وفى شرح الحماسة (ص ٥٢٥) أنه للمقنع الكندى من أبيات مفتوحة الروىّ . (٢) هو عتبة بن بجير وقيل مسكين الدارمى، انظر شرح أشعار الحماسة (ص ٧٥٠ طبع أوربا) وص ٢٢٣ من المجلد الثانى من هذا الكتاب . (٣) يريد بالغزال المقنع امرأته . (٤) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٩ طبع أوربا) . وفى الأصل : «حين اتكالنا» . (٥) فى كتاب البخلاء «شهرا» .

امرأته؛ فقال الرجل : ألّا تسقُون ضيفكم ؟ فقال أبو الرِّمْكاء : ما فيها فضل ؛ فاستخرج الرجلُ ما في عِكْمِه[1] من طعام وقال : هل من رَحًى؟ فأسرعوا بها نحوه ، فطحَنَ وعجَنَ وأوقد خبزتَه وأخرجها فنَفَضها[2]، فاذا رسول أبي الرمكاء يقول : يقول لك أبو الرمكاء : لا عهدَ لنا بالخبز؛ فقال الرجل : ما فيها فضل ، ثم أكل وارتحل، وقال :

بات أبو الرمكاء لم يَسْقِ ضيفَه * من المَحْضِ ما يَطْوِى عليه فيَرْقُدُ

فقمتُ الى حنّانةٍ فوق أختها * ونارٍ وباتتْ وهى تورَى وتوقَد

فلما نفضتُ الخبزَ بالعودِ أقبلت * رسائل تشكو[3] الجوع والحىُّ سُهَّدُ

وقال أبو الرمكاء بالخبز عهدُه * قديمٌ له حولٌ كريبٌ[4] مُطَرَّد

فقلت ألَا لافضلَ فيها لباخلٍ * ولا مَطْمعٌ حتى يلوح لنا الغدُ

فبات أبو الرمكاء من فَرْطِ ريحها * يئنّ كما أنّ السليمُ المُسَهَّدُ

ذكر أعرابىّ قوما فقال : ألغَوْا من الصلاة الأذانَ، مخافة أن تسمعه الآذان، فيَهُلّ عليهم الضِّيفان .

وقال بعضهم فى ذلك :

أقاموا الدَّيْدَبانَ على يَفَاعٍ * وقالوا لا تَنَمْ للدَّيدَبانِ

فإنْ أبصرتَ شخصًا من بعيدٍ * فصَفِّقْ بالبنان على البنانِ

تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرْسًا * يُصَلُّون الصلاةَ بلا أذانِ

(١) العكم : ما يبسط من الثياب ويحمل فيه المتاع . (٢) فى الأصل : « قال » .
(٣) فى الأصل : « تشكى » . (٤) كريب : مكروب اشتد عليه الغم .

وقال زياد الأعجم :

وتَكْعَمُ[1] كلبَ الحىّ من خَشْيةِ القِرَى * وقِـدْرُكَ[2] كالعَذْراء من دونهـا سِتْرُ

وقال آخر :

وإنّى لَأجفو الضيفَ من غير عُسْرةٍ * مخـافةَ أن يَضْرَى[3] بنـا فيعودُ

وقال آخر :

أعددتُ للضِّيفان كلبا ضاريًا * عندى وفضلَ هِرَاوةٍ من أرزَنِ[4]

ومَعَاذِرًا كَذِبًا ووجهًا باسرًا * مُتَشَكِّيًا عَضَّ الزمانِ الألزَنِ[5]

رأى رجلٌ الحُطَيْئةَ وبيده عصا، فقال : ما هذه ؟ قال : عَجْراء من سَلَم ، قال : إنى ضيف، قال : لِلضِّيفان أعددتُها .

وقال آخر[6] :

وأُبغِضُ[7] الضيفَ ما بى جُلُّ مأكلِه * إلّا تَنَفُّخَه حـولِى إذا قَعَـدَا

ما زال ينفُـخ جَنْبَيه[8] وحَبْـوتَه * حتى أقولَ لعلّ الضـيفَ قد وَلَدا

وقال حُمَيْدٌ الأرقطُ يذكر ضيفًا :

إذا ما أتانا واردُ المصرِ مُرمِلًا[9] * تأوّبَ[10] نارِى أصفرُ[11] العقل قافلُ[12]

فقلتُ لعبـدىّ اعجَلَا بعَشَـائه * وخيرُ عَشاءِ الضيفِ ما هو عاجلُ

(١) كعم الكلب : شدّ فاه بالكعام لئلا ينبح فينبه الأضياف . (٢) فى اللسان : «ونارك» . (٣) يضرى بنا : يولع بنا ويعتاد . (٤) الأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصىّ . (٥) الزمان الألزن : الشديد الكلب . (٦) هو حميد الأرقط كما فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) . (٧) رواه فى العقـد : « لا أبغض » . (٨) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصـل « ينفخ كتفيه » . (٩) المرمل : الذى نفد زاده . (١٠) تأوب : جاء أوّل الليل ويقال : تأوّبه وتأيبه على المعاقبة إذا أتاه ليلا . (١١) كذا فى الأصل . (١٢) القافل : اليابس الجلد وقيل : اليابس اليد .

فقال وقد ألقى المَرَاسِىَ للقِرَى * أبِنْ لِى ما الحجّاج بالناس فاعل
فقلت لَعَمْرِى ما لهذا طَرَقْتَنا * فكُلْ ودَعِ الأخبارَ ما أنت آكل
تُجَهِّز كفّاه فيَحْــدُرُ حَلْقُه * إلى الزَّورِ ما ضُمَّتْ عليه الأناملُ (١)
أتانا ولم يَعْــدِلْه سَحْبانُ وائلٍ (٢) * بيانًا وعلمًــا بالذى هو قائــلُ
فمــا زال منــه اللَّقْمُ حتى كأنه * من العِىّ لمــا أن تَكَلَّمَ باقــلُ (٣)

وقال أيضا فى نحو ذلك :

ومُرمِلين على الأقتــاب بزّهم * حقــائب وعبــاءٌ فيــه بعرين (٤)
مقدّمين أنوفًا فى عصائبهم * هُجْنًا، ألَا جُدِعَتْ تلك العرانينُ
يُسَطِّرون لنا الأخبارَ إذ نزلوا * وكلُّ ما ســطّروا لِلَّقمِ تمكينُ
باتوا وجُلتنــا الصهبــاءُ (٥) بينهمُ * كأنّ أظفارَهم فيهــا سكاكينُ
فأصبحوا والنَّوَى عالى مُعَرَّسِهِم (٦) * وليس كُلَّ النوى تُلقى المساكينُ

---

(١) فى الأصل : «إليه» ، وورد هذا البيت فى اللسان مادّة « بقل » :

تدبِّل كفاه ويحــدر حلقه * الى البطن ماضمت عليه الأنامل

وقال : التدبيل : تعظيم اللقمة عند الأكل . (٢) سحبان : اسم رجل من ربيعة من بنى بكر بن وائل ، كان لسنا بليغا يضرب به المثل فى البيان والفصاحة . (٣) باقل : اسم رجل من ربيعة يضرب به المثل فى العىّ . قال الليث : بلغ من عىّ باقل أنه كان اشــترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فقيل له : بكم اشتريت الظبى ؟ ففتح كفيه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه — يشير بذلك الى أحد عشر — فانفلت الظبى وذهب ؛ فضربوا به المثل فى العىّ . (٤) كذا بالأصل . (٥) كذا فى كتاب سيبويه (ج ١ ص ٣٥ طبع بولاق) . والجلة : قفة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه ، فلذلك وصفها بالصهبة . وفى الأصل : « باتوا وحلتنا السهرين بينهم » . ولعله محرّف عن : * باتوا وجلتنا السهريز بينهم * والسهريز (بالسين المهملة والشين المعجمة) : ضرب من التمر . (٦) يعنى لمــا أصبحوا ظهر على معرسهم — وهو موضع نزولهم آخر الليل — نوى التمر وعلاه لكثرته ، على أنهم لحاجتهم لم يلقوا الا بعضه ؛ وهذا إشارة الى كثرة ما قدمه لهم منه وكثرة أكلهم له .

وقال أيضا فى نحو ذلك :

وعاوٍ عَوَى والليلُ مُستحلِسُ النَّدَى * وقد ضَجَعتْ للغَوْرِ تاليةُ النجم (١)

فسلَّمَ تسليمَ الصَّديقِ ولم يكنْ * صديقًا لنا إلا ليأنَسَ باللَّقِمِ (٢)

فقلت له والنارُ تأخذ صدرَه * لَقَمتَ لِسَمْتٍ أم سَرَيْتَ على علم (٣)

٥ وقال بعض الرُّجّاز :

بَرَّحَ بالعينين خَطَّابُ الكُثَبْ (٤) * يقول إنِّى خاطبٌ وقد كَذَبْ

* وإنما يَطلبُ عُسًّا مِنْ حَلَبْ *

وقال آخر :

إنى لمثلكمُ من سوء فعلكمُ * إن زرتكم أبدًا إلَّا معى زادِى

١٠ وقال حمَّاد عَجْرَد :

حُرَيْثٌ أبو الصَّلت ذُو خِبْرةٍ * بما يُصلِحُ المِعْدَةَ الفاسدهْ

تخوَّفَ تُخْمةَ أضيافِه * فَعَوَّدهم أكلةً واحدهْ

عن قَتَادة قال : قال زيادٌ لغَيلان بن خَرَشَة : أُحِبُّ أن تُحَدِّثنى عن العرب وجُهْدِها وضَنْكِ عيشها، لِنَحْمَدَ الله على النِّعمة التى أصبحنا بها؛ فقال غَيْلان : حدّثنى

---

١٥ (١) مستحلس الندى متراكبه يعلو بعضه بعضا لكثرته . وضجعت للغور : مالت للغيب . وتالية النجم : إحدى تاليات النجوم وهى أواخرها . (٢) فى الأصل : «التأيس» وما أثبتناه هو المناسب للسياق . (٣) السمت : السير على الطريق بالظن، وقيل هو السير بالحدس والظن على غير طريق . (٤) خطاب : كثير التصرف فى الخطبة . والكثب : جمع كثبة (بالضم)، والكثبة من الماء واللبن : القليل منه؛ يعنى أن الرجل يجىء بعلة الخطبة وإنما يريد القرى . قال ابن
٢٠ الأعرابى : يقال للرجل إذا جاء يطلب القرى بعلة الخطبة : إنه ليخطب كثبة . وفى الأصل «حطاب» بالحاء المهملة وهو تحريف . والعس (بالضم) : القدح الكبير، وفى الأصل : «وقسا من حلب» وهو تحريف (انظر اللسان مادتى خطب وكثب) .

عمى قال : توالتْ على العرب سِنُونَ تسعٌ فى الجاهلية حَطَمتْ كلّ شىء، فخرجتُ على بَكْرٍ لى فى العرب، فمكثتُ سبعًا لا أطعَمُ شيئا إلا ما ينــال منه بعيرى أو من حَشَراتِ الأرض، حتى دَفَعتُ فى اليوم السابع إلى حِواءٍ عظيم (١)، فإذا بيتٌ جَحِش (٢) عن الحىّ، فملتُ اليه فخرجتْ الىّ امرأة طُوَالةٌ حُسّانة (٣)، فقالت : من؟ قلت : طارق ليلٍ يلتمس القِرى، فقالت : لو كان عندنا شىء لآثرناك به، والدّالُّ على الخير كفاعله، حِسَّ (٤) هذه البيوتَ ثم آنظُرْ الى أعظمِها، فإن يك فى شىءٍ منها خيرٌ ففيه، ففعلتُ حتى دَفَعتُ اليه، فرحّب بى صاحبُه وقال : من؟ قلتُ : طارقُ ليلٍ يلتمسُ القِرَى، فقال : يافلانُ، فأجابه، فقال : هل عندك طعامٌ؟ فقال لا، فوالله ما وَقَر فى أذنى شىء كان أشدّ منه . قال : فهل عندك شراب؟ قال لا، ثم تأوّه فقال : بلى! قد بَقَّينا فى ضَرْع الفلانة (٥) شيئا لطارقٍ إن طَرَقك، قال : فأت به، فأتى العَطَن (٦) فابتعثها . فحدّثنى عمّى أنه شهد فتح أصبهانَ وتُسْتَرَ ومِهْرَجان وكُوَرَ الأهواز وفارسَ وجاهَه عنـد السلطان وكثرة ماله وولده، قال : فما سمعتُ شيئا قطُّ كان أشدّ من شَخْب تلك الناقة فى تلك العُلْبة، حتى إذا ملأها [و] فاضت من جوانبها وآرتفعت عليها شمكرةٌ (٧) كجُمّة الشيخ، أقبل بها يَهْوِى نحوى، فعثَر بعود أو حجر، فسقطت العُلْبة من يده، فحدّثنى

(١) الحواء (بالحاء المهملة) : مجتمع البيوت . (٢) جحش : نحى وأبعد عن البيوت .

(٣) طوالة (بالضم) : طويلة القامة . وحسانة (بالضم وتشديد السين) : حسناء الصورة، وهما وصفان تمدح بهما المرأة . (٤) حس هذه البيوت : تعرّف أحوالها .

(٥) فلان وفلانة بغير الألف واللام كناية عن أسماء الآدميين، والفلان والفلانة بالتعريف بهما كناية عن غير الآدميين، تقول العرب : ركبت الفلان وحلبت الفلانة . وفى الأصل : «الفلانية» بزيادة ياء النسبة . (٦) قال الليث : عطن الإبل ومعطنها : مناخها حول وردها، فأما فى مكان آخر فراح ومأوى . (٧) كذا بالأصل، ولم نوفق الى تحقيقها، وسياق الكلام يقتضى أن يكون هنا ما يدل على الرغوة التى تعلو اللبن وقت حلبه .

أنه أُصيب بأبيه وأمّه وولده وأهل بيته فما أُصيب بمصيبةٍ أعظمَ من ذهاب العُلْبة، فلمـا رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهرًا سيفَه فبعَث الإبلَ ثم نظر الى أعظمها سَنامًا ودفع إليه مُدْيةً وقال : يا عبـد الله آصْطَلِ وآحتمِلْ . قال: فجعلت أهوِى بالبَضْعة إلى النار فإذا بلغتْ إناها [1] أكلتُها، ثم مسحتُ ما فى يدى من إهالتها على جلدى وقد كان قَحَل [2] على عظمى حتى كأنه شَنٌّ، ثم شَرِبتُ شَرْبة ماءٍ وخَرَرْتُ مَغْشيًّا علىّ فما أفقتُ الى السَّحَر . وقطع زيادٌ الحديث وقال : لا عليـك ألّا تخبرنا بأكثر من هذا، فمن المنزولُ به ؟ قلت : أبو علىّ عامرُ بن الطُّفَيْل .

قال بعض الشعراء يهجو قوما :

وتراهمُ قبل الغداء لضَيفِهم * يتخلّلون صُــبابةً للزّاد

وقال آخر [3] :

اِسْـــتَبقِ وُدَّ أبى المُقَـا * تِلِ حين تأكل من طَعامِهْ
سِيّانِ كَسْرُ رغيفِـــه * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظامِهْ
فتراه من خـــوف آلنزِيـ * ـلِ به يُرَوَّع فى منامـــهْ
فإذا مررتَ ببـابه * فآحفظ رغيفَك من غلامِهْ

وقال آخر [4] :

صــدِّق أَلِيَّتَه إن قال مجتهـدًا * لا والرغيف، فذاك البِرُّ من قَسَمِهْ
قد كان يُعجِبــنى لو أنّ غيرتَه [5] * على جرادِقِه [6] كانت على حُرَمِــهْ
إن رمتَ [7] قتلته فآفتُكْ بخُــبْزَته * فإنّ موقعهـا من لحمـه ودَمِهْ

(١) إناها : نضجها . والاهالة : الشحم المذاب وكل ما اؤتدم به من الأدهان . (٢) قحـل (كمنع وعلم وعنى) : يبس . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣١٨ طبعة أولى) نسب هذا الشعر لدعبل . (٤) هو أبو تمـام، (أنظر ديوانه : باب الهجاء، قافية الميم) . (٥) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٩) . وفى الأصـل : «لو كان» . (٦) الجراذق : جمع الجرذق بالفتح والذال المعجمة كالجردق بالدال المهمـلة وكلاهما معناه الرغيف فارسىّ، معرّب «كرده» بالكاف . (٧) فى الديوان ونهـاية الأرب (٢ ج ص ٣١٨ طبعة أولى) : «وإن هممت به فافتك بخبزته» .

قلت لرجل كان يأكل مع أبى دُلَف : كيف كان طعامه؟ قال : كان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرة جَوْزة ، وقال :

أبو دُلَف يُضيّع ألفَ ألفٍ * ويَضرِب بالحُسَام على الرغيفِ

أبو دلفٍ لمطبخه قُتارٌ(١) * ولكن دونَه ضربُ السيوفِ

وقال أبو الشَّمَقْمَق(٢) :

رأيت الخبزَ عزّ لديك حتى * حسِبت الخبزَ فى جوّ السحاب

وما روّحتنا لِتَذُبَّ عنا * ولكن خِفتَ مَرْزِئَةَ الذُّباب

وقال دِعبِل :

إنّ مَنْ ضنّ بالكَنيف على الضيـ * ـفِ بغير الكنيف كيف يجودُ !

ما رأينا ولا سمِعنا بحُشٍّ(٣) * قبل هذا لبابه إقليدُ

إن يكن فى الكنيف شيء تخبّا(٤) * ه فعندى إن شئت فيه مزيدُ

ولهذا الشعر قصة قد ذكرتها فى باب الشعراء(٥) .

قال أبو محمد : شُوِى لجعفر بن سليمان(٦) الهاشمىّ دَجاجٌ ففُقِدَ فَخِذٌ من دَجاجةٍ ، فأمر فنودى فى داره : من هذا الذى تعاطى فعقَر ! والله لا أخبِز فى هذا التنُّور شهرا أو يُرَدّ ! فقال ابنُه الأكبر : أتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ! .

(١) القتار : الدخان . (٢) أبو الشمقمق هو مروان بن محمد الشاعر ، قال هذا الشعر يعيب به طعام جعفر بن أبى زهير وكان ضيفا عنده . انظر كتاب البخلاء للجاحظ (طبع أوربا ص ٧٧) . (٣) الحش (بتثليث الحاء) : البستان ويكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عاداتهم التغوّط فى البساتين ، والجمع حشان . والاقليد : المفتاح . (٤) كذا فى الأصل والشعر والشعراء (ص ٥٤١ طبع أوروبا) ، ولعله : «تخبيه» . (٥) ذكر المؤلف هذه القصة فى كتابه الشعر والشعراء وهى أن دعبلا كان ضيفا لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مغلقا فلم يتهيأ فتحه حتى أعجله الأمر . (٦) كذا فى غرر الخصائص (ص ٢٩٨ طبع بولاق) وفيما سيأتى قريبا وهو الصواب ، لأنه هو المعروف بالبخل . وفى الأصل : « أبو جعفر » .

قال بعض الشعراء[١] :

يا تاركَ البيت عـــلى الضيف * وهارباً منـــه من الخـــوف

ضـــيفك قـــد جاء بخـــبزٍ له[٢] * فارجع فكن ضيفا على الضيف

وقال أبو نُوَاس[٣] :

خبزُ إسمـاعيلَ كالوَشْـ * ـى اذا ما شُـــقَّ يُرْفَا

عجبـا من أثر الصنـ * ـعة فيـــه كيف يَخْـفَى

إن رَفّاءك هـــذا * أحـــذقُ الأمة كفّـا

فإذا قابـــل بالنصـ * ـف من الجَرْدَق نصفا

مثل ما جاء من التنّـ * ـور ما غادر حـــرفا

أحكم الصنعةَ حتى * لا يُرَى موضعُ إشْفَى[٣]

وله فى المـاء أيضـا * عمـــلٌ أبدع ظَـــرْفا

مزجُه العذبَ بمـاءِ الـ * ـبئر كــى يزدادَ ضِعْفَا

فهو لا يَشْرَبُ منــه * مثـل ما يشرب صِرفا[٤]

(١) قال هذا الشعر رجل من اليمامة فى مروان بن أبى حفصة الشاعر ، وكان قد نزل عليه ضيفا ، فأخلى مروان له المنزل وهرب منه مخافة أن يلزمه قراه فى هذه الليلة ، فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه بهذا الشعر . انظر المستطرف للابشيهى (ج ١ ص ٢٠٦) (٢) كذا فى العقد والمستطرف ، وفى الأصل " ضيفن " بالنون .

(٣) قال هـــذا الشعر فى اسماعيل بن نوبخت بعد أن نصب اسماعيل فى صحن داره طارمة (بيت من خشب كالقبة ، معرب) واصطبح فيها أربعين يوما ومعه جماعة منهم أبو نواس ، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم ؛ ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر . (٤) انظر هذه الأبيات مع التعليق عليها فى (ج ٢ ص ٣٧) من هذا الكتاب .

عن عبد العزيز بن عمران قال : نزلتُ ببنت [ابن] هَرْمة فقلت : انحروا لنا جَزُورا ، قالت : والله ما هى عندنا ، قلت : فبقرة ، قالت لا ، قلت : فشاة ، قالت لا ، قلت : فدجاجة ، قالت لا ، قلت : فأين قول أبيك :

لا أُمتِعُ العُوذَ(1) بالفِصَال ولا * أبتاعُ إلا قريبةَ الأجلِ

قالت : ذاك أفناها . فبلغ ابنَ هَرْمة ما قالت ، قال : أشهدُ أنها ابنتى ، وأشهدُ أن دارى لها دون الذكور من أولادى .

قال ابن أبى فَنَن :

لا أشتُمُ الضيفَ ولكنَّنى * أدعوله بالقُرْب من طَوْقِ

بقُرْب مَنْ إن زاره زائرٌ * مات الى الخبز من الشوقِ

دخل على ابنٍ لرجلٍ من الأشراف داخلٌ وبين يديه فَرَاريجُ ، فغطّى الطبقَ بمنديله وأدخلَ رأسَه فى جيبه وقال للداخل عليه : كن فى الحجرة الأخرى حتى أفرُغَ من بَخُورى .

وفيما أجاز لنا عمرُو بن بحرٍ من كتبه قال : دخل رجل على رجلٍ قد تغدّى مع قومٍ ولم تُرفعِ المائدةُ قال لهم : كُلوا وأجهِزوا(2) على الجرحى . يريد : كلوا ما كُسِر ونِيل منه ولا تعرِضوا الى الصحيح .

(1) العوذ : الحديثات النتاج من الظباء والإبل والخيل ، واحدتها عائذ مثل حائل وحول . والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة اذا فصل عن أمه . يريد أنه لكرمه لا يمتع العوذ بأولادها بل يذبحها لضيوفه الكثيرين . وفى الأصل وردت هذه الجملة هكذا : «لا أمنع العود بالخصال» وهو تحريف ، والتصحيح عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) .

(2) فى الأصل : « وأجيروا » وهو تحريف وما أثبتناه عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) ، وقد وردت هذه الحكاية فيه بأوضح مما هنا . ونصها « قال : ودخلت عليه (يريد عبد الله بن يحيى بن خالد بن أمية) يوما والمائدة موضوعة والقوم يأكلون وقد رفع بعضهم يده فمددت يدى لآكل فقال أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحاء »

قال : وقال لقوم يؤاكلونه : يزعمون أن خبزى صغار ! أىّ ابن زانية يأكل من هذا رغيفين ! . قال : ويقول لزائره إذا أطال عنده المكث : تغدّيت اليوم ؟ فإن قال نعم ، قال : لولا أنك تغدّيت لغدّيتك بطعام طيّب . وان قال لا ، قال : لو كنت تغدّيت لسقيتُك خمسة أقداح . فلا يكون له على الوجهين لا قليلٌ ولا كثير .

٥ وحُكى عن أبى نُوَاس أنه قال : قلت لرجل من أهل خراسان[١] : لِمَ تأكل وحدك ؟ قال : ليس علىّ[٢] فى هذا الموضع سؤال ، إنما السؤال على من أكل مع الجماعة ، لأن ذاك تكلُّف وأكلى وحدى هو الأكل الأصلىّ .

وكنّا عند داود بن أبى داود بواسط أيام ولايته كَسْكَر[٣] ، فأتته من البصرة هدايا ، وكان فيها زِقاقُ دُوشَاب[٤] ، فقسمها بيننا ، فكلُّنا أخذ ما أُعطى ، غيرَ الحِزَامىّ ، فأنكرنا ذلك

١٠ وقلنا : إنما يجزع الحزامىّ من الإعطاء وهو عدوّه ، فأما الأخذ فهو ضالّتُه وأمنيّتُه ، فإنه لو أُعطِىَ أفاعىَ سِجِسْتَانَ ، وثعابينَ مصر ، وجَرَّاراتِ الأهواز[٥] لأخذها ، إذ كان اسم الأخذ واقعا عليها ؛ فسألناه عن سبب ذلك ، فتعسّر قليلا ثم باح بسرّه وقال : وَضِيعتُه[٦] أضعافُ ربحه ، وأخذُه من أسباب الإدبار ؛ قلت : أوّلُ وضائعه احتمالُ ثِقَل السُّكْر ؛ قال :

---

(١) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : «منهم» انظر هذه الحكاية فيه ص ٢٦ . (٢) كذا فى البخلاء

١٥ (ص ٢٦) . وفى الأصل : «من» . (٣) كسكر : كورة من كور بغداد وقصبتها واسط ، وهى مشهورة بالفراريج الكسكرية . (٤) كذا فى الأصل ، والدوشاب : نبيذ التمر معرّب ، قال ابن المعتز :

لا تخلط الدوشاب فى قدح * بصفاء ماء طيب البرد

وقال ابن الرومى :

علّى أحمدٌ من الدوشاب * شربة بغّضت قناع الشباب

٢٠ وفى كتاب البخلاء أنها زقاق دبس ، والدبس : عسل التمر وعصارته من غير طبخ . وقال السمعانى : إنه الدبس بالعربية (انظر شفاء الغليل للخفاجى) . (٥) جرارات الأهواز : عقارب بها القتالة . (٦) وضيعته : خسارته وغرمه .

هذا لم يخطُر ببالى قطّ، ولكن أوّل ذاك كِرَاء الحمّال، فإذا صار الى المنزل صار سببا لطلب العَصيدة والأرُزّة والستندفود[١]، فإن بعتُه فِرارًا من هذا البلاء صيرتمونى شُهرة[٢]، وإن أنا حبَستُه ذهَب فى العَصائد وأشباهها، وجذَب ذلك شِراءَ السَّمْن، ثم جذَب السمنُ غيرَه، وصار هذا الدُّوشاب علينا أضرَّ من العيال؛ وإن أنا جعلتُه نبيذًا آحتجتُ الى كِراء القُدُور وإلى شِراء الحُبّ[٣] والى شراء الماء والى كِرَاء من يُوقِد تحته، فإن ولّيتُ ذلك الخادمَ آسودّ ثوبُها وغَرّمتنا ثمنَ الأُشْنان[٤] والصابون، وازدادتْ فى الطُّعم على قَدْرِ الزيادة فى العمل؛ فإن فسَد ذهبت النفقةُ باطِلا ولم نَستخلِف[٥] منها عِوضا بوجه من الوجود، لأن خلّ الدَّاذِىّ[٦] يَخضِب اللّحمَ ويغيّر الطَّعم ويسوّد المرَقة ولا يصلُح [إلا][٧] للاصطباغ[٨]. وإن سلِم ــ وأعوذ بالله ــ وجاد وصفا لم نجد بُدًّا من شربه ولم تَطِب أنفُسنا بتركه؛ فإن قعدتُ فى البيت أشربه لم يُمكن ذلك إلا بترك

---

(١) كذا فى الأصل، وفى البخلاء (ص ٦٧): «البستندود» ولم نوفق الى معرفته.
(٢) الشهرة: ظهور الشىء فى شنعة. (٣) الحب بالضم: الجرة. (٤) الأشنان: الحمض الذى تغسل به الأيدى. (٥) كذا فى البخلاء، وفى الأصل: «ولم يخلف منها بوجه من الوجوه». (٦) فى القاموس وشرحه (مادة «دوذ» بمهملة فمعجمة): الداذى: شراب الفساق وهو الخمر، وهو على صيغة المنسوب وليس بنسب. ثم قال فى مادة «ذوذ» بمعجمتين: والذاذى: نبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل فى الفرق (مكيال) فتعبق رائحته ويجود إسكاره، قال الشاعر:

شربنا من الداذىّ حتى كأننا ❊ ملوك لنا بر العراقين والبحر
فلما انجلت شمس النهار رأيتنا ❊ تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

ثم قال شارح القاموس: «ولذا حكم الحذاق باتحاده مع الذى قبله، وكلاهما غير عربى ولا معروف». واقتصر فى اللسان على «الداذىّ» بمهملة فمعجمة وذكر البيت. (٧) التكملة عن البخلاء.
(٨) كذا فى البخلاء. وفى الأصل: «للاصطناع».

سُلَافُ الفارسيّ المُعَسَّل، والدَّجاج المُسَمَّن، وجِداء كَسْكَرَ(١) وفاكهة الجبل والنَّقْل المَشّ والرَّيحان الغَضّ، عند من لا يَغِيض ماله، ولا تنقطع مادّته، وعند من لا يُبالى على أى قُطْرَيه(٢) سقط، مع فوت(٣) الحديث المُؤْنِس والسَّماع الحسن؛ وعلى أنى إن جلستُ فى البيت أشربه لم يكن بُدٌّ من واحد، وذلك الواحدُ لا بُدّ له من لحمٍ بدرهم، وَنَقْلٍ بطَسُّوج(٤)، وريحانٍ بقيراط، ومن أبزارٍ للقدر وحَطَبٍ للوقود؛ وهذا كله غُرْم وشؤم وحرمان وحُرفة(٥) وخروج من العادة الحسنة. فإن كان النديمُ غيرَ موافقٍ فأهلُ السجن أحسنُ حالًا منى، وإن كان موافقا فقد فتح اللهُ على مالى به بابا من التَّلَف، لأنه حينئذ يسير فى مالى كَسَيْرِى فى مال غيرى مِمّن هو فوقى. فإذا علِم الصديقُ أن عندى دَاذِيًا(٦) أو نبيذًا دَقّ على الباب دقّ المُدِلّ، فإن حَجَبناه فَبلاء، وإن أدخلناه فشقاء. وإن بدا لى فى آستحسان حديث الناس كما يَستحسنه [منى](٧) مَن أكون عنده، فقد شاركتُ المُسْرفين، وفارقت إخوانى الصالحين، وصِرتُ من إخوان الشياطين؛ واللهُ تقدّستْ أسماؤه يقول: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوانَ الشَّيَاطِينِ﴾؛ فاذا صِرتُ كذلك فقد ذهب كسبي من مالِ غيرى، وصار غيرى يكتسب منِّى؛ وأنا لو آبتُليتُ بأحدهما لم أقُمْ به فكيف اذا آبتُليتُ بأن أُعطِى ولا آخُذ، وبأن أُؤَكِّل ولا آكُل! أعوذ بالله من الخِذْلان بعد العِصْمة، ومن الحَوْر بعد الكَوْر(٨)؛ ولو كان هذا فى الحداثة كان أهونَ(٩). هذا

(١) كسكر: تقدم فى تعريفها فى صفحة ٢٥٠ من هذا الجزء، أنها مشهورة بالفراريج الكسكرية، ولعلها مشهورة أيضا بجدائها. (٢) القطر: الناحية. (٣) كذا فى البخلاء وفى الأصل: «قرب». (٤) الطسوج: ربع الدانق. انظر الكلام عليه فى الحاشية رقم ... ص ... من هذا الجزء. (٥) الحرفة: الحرمان. (٦) كذا فى البخلاء. وفى الأصل: «رأسا». (٧) التكملة عن البخلاء. (٨) الحور: النقصان. والكور: الزيادة ومنه الحديث: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور». (٩) كذا فى البخلاء. وفى الأصل: «أحسن».

الدوشاب دسيس من الحرفة، وكيد من الشيطان، وخدعة من الحسود، وهو الحلاوة التي تعقب المرارة. ما أخوفني أن يكون أبو سليمان قد ملّني فهو يحتال لي الحيل!.

وحكي عن الحارثي أنه قال: الوحدة خير من جليس السوء، وجليس السوء خير من أكيل السوء، لأن كل أكيل جليس وليس كل جليس أكيلا؛ فإن كان لا بد من المؤاكلة ولا بد من المشاركة فمع من لا يستأثر علي بالمخ، ولا ينتهز بيضة البقيلة (١)؛ ولا يلتقم كبد الدجاج، ولا يبادر إلى دماغ السلاءة (٢)، ولا يختطف كلية الجدي، ولا يزدرد قانصة الكركي (٣)، ولا ينتزع شاكلة (٤) الحمل، ولا يبتلع سرة السمك، ولا يعرض لعيون الرءوس، ولا يستولي على صدور الدراج (٥)، ولا يسابق إلى أسقاط الفراخ، ولا يتناول إلا [ما] (٦) بين يديه، ولا يلاحظ ما بين يدي غيره، ولا يمتحن الإخوان بالأمور الثمينة، ولا ينتهك أستار الناس بأن يشتهي ما عسى ألا يكون موجودا؛ فكيف تصلح الدنيا ويطيب العيش بمن اذا رأى جزورية (٧) التقط الأكباد والأسنمة، وإذا عاين بقرية استولى على العراق (٨) والقطنة (٩)، وإن عاين بطن

(١) كذا في البخلاء، وقد أوردها المحبي في كتابه « ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه » فقال: « بيضة البقيلة تذكر في عيون الأطعمة ولا تستحسن المبادرة اليها ». وفي الأصل: « البيضة المقاية ». (٢) السلاءة: واحدة السلاء وهو ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين.

(٣) الكركي: طائر يقرب من الإوز أبتر الذنب رمادي اللون في خده لمعات سود يأوي الى الماء أحيانا. (٤) الشاكلة: الخاصرة. (٥) الدراج كرمان: طائر جميل المنظر ملون الريش، يطلق على الذكر والأنثى. (٦) التكملة عن البخلاء. (٧) كذا في البخلاء، ويظهر أنها ضرب من الطعام ينسب الى الجزور وهو واحد الإبل يقع على الذكر والأنثى. وفي الأصل: « جزرية » والجزرة: الشاة السمينة أو ما يذبح من الشاء، وذكر الأسنمة في الكلام يأباها.

(٨) العراق: ما دون السرة من الحشا معترضا بالبطن. (٩) القطنة: مثل الرمانة تكون على الكرش وهي ذات الأطباق، والعامة تسميها الرمانة.

سمكةٍ آخترق كلَّ شيء فيه ، وإن أتَوا بجنب شِوَاءٍ آكتسح ما عليه ، ولا يرحم ذا سِنٍّ لضعفه ، ولا يَرِقُّ على حَدَثٍ لحِدّة شهوته ، ولا ينظر للعيال ، ولا يُبالى كيف دارت الحال . وأشدُّ من كل ما وصفْنا أن الطبّاخ ربمـا أتى باللون الظريف الطّريف ، والعادةُ فى مثـل ذلك اللون أن يكون لطيفَ الشخص صغيرَ الحجم ، فيقدّمه حارًّا مُمتنِعًا(١)، وربما كان من جوهرٍ بَطىءِ الفُتور(٢)، وأصحابُنا فى سهولة آزدِراد الحارّ عليهم فى طبائع النّعام، وأنا فى شـدّة الحارّ [علىّ(٣)] فى طِباع السِّباع ، فإن نظرتُ(٤) الى أن يُمكِن أتَوْا على آخره ، وإن أنا بادرتُ مخافةَ الفَوْتِ وأردتُ أن أشاركهم(٥) فى بعضه لم آمَن ضررَه ، والحارُّ ربما قتل وربمـا أعْقَم وربما أبال الدم . قال : وعُوتِب على تركه إطعامَ الناس معه وهو يتخذ فيُكثِر، فقال : أنتم لهذا أتركُ منى ، فإن زعمتم أنى أكثرُ مالا وأعدُّ عُدّةً ، فليس بين حالى وحالكم من التفاوت أن أُطْعِم أبدا وتأكلوا أبدا ، فإذا أتيتُم من أموالكم من البَذْل على قدْر احتمالكم ، علمتُ أنكم الخيرَ أردتم ، والى تزيينى(٦) ذهبتم ، وإلا فإنكم إنمـا تحلبُون حَلَبًا لكم شَطْرُه .

قال : كان أبو ثُمامة(٧) أفطر ناسًا وفتح(٨) بابَه فكثُر عليــه الناسُ ، فقال : إن الله لا يَستحى من الحق ، وكلّكم واجبُ الحق ، ولو استطعنا أن نَعُمَّكم بالبِرّ كنتم فيــه ســواءً ولم يكن بعضكم أولى به من بعضٍ ؛ كذلك أنتم اذا عجَزنا أو بدا لنا ، فليس بعضُكم أحقَّ بالحِرمان والآعتذار اليه من بعض ، ومتى قرّبتُ بعضَكم وفتحتُ بابى لهم وباعَدتُ الآخرين ، لم يكن فى إدخال البعضِ عذرٌ ، ولا فى منع الآخرين حُجّة ؛ فآنصرَفوا ولم يعودوا .

(١) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : «ممتعا» وهو تحريف . (٢) كذا فى البخلاء ، وفى الأصل : «فى» . (٣) التكملة عن البخلاء . (٤) نظرت : انتظرت . (٥) كذا فى البخلاء ، وفى الأصـل : «أشاركه» . (٦) كذا فى الأصل ؛ وفى البخلاء : «والى تربيتى» . (٧) فى كتاب البخلاء (ص ٢١٥) : «ثمامة» . (٨) فى الأصل : «ويفتح» .

قال : وكان محمد بن أبي المؤمّل يقول : قاتل الله رجالًا كنّا نؤاكلهم ، ما رأيت قصعة رُفعت من بين أيديهم إلا وفيها فضلٌ ، وكانوا يعلمون أن إحضار الجَدْى إنما هو شيء من آيين(١) الموائد(٢) الرّفيعة ، وإنما جعل كالقافية وكالخاتمة وكالعلامة(٣) لليسر والفراغ ، ولم يُحضَر للتفريق والتخريب ، وأن أهله لو أرادوا به سوءًا لقدّموه لتقع الجدّة به ؛ ولذلك قال أبو الحارث جُمَّيز(٤) حين رآه لا يُمَسّ : هذا المدفوعُ عنه .

ولقد كانوا يتحامَوْن بيضةَ البقيلة ، ويدَعُها كلُّ واحد لصاحبه ، وأنت اليوم اذا أردت أن تُمتِّع عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السَّلَّاءة(٥) لم تَقْدِر على ذلك .

وكان يقول : الآدام أعداءُ الخبز ، وأعداها له المالح ؛ فلولا أن الله أعان عليها بالماء وطلبِ آكله له لأتى على الحَرْث والنّسل .

وكان يقول(٦) : ما بال الرجل اذا قال : اسقني ماءً أتاه بقُلّة على قدر الرِّيّ أو أصغر ، وإذا قال : أطْعِمني شيئا أو هات لفلان طعاما ، أتاه من الخبز بما يَفضُل عن

---

(١) كذا في البخلاء ، والآيين : العادة ، وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة ، أعجمى عرّبه المولدون ، قال مهيار في قصيدة له :

يجمع الخرّيت حولا أمره * وهو لم يأخذ لها آيينها

(راجع شفاء الغليل) وفي الأصل : « أنس الموائد » . (٢) في البخلاء : « كالعاقبة » (٣) كذا في البخلاء . وفي الأصل : « كالعلاوة للبشر » وهو تحريف . (٤) في الأصل والبخلاء : « جمين » بالنون في آخره . وورد في القاموس وشرحه في مادة (ج م ن) : «أبو الحارث جمين كقبيط المدني ، هكذا ضبطه المحدثون بالنون ، وهو صاحب النوادر والمزاح ، والصواب بالزاى المعجمة في آخره ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا * قد أوتى الحكمة والميزا

وقد أهمله المصنف (مؤلف القاموس) في حرف الزاى ونبهنا عليه هناك » اه . ولذا رجحنا ذكره بالزاى المعجمة في جميع المواضع التي ورد فيها . (٥) تقدّم تفسيرها قريبا . (٦) كذا في البخلاء ، وفي الأصل : «وكان يقال» .

الجماعة، والطعامُ والشَّرابُ أخوان . أمَا إنه لولا رُخْص الماء وغلاء الخبز لما كَلِبوا على الخبز وزَهِدوا فى الماء، والناسُ أشدّ شيء تعظيما للمأكول إذا كثُر ثمنُه وكان قليلا فى مَنْبِته وعُنْصره . هذا الجَزَر الصافى والباقِلاء(١) الأخضر أطيب من كُمَّثْرَى خُراسانَ والمَوْز البُستانى، وهذا الباذِنْجان أطيب من الكَمْأة، ولكنهم لقِصر هِمَمهم وأذهانهم فى التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن .

وكان يقول : لو شرب الناسُ الماءَ على طعامهم لما اتَّخَموا . وذلك أن الرجل لا يَعرِف مِقدارَ ما أكل حتى ينالَ من الماء شيئا، لأنه ربما كان شبعان وهو لا يَدرِى . وفى قول الناس : ماءُ دِجلة أمرأ من ماء الفُرات، وماء مِهْران(٢) أمرأ من ماء [نهر](٣) بلْخ؛ وفى قول العرب : هذا ماء نُمَيْرٌ يُصلِحُ عليه [المال] دليلٌ على أن الماء يُمْرِئ؛ حتى قالوا : إن الماء الذى يكون عليه النفّاطات(٤) أمرأ من الماء الذى تكون عليه القيّارات(٤) . فعليكم بشرب الماء على الغداء [فإنّ ذلك أمرأ](٥) .

قال وكان الثَّورِىّ يقول لعياله : لا تُلقوا نوى التمر والرُّطَب وتعوّدوا ابتلاعه، فإن النوى يَعْقِد الشحمَ فى البطن، ويُدْفِئ الكُلْيتين بذلك الشّحم؛ واعتبروا ذلك ببطون الصَّفايا(٦) وجميع ما يَعتلِف النَّوى . والله لو حملتم أنفسكم على قضم الشّعير واعتلاف القَتّ(٧) لوجدتموها سريعة القَبول، وقد يأكل الناسُ القتّ قَدّاحا(٨)،

(١) الباقلاء (بتخفيف اللام ممدودا وتشديدها مقصورا) : الفول الواحدة بهاء أو الواحد والجمع سواء . (٢) مهران : نهر عظيم بقدر دجلة تجرى فيه السفن . (٣) التكملة عن البخلاء (ص ١٠٤) . ونهر بلخ هو جيحون . (٤) كذا بالأصل وكتاب البخلاء . (٥) الزيادة عن كتاب البخلاء . (٦) الصفايا : جمع صفى ، والصفى : الناقة الغزيرة اللبن وكذلك الشاة . (٧) القت : حب برى يأكله أهل البرية عام القحط بعد دقه وطبخه . (٨) قداحا : رطبا قبل أن يجفف .

والشعيرَ فريكا، ونوى البُسْر الأخضر، ونوى العَجْوة ؛ وإنما بَقِيتْ عليكم الآن عَقَبة ؛ أنا أقدِر أن أبتلع النوى[1] وأُعْلِفه الشّاءَ، ولكنى أقول هذا بالنظر لكم .

وكان يقول لهم : كلوا البَاقِلّاء بقشوره ، فإن الباقِلّاء يقول : من أكلنى بقشورى فقد أكلنى، ومن لم يأكلنى بقشورى فأنا آكُلُه؛ فما حاجتكم [إلى] أن تصيروا طَعاما لطعامكم، وأكّالا لما جُعِل أكلا لكم .

قال: وحُمّ هو وعيالُه فلم يقدروا على أكل الخبز، فربح أقواتَهم فى تلك الأيام؛ ففرِح وقال : لو كان فى منزلى سوقُ الأهواز ونَطَاة[2] خَيْبر رجوْتُ أن أستفضِل فى كل سنة مائةَ دينار .

قال : ودعا موسى بنُ جَنَاح[3] جماعةً من جيرانه ليَفْطُروا عنده [فى شهر رمضان]، فلما وُضعت المائدة أقبل عليهم ثم قال لهم : لا تَعْجَلوا، فانّ العَجَلة من عمل الشيطان . ثم وقف وقفةً ثم قال: وكيف لا تَعْجَلون والله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ الإنْسَانُ عَجُولًا﴾ . اسمعوا ما أقول لكم، فإن فيه حسن المُؤاكلة والتبعُّد من الأَثَرة، والعاقبةَ الرشيدة، والسيرةَ المحمودة : اذا مدَّ أحدُكم يدَه ليستقىَ ماءً فأمسكوا أيديكم حتى يَفرُغ ، فإنكم تجمعون عليه خصالاً : منها أنكم تنغّصون عليه فى شربه ، ومنها أنه إذا أراد اللّحاق بكم فلعلّه يتسرّع إلى لُقمةٍ حارّة فيموت، وأدنى ذلك أن تبعثوه على الحِرْص

(١) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : «أن أقدر أن أبيع النوى» . (٢) كذا فى البخلاء ، ويريد بسوق الأهواز : كورها وهى كثيرة الحمّى ووجوه أهلها مصفرّة مغبرة . ونطاة خيبر : قصبتها وهى مشهورة بالحمى أيضا . قدم أعرابىّ خيبر فقال :

قلت لحمى خيبر استعدى * هاك عيالى فاجهدى وجدّى

وباكرى بصالب وورد * أعانك الله على ذا الجند

فحمّ ومات وبقى عياله . وفى الأصل : «مظلة خيبر» . (٣) التكملة عن كتاب البخلاء .

وعلى عِظَم اللُّقَم . ولهذا قال بعضهم وقد قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم ؟ قال : لأن اللحمَ ظاعنٌ والثريد مقيمٌ . وأنا و إن كان الطعام طعامى فإنى كذلك أفعل ؛ فإذا رأيتم فعلى يخالف قولى فلا طاعةَ لى عليكم . قال بعضهم : فربما نَسِى بعضُنا فمدَّ يده وصاحبه يشرب ، فيقول له : يدَك يا ناسِى ، ولولا شىءٌ لقلتُ لك : يا متغافِل .

قال : فأتانا بأَرُزَّةٍ لو شاء أحدُنا أن يَعُدّ حباتِها[1] لعدّها ، لتفرّقها وقِلّتها ، وهى مقدار نصف سُكُرُّجَة[2] ؛ فوقعتْ فى فمى قطعةٌ ، وكنتُ الى جنبه ، فسمع صوتا حين مَضْغتُها ، فقال : اْجرُشْ يا أبا كعب .

قال : وكنا نسمع[3] باللئيم الراضع ، وهو الذى يرضَع الحَلَب[4] فلا يحلُبه فى الإناء لئلّا يُسمع صوتُ الحَلْب — وقال بعضهم : لئلا يضيعَ من اللبن شىءٌ — ثم رأيتُ أبا سعيد المَدائنى قد صنع أعظمَ من ذلك : ارتضع من دَنّ خَلًّا حتى فَنِي ولم يخرج منه شىء .

قال : وكان الكِنْدىّ لا يزال يقول للساكن من سُكّاننا — [وربما قال][5] للجار — إنّ فى دارى آمرأةً بها حَبَلٌ ، والوَحْمَى ربما أسقطتْ من ريح القِدر الطيّبة ، فإذا طبختم فرُدّوا شهوتَها بغَرفة أو بلَعْقة فإن النفسَ يردُّها اليسير ، وإن لم تفعل ذلك وأسقَطتْ فعليك غُرّةٌ[6] : عبدٌ أو أَمَةٌ .

---

(١) فى الأصل : «حبتها» بالإفراد . (٢) السكرجة : الصحفة .

(٣) فى الأصل : «وكذا نسمع» . (٤) الحلب (بالتحريك) : اللبن . (٥) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٣ طبع أوربا) . (٦) الغرة : البياض الذى يكون فى وجه الفرس ، والمراد بالغرة هنا العبد الابيض أو الأمة البيضاء . وسمى غرة لبياضه ، فلا يقبل فى الدية عبد أسود ولا جارية سوداء ، وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . و إنما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبيد والإماء .

وقال بعضهم : نزلنا دارًا بالكِرَاء للكِنْدِىّ على شروط ، فكان فى شَرْطه على السكّان أن يكون له رَوْثُ الدابّة ، وبَعَرُ الشاة ، ونِشْوارُ(١) العَلُوفة ، وألّا يُخرِجوا عَظْما ولا يُخرِجوا كُسَاسة ، وأن يكون له نَوَى التمر ، وقشورُ الرمّان ، والغَرْفة من كل قِدْر تُطبَخ للحُبْلَى فى بيته ، وكان فى ذلك يتنزّل(٢) عليهم ، فكانوا لطيبه وإفراط بخله يحتملون ذلك .

وقال دِعْبِل : أقمنا يوما عند سَهْل بن هارون ، فأطلنا الحديث حتى اضطرّه الجوعُ إلى أن دعا بغَدَائه ، فأُتِى بصَحْفةٍ عُدْمُلِيّة(٣) فيها مَرَق لحم ديكٍ عاسٍ(٤) هَرِمٍ ليس قبلها ولا بعدها غيرُها ، لا تَحُزّ(٥) فيه السكين ، ولا تؤثّر فيه الأضراس ، فاطّلع فى القَصْعة وقلّب بصره فيها ، فأخذ قطعة خبزٍ يابسٍ فقلّب بها جميع ما فى الصحفة ففقد الرأس ، فبقِى مُطرِقًا ساعةً ، ثم رفع رأسه الى الغلام وقال : أين الرأس؟ قال : رميتُ به ؛ قال : ولِمَ؟ قال : ما ظننتُ أنك تأكله [ولا تسأل عنه](٦) ! قال : ولأىّ شيءٍ ظننتَ ذلك؟ فوالله إنى لأمقُت من يرمِى برجْله فكيف من يرمى برأسه ! والرأسُ رئيس ، وفيه الحواسّ الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوتُه ما أريد ، وفيه عُرفه الذى يُتبَرّك به ، وفيه عينه التى يُضرب بها المثل فيقال : "شراب كعين الديك"(٧) ، ودماغه عجبٌ لوجع الكُلْية ، ولن ترى عظما قطُّ أهشّ من عظم رأسه ؛ فإن كان من نُبْلِ أنك لا تأكله فإنّ عندنا من يأكله . أو ما علمتَ أنه خير من طَرَف الجناح ومن الساق ومن العنق ! . انظر أين هو . قال : لا والله لا أدرى أين هو ، رميتُ به ؛ قال : لكنى أدرِى أنك رميت به فى بطنك ، والله حَسْبُك .

(١) النشوار : ما يتبقى من علف الدابة . (٢) يتنزل عليهم : ينزل عليهم و يطرقهم .
(٣) عدملية : قديمة . (٤) العاسى : الذى أسن حتى جف وصلب .
(٥) لا تحز : لا تقطع . وفى الأصل : « لا تجر » . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) (٧) تقول العرب فى أمثالها : «أصفى من عين الديك» .

وحُكى عن رجل أنه قال : مررت ببعض طُرُقات الكوفة، فإذا رجل يُخاصم جارًا له، فقلت : ما بالُكما تختصمان؟ فقال [أحدهما](١) : لا والله إلّا أنّ صديقا لى زارنى فاشتهى علىّ رأسا، فاشتريتُه وتغدّينا به وأخذت عظامَه فوضعتُها على باب دارى أتجمّل بها عند جيرانى، فجاء هذا فأخذها وتركها على باب داره يُوهم أنه اشتراه .

٥ قال : وتناول رجل من بين يدى أميرٍ من الأمراء بَيْضةً(٢) وهو معه، فقال : خذها فإنها بيضة العُقْر(٣)، ولم يأذن له بعد ذلك .

قال : وقُدِّمت مائدة لرجلٍ عليها أرغِفة على عدد الرءوس و رغيفٌ زائد يوضع على الصِّحاف، فلما أنفد القوم خبزَهم التفت الى رجلٍ الى جانبه فقال : إكْسِرْ هذا الرغيفَ وفرِّقْه بينهم، فتغافلَ، فأعاد عليه، فقال : يُبْتَلَى على يد غيرى .

١٠ قال المدائنىّ : كان للمُغيرة بن عبد الله الثَّقَفِىّ وهو على الكوفة جَدْىٌ يوضَع على مائدته بعد الطعام لا يَمَسُّه هو ولا غيرُه، فقدِم أعرابىٌّ يوما فأكل لحمَه وتعرَّقَ(٤) عظامَه، فقال، ياهذا، أتطالب هـذا البائسَ بذَحْلٍ(٥)؟! هل نطحتْك أُمُّه! قال : وأبيك إنك لَشفيق(٦) عليه! هل أرضعتْك أُمُّه!.

قال المدائنى : كان(٧) لزِياد بن عبد الله الحارثىّ جدىٌ لا يَمَسُّه [أحد](٨)، فعشَّى فى شهر رمضان قومًا فيهم أشعب، فعرَضَ أشعب يومًا للجدى من بين القوم،

(١) التكملة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥). (٢) جاءت هذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) ضمن الحكاية التى سيرويها المدائنى بعد عن المغيرة بن عبد الله الثقفى والأعرابى الذى قدم عليه. (٣) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود، يضرب مثلا لمن يصنع الصنيعة ثم لا يعاودها. راجع اللسان مادة «بيض». (٤) تعرق العظم : أخذ ما عليه من لحم.

٢٠ (٥) الذحل : الثأر. (٦) فى الأصل : «إنه لشفيق».

(٧) فى الأصل : «قال» وكتب فى هامش الأصل الفتوغرافى : «لعله كان» وهو الصواب.

(٨) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١٦٢ طبع أوربا).

فقال زياد حين رُفعت المائدة : أَمَا لأهل السجن إمامٌ يصلّى بهم ؟ قالوا : لا ؛ قال : فليُصَلِّ بهم أشعب ؛ قال أشعب : أَوَ غيرَ ذلك أيها الأمير؟ قال : وما هو؟ قال : لا آكل لحم جدى أبدا .

قال : وكان المغيرة بن عبد الله الثَّقَفِىّ يأكل وأصحابه تمرا فانطفأ السراج ، وكانوا يُلقون النَّوَى فى طَسْتٍ ، فسُمِع صوتُ نواتين ؛ فقال : من ذا يلعب بالكعبتين[1] ؟

قال الأعشى[2] :

تبيتون فى المشتى مِلاءً بطونكم * وجاراتكم سُغْبٌ يَبِتْنَ خمائصا

وقال آخر[3] :

وضيف عمرٍو وعمروٌ ساهران معا * فذاك من كِظّةٍ والضيف من جوعِ

وقال آخر :

وجيرةٍ لا تَرَى[4] فى الناس مثلَهمُ * اذا يكون لهم عِيدٌ وإفطارُ

إن يُوقِدوا يوسِعونا من دُخانِهمُ * وليس يبلُغنا ما تُنْضِج النارُ

وقال سَمَاعةُ بن أَشْوَل :

نزلنا بسَهْمٍ والسماءُ تلفُّنا * لَحَى اللهُ سَهْمًا ما أدقَّ وألأَمَا

فلما رأينا أنه عاتِمُ القِرَى[5] * بخيلٌ ذكَرْنا ليلةَ الهَضْبِ كَرْدَمَا

(١) الكعبة والكعب : العظم الذى تلعب به الصبيان .

(٢) هو ميمون بن قيس ، قال هذا الشعر يهجو علقمة بن علاثة .

(٣) هو بشار كما فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ طبعة أولى) ، و رواية البيت فيه :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

(٤) فى الأصل : « لم تر » (٥) عاتم القرى : بطيئه .

فقمْنا وحَمّلْنا على الأَيْنِ والوَجَى * جُلالاً(١) بأوصال الرَّديفَيْن مِرْجَما(٢)

يدقّ(٣) خراطيمَ القِنَانِ كأنمـا * يدقّ بصَوّانِ الجلاميـد حَنْتَما(٤)

بَجِئنا وقد باضَ الكَرى فى عيوننا * فتًى من عيون المُغْرِقين(٥) مسلَّما

تُنَاخُ اليــه هَجْمةٌ(٦) واتِكـيّة(٧) * رعتْ بالجِوَاء(٨) البقْل(٩) حولاً مُجرَّما(١٠)

٥ كأنّ بأحْقيها(١١) اذا ما تَنَعَّمتْ * مَزادا(١٢) سقا فيسه المَزود مُعصَما(١٣)

فبات رفيق بعـد ما ساء ظنّه * بمنزلةٍ من آخر الليـل مُكْرَمَا

ولو أنهـا لم يدفَعِ العِيسَ زمُّها * رأى بعضها من بعض أَنْسائها(١٤) دمَا

وقال حُمَيدٌ الأرقط :

ومُستنبِحٍ(١٥) بعد الهدوء وقد جرتْ * له حَرْجَفٌ نَكْباءُ والليــلُ عاتمُ

١٠ رفعتُ له مخلوطةً(١٦) فاهتــدى بها * يشبّ لهـا ضوءٌ من النار جاحمُ

فأطعمتُــه حتى غدا وكأنمـا * تنازعه(١٧) فى أَخْدَعَيْــه المَحاجمُ

---

(١) الجلال : الجمل الضخم . (٢) المرجم : المضطرم العدو، وفى الأصل : «مرحما» .

(٣) فى الأصل : «تدق» . (٤) الحنتم : الخزف بأنواعه ؛ قال سالم بن دارة :

وقد أوغلت فى السير حتى كأنما * يكسر قيض بينهن وحنتم

١٥ والقيض : قشرة البيضة العليا اليابسة . وكتب فى الأصل الفتوغرافى أمام كلمة الحنتم : «الحصيد» ولعله من معانى الكلمة . (٥) فى الأصل : «المغرقين» ، ولعله : «من عيوب المغرقين مسلما» ، و يريد مدحه بأنه سالم من عيوب المغرقين الذين أفسدوا ما عملوا من صالح بما ارتكبوه من آثام . (٦) الهجمة من الابل : أولها الأربعون الى ما زادت ، وفيها أقوال غير ذلك . (٧) هكذا بالأصل ولعلها «وائلية» .

(٨) الجواء : الواسع من الأودية ، وربما أريد به موضع بعينه . (٩) فى الأصل : «النقل» .

٢٠ (١٠) مجرما : تاما ، وفى الأصل : «محرما» . (١١) أحق : جمع حقو وهو الخصر .

(١٢) المزاد : جمع مزادة وهى الراوية والقربة التى يستقى فيها . (١٣) معصما : مشدودا بالعصام وهو رباط القربة . (١٤) أنساء : جمع نسا وهو عرق من الورك الى الكعب . وفى الأصل : «أنسابها» . (١٥) فى الأصل : «ومنتبح» . (١٦) كذا بالأصل ولعلها «مخبوطة» وهى الشجرة التى نفض عنها ورقها . (١٧) فى الأصل «تناعه» .

كَزَمْهانَ(١) يَفْطُو(٢) المشىَ لو جُعِلتْ له * رعايا الحِمَى لم يلتفت وهو قائمُ

حريصٌ على التسليم لو يستطيعه * فلم يستطع لما غدا وهو عائمُ(٣)

وقال الأعشى(٤) :

اذا حلّتْ معاويةُ بنُ عمرو * على الأَطْواءِ خنّقتِ الكلابَا

وقال آخر(٥) :

أيَابنةَ عبد الله وآبنةَ مالكٍ * ويابنةَ ذى البُرْدين والفرسِ الوَرْد

اذا ما عمِلتِ الزادَ(٦) فالتمسى له * أكيلًا فإنى غيرُ آكِلِه وَحْدى

بعيدًا(٧) قصيًّا أو قريبًا فإنني * أخاف مَذمّاتِ الأحاديثِ من بعدى

وكيف يُسيغُ المرءُ زادًا وجارُه * خفيفُ المِعَى بادى الخَصاصةِ والجَهْد

ولَلْموت خيرٌ من زيارة باخلٍ * يُلاحِظ أطرافَ الأكيلِ على عمد

وقال مُرَّةُ بن مَحْكانَ السَّعْدى :

فقلت لما غَدَوْا أُوصِى قعيدتَنا * غَدِّى بَنيكِ فلن تُلْفِيهُمُ(٨) حِقَبَا

أُدْعَى أباهم ولم أُقْرَف بأُمِّهمُ * وقد هَجَعتُ ولم أعرِف لهم نَسَبَا

---

(١) الزمهان : الحران . (٢) فطا الدابة يفطوها : ساقها سوقا شديدا .

(٣) كذا بالأصل ، ولعلها «صائم» كما يقتضيه السياق . (٤) هو أعشى بنى تغلب كما فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ١٩٤) . (٥) هو حاتم الطائىّ يخاطب امرأته ماوية بنت عبدالله ، وعنى بذى البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة . (٦) رواية أشعار الحماسة :

اذا ما صنعت ... ... * ... ... فانى لست ...

(٧) روى هذا الشطر فى أشعار الحماسة :

* أخا طارقا أو جار بيت فإننى *

(٨) رواية الشعر والشعراء للؤلف (ص ٤٣٢) : « فلن تلقيهم » .

وقال حمّاد عَجْرد :

زرتُ آمْرأً فى بيته مرّةً * له حياءٌ وله خـــيرُ
يكرَه أن يُتخِمَ إخوانه * إنّ أذى التُّخْمة محذور
ويَشْتَهِى أن يُؤْجَرُوا عنده * بالصومِ والصائمُ مأجور

٥ وقال بعض المُحدَثين :

أبو نوحٍ نزلتُ عليـــه يومًا * فغَـدّانى برائحـــة الطعامِ
وجاء بلحمٍ لا شىءٍ سمينٍ[1] * فقـدّمه على طبق الكلامِ
فلما أن رفَعتُ يدى سقانى * مدامًا بعـد ذاك بلا مدامِ
فكان كمن سقى الظمآن آلًا * وكنتُ كمن تغدّى فى المنامِ

١٠ وقال عُرْوةُ بن الوَرْد :

إنى آمرُؤٌ عافِى إنائِىَ شِرْكةٌ * وأنت آمرُؤٌ عافى إنائك واحدُ
أتهزأُ منّى أن سَمِنتَ وأن ترى * بجسمِى[2] مسَّ الحقِّ والحقُّ جاهدُ
أُقسِّم جسمِى فى جسومٍ كثيرةٍ * وأحسو قَراح الماءِ والماءُ باردُ

---

(١) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٨) :

١٥ وقـــدم بيننا لحما سمينا * فقـدمه على طبـق الكلام
فلما أن رفعت يدى سـقانى * كؤوسا حشوها ريح المدام

(٢) فى أشعار الحماسة (ص ٧٢٣ طبع أوربا) : «بوجهى شحوب الحق» .

باب القـــدور والجفان

ذكر الفرزدق عقبةَ بن جَبّار المِنْقَرِى وقِدْرَه فقال :

لو أنّ قِدْرًا بكت من طولِ مَحْبَسِها * على الحفوفِ[(١)] بكتْ قِـدْرُ ابنِ جَبّارِ

ما مسّها دَسَمٌ مُـــذْ فُضَّ معدِنُهـا * ولا رأت بعـــد نارِ القَيْنِ من نارِ

وقال : ٥

كأنّ تطلُّعَ[(٢)] التَّرْعِيب[(٣)] فيها * عَذارٍ يَطَّلِعْن إلى عَذارِ

وقال الكُمَيت :

كأنّ الغُطَامِطَ من غَلْيِها * أَراجِيزُ أَسْلَمَ تهجو غِفَارًا[(٤)]

وقال آخر[(٥)] :

وقِدْرٍ بجَوْفِ الليل أَحْمَشْتُ[(٦)] غليَها * ترى الفِيلَ فيها طافيًا لم يُفَصَّـــلِ ١٠

وقال ابن الزَّبِير[(٧)] يمدح أسماءَ بن خارِجة :

ترى البازِلَ البُخْتِيَّ فوقَ خِوَانِه * مقطَّعـــةً أعضاؤه ومَفاصِـــلَه

---

(١) كذا فى ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش أدب (ص ٣٩) . والحفوف : قلة الدسم . وفى الأصل : « الجفون » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح بها أبا السمحاء سُحَيم بن عامر أحد بنى عمرو، ومطلعها : ١٥

سألنا عن أبى السمحاء حتى * أتينا خير مطـــروق لسارى

(٣) كذا فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب . والترعيب : السنام المقطع شطائب مستطيلة . وفى الأصل : « الترغيب » بالغين المعجمة وهو تحريف . (٤) الغطامط (بضم الغين المعجمة) : صوت الغليان، ويقـال : تغطمطت القـــدر اذا اشتدّ غليانها . وأسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهما مهاجاة .

(٥) هو ميسرة أبو الدرداء، كما فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٨ طبع أوربا) . (٦) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : « اجشمت » وهو تحريف . وأحمش القدر : أشبع وقودها . ٢٠

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدى كما فى الأغانى (ج ١٣ ص ٣٥، ٤٢ طبع بولاق) .

وقال الرَّقاشيّ :

لنا من عطاء الله دَهْماءُ[1] جَــوْنَةٌ * تَناوَلُ[2] بعـــد الأقربين الأقاصيا

جعلتُ أَلالًا والرِّجَامَ وطِخْفَــةً[3] * لهـا فاستقلَّت فوقهـــنّ الأثافيا

مـــؤدِّيةٌ عنا حقـــوق محمـــدٍ * إذا ما أتانا يابسُ[4] الجنب طاويا

أتى ابنُ بســيرٍ كى يُنفِّسَ كَرْبه * إذا لم يَرُحْ وافى مع الصبح غاديا[5]

٥

فأجابه ابن بسير[6] :

وثرماءَ ثَلْماءِ[7] النـواحى ولا يُرى * بهـا أحدٌ عَيْبا بســوى ذاك باديا

إذا انقاصَ[8] منهـا بعضُها لم تَجِدْ لها * رَءُوبا لمـا قد كان منهـا مُدانيـا

وإن حاولوا أن يَشْعَبوها فإنهـا[9] * على الشَّـعْب لا تزداد إلا تداعيا

مُعَـــوَّذة الإرْجَالِ[10] لم تُوفِ مَرْقَبًا * ولم تَمْتَـطِ[11] الجَوْنَ الثلاثَ الأثافيا

١٠

---

(١) الدهماء : القدر . وجونة : سوداء . (٢) فى الأصل « يناول » بالياء المثناة .

(٣) ألال (وزان حمام ويروى بكسر همزته) : اسم جبل بعرفات . والرجام : جبل طويل أحمر نزل به جيش أبى بكر رضى الله عنـه يريدون عمان أيام الردة . وطخفة (بكسر الطاء وبفتح) : جبـل .

(٤) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٥٠) : « بائس الحال » . (٥) كذا فى كتاب البخلاء ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل محرفا هكذا :

١٥

أنا ابن بشـــير ان تنفس كربة * إذا لم ترح وافا من الصبح عاديا

(٦) كذا فى كتاب البخلاء وهو محمد بن يسير اليسيرىّ كما فى الكامل للبرد (ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ طبـع أوربا) وطبقات الشعراء للؤلف (ص ٥٦٠ طبع أوربا) ، وفى الأصل : « ابن بشير » .

(٧) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصـل : « سلما » وهو تحريف . والثرماء : من كسرت ثنيتها ، شبـه بها القدر التى تكسرت أطرافها من كثرة الاستعمال . والثلماء : المكسورة النواحى . (٨) انقاص : انشق . (٩) فى الأصل : «وانها» بالواو . (١٠) معوذة : ممنوعة ، والإرجال : مصدر أرجله إذا جعله يمشى ، ولعـله يريد أن هذه القدر لا تنقـل لضخامتها . وفى كتاب البخلاء : « معودة الأرحال» . (١١) فى الأصل : «ولم يمتط» .

٢٠

ولا آجتزعت(١) من نحو مكة شُقَّةً * إلينا ولا جازت بها العِيسُ واديا
ولكنها في أصلها مَوْصِليَّةٌ * مجاورةٌ فَيْضاً(٢) من البحر جاريا
أتتنا تُزَجِّيها(٣) المجاذيفُ نحونا * وتُعقِب فيما بين ذاك المَزاديا(٤)
يقول لِمَن هذي القدور التي أرى * تَهِيلُ عليها الرِّيحُ تُرْبًا وسافيا
فقالوا وإن يَخفى على كل ناظرٍ * قدورُ رَقاشٍ إن تأمل دانيا(٥)
فقلت متى باللحم عهدُ قدورِكُمْ * فقالوا إذا ما لم يَكُنَّ عواريا
من آضحَى إلى أضحى وإلّا فإنها * تكون بنَسْج العنكبوت كما هيا
فلما آستبان الجَهْدُ لى فى وجوههم * وشكواهُمُ أدخلتُهُمْ فى عياليا
يُنادى ببعضٍ بعضُهم عند طاعتي * ألَا أبْشِروا هذا اليَسيرىّ جائيا

وقال أبو نُوَاس :

ودَهْماءَ تُثْفِيها(٦) رَقاشُ اذا شَتَتْ * مُرَكَّبَةِ الآذانِ أُمِّ عِيالِ(٧)
يَغَصُّ بحَيْزُومِ(٨) البَعوضة صدرُها * وتُنزِلها عفوًا بغير جِعالِ

(١) اجتزعت : قطعت . وفى الأصل : «اجترعت» بالراء .
(٢) فى الأصل : «غيضا» بالغين المعجمة . (٣) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : «تجزينا» وهو خطأ . (٤) المزادى : جمع مزداة ، والمزداة : الحفيرة يرمى الصبيان فيها النوى . (٥) رواية البخلاء : «رائيا» .
(٦) الدهماء : السوداء من القدور . وتثفيها : تجعل لها أثافىّ . وفى ديوانه (ص ١٧٦ طبع مصر) : « ترسيها » من قولهم : قدر راسية لا تبرح مكانها ولا يطاق تحويلها . (٧) أم عيال : تقوتهم وتقوم بحاجتهم . (٨) فى الأصل : تعض بحيزون . . . . » وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر فى ديوانه (ص ١٧٧ طبع مصر هكذا) :

يغص بحيزوم الجرادة صدرها * وينضج ما فيها آتقاد ذبال
وتغلى بذكر النار من غير حرها * وينزلها الطاهى بغير جعال

والجعال بالكسر : خرقة تنزل بها القدر .

ولو جئتَهــا ملاى عَبِيطًا مُجَزَّلًا[1] * لأخرجتَ ما فيهــا بعُود خِلال
هى القِدْرُ قِدْرُ الشيخِ بكرِبن وائلٍ * رَبِيع[2] اليتــامَى عامَ كلِّ هُزالِ

وقال أيضــا :

رأيتُ قُدورَ الناسِ سُودًا[3] من الصَّلَى * وقِدْرَ الرَّقاشِــيِّين زَهْراء كالبــدرِ
ولو جئتَهــا مَلأى عَبِيطًا مُجَزَّلًا * لأخرجتَ ما فيها على طَرَفِ الظُّفْرِ
يُبَيِّنُها[4] للمُعْــتَفِى بِفِنــائِهــم * ثلاثٌ كخَطِّ[5] الثــاء من نُقَط الحِبرِ
تَرُوح على حَىِّ الرِّبابِ ودَارِمٍ[6] * وسَــعْدٍ وتعــروها قَراضِبةُ الفِزْرِ
ولِلْحَىِّ عَمْــرٍو نَفْحةٌ من سِجالِهــا * وتَغْلِبَ والبِيضِ اللَّهاميمِ[7] من بَكْرِ
إذا ما يُنادَى بالرحيــل سَعَى بهــا * أمامَهُــمُ الحَوْلِىُّ من وَلَدِ الذَّرِّ

وقال أبو عُبَيدة : كان لعبد الله بن جُدْعان جَفْنَة يأكل منها القائمُ والراكبُ . وذكر غيرُه أنه وقع فيها صبىّ فغرِق .

---

(١) العبيط : اللحم الطرىّ . ومجزل : مقطع .
(٢) كذا فى الديوان وكتاب البخلاء . وفى الأصل : « منيع » .
(٣) فى البخلاء (ص ٢٥١) : « سودا على الصلى » . والصلى : النار . (٤) كذا فى البخلاء (ص ٢٥١) : وفى الأصل : « يبينها للمعتفى بفنائه » . (٥) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل « مخط » وهو تحريف . (٦) الرباب ودارم وسعد والفزر : أسماء قبائل . والقراضبة : اللصوص والفقراء ، واحده قرضاب أو قرضوب . (٧) كذا فى كتاب البخلاء . واللهاميم من الخيل : جيادها ، ولهاميم الإبل : غزارها ، ولهاميم الناس : أشياخهم . وفى الأصل : « اللهايين من فكر » وهو تحريف .

وقال الأشعر[١] :

وأنت مَلِيخٌ[٢] كلحم الحُـوَار * فلا أنتَ حُلْوٌ ولا أنت مُرّْ

وقد عَلِم الضيفُ والطارِقون * بأنك للضيف جوعٌ وقُـرّْ

سأل يحيي بن خالد أبا الحارث جُمَّيْزاً[٣] عن طعام رجلٍ، فقال : أما مائدته فمقنة[٤] وأما صِحافه فمنقورةٌ من حَبّ الخَشْخَاش، و بين الرغيف والرغيف نقرة جوزة، و بين اللونِ واللونِ فَتْرةُ نَبِيّ. قال : فمن يحضُرها ؟ قال : الكِرام الكاتبون . قال : فيأ كل معه أحدٌ؟ قال: نعم، الذُّباب . قال : فلهذا ثوبُك مخرَّق ولا يَكْسُوك وأنتَ معـه و بفِنائه؟ ! قال أبو الحارث: جُعِلتُ فِداءَك، واللهِ لو مَلَك بيتًا من بَغْدادَ الى الكوفة مملوءا إبرًا، فى كل إبرةٍ خيط، ثم جاءه جبريلُ وميكائيـلُ معهما يعقوبُ يَضْمَنان عنه إبرة يَخيط بها قميصَ يوسف الذى قُدّ من دُبرٍ، ما أعطاهم .

وقال بعضهم :

ولو عليك آتّكالِي فى الغِذاء اذًا * لكنتُ أوّلَ مدفونٍ[٥] من الجوع

---

(١) هو الأشعر الرقبان الشاعر، واسمه عمرو بن حارثة أسدى جاهلى، قال هذا الشعر يخاطب به رجلا اسمه رضوان (انظر اللسان وشرح القاموس مادّة مسخ) وقد ورد هذان البيتان فيهما ضمن شعر له مع اختلاف فى بعض الكلمات وهو :

بحسبك فى القوم أن يعلموا * بأنك فيهـم غنىّ مضرّْ

وقـد علم المعشر الطـارقوك * بأنك للضـيف جوع وقرّ

اذا ما انتدى القوم لم تأتهم * كأنك قـد ولدتك الحمـر

مسيخ مليخ كلحم الحـوار * فلا أنت حلو ولا أنت مرّ

(٢) المليخ : الذى لا طعم له ، وخص به بعضهم لحم الحوار (وهو ولد الناقة) حين ينزل من بطن أمه .

(٣) يلاحظ هنا أن صدر كلام جميز فى حاجة الى الوضوح لغموض عبارته . (٤) كذا بالأصل . والذى فى العقـد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) : « أما مائدته فمغيبة » بالغين والياء المثناة من تحت والباء الموحدة . (٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : « مقتول » .

سياسة الأبدان بمـا يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجاج لتياذوق[١] متطبِّبه: صِف لِي صفةً آخُذ بها [فى نفسى] ولا أعدُوها، قال تياذوق: لا تتزوّج من النسـاء إلا شابّة، ولا تأكل من اللحم إلا فتيًّا، ولا تأكله حتى يُنْعَم طَبْخه، ولا تَشربَنّ دواءً إلا من عِلّةٍ، ولا تأكل من الفاكهة إلا نَضيجَها، ولا تأكل طعامًا إلا أجدْتَ مَضْـغَه، وكُلْ ما أحببتَ من الطعام وآشربْ عليـه، وإذا شَربت فلا تأكل عليـه شيئا، ولا تحبِس الغائطَ والبولَ، وإذا أكلتَ بالنهارِ فنَمْ، وإذا أكلتَ بالليل فتمشّ ولو مائةَ[٢] خُطْوةٍ .

رَوى عبـد العزيز بن عِمْـران عن الحُلَيْس بن حَيّان الأَشْجَعىّ قال حدّثنى أبى عن شـيوخ من أشْجَع قال : سألنا يهودَ خَيْبَر : بِمَ صَحَحْتُم بخيبر؟ قالوا : بشرب الخمرِ، وأكل الفُوم، وسكونِ اليَفاعِ، وتجنُّب بطونِ الأودية، والخروج من خيبر عند طلوع الفجرِ[٣] وسقوطه .

قال الحجّاج للحَكَم بن المُنْـذر بن الجَارُود : أخبِرنى عن صفاء لونك وغِلَظ قَصَرتِك[٤]، أَشْرَبُ اللبن فهو منه؟ قال : لا؛ قال : ولِم؟ قال : لأنه مَنْتَنةٌ مَنْفخةٌ . قال : فمـا شرابُك؟ قال : نبيذ الدَّقَلِ[٥] فى الصيف ونبيذ العسلِ فى الشتاء .

---

(١) كذا فى تاريخ الحكماء للقفطى (ص ١٠٥ طبع أوربا) وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعـة (ج ١ ص ١٢١)، وكان طبيبا مشهورا فى صدر الاسلام والدولة الأموية واختص بالحجاج بن يوسف فكان يثق به و يعتمد عليه فى مداواته . وهذا الاسم ذكر مرة فى الأصل «بياذوق» ومرة أخرى «بيادرق»، وفى العقد الفريد «يتنادون» . وكله تحريف . (٢) فى طبقات الأطباء : «خمسين خطوة» . (٣) فى العقد الفريد (ج ٣ ص٣٨٧) : «عند طلوع النجم وعند سقوطه» . (٤) القصرة : أصل العنق إذا غلظ . وفى الأصل : «... عن صفاء لونك وقصر غلظ قصرتك» . (٥) الدقل (بالتحريك) : أردأ التمر وضرب من النخل تمره صغير الجرم كبير النوى .

قال عبد الملك لأعرابى : إنك حسَنُ الكِدْنةِ[1]، قال : إنى أُدْفِئُ رِجْلَىّ فى الشتاء، وأُغْفِل غاشيةَ الغَمّ، وآكُلُ عند الشهوة .

عن علىّ رضى الله عنه أنه قال : مَنِ ٱبتدأ غِذاءَه بالملح أذهَب الله عنه سبعين نوعًا من البلاء . ومن أكل كلَّ يوم سبعَ تمرات عَجْوةٍ قتلت كلَّ داء فى بطنه ، ومن أكل كلَّ يوم إحدى وعشرين زبيبةً حمراءَ لم يرَ فى بدَنه شيئًا يكرَهُه . واللحم يُنبِتُ اللحم . والثريدُ طعام العرب . ولحم البَقَر داء، ولبَنُها شِفاء ، وسَمْنُها دَواء . والشَّحمُ يُخرِجُ مِثْلَيْه من داء . ولم يَستَشْفِ النـاسُ بشىء أفضـلَ من الرُّطَب . والسَّمك يُذِيب الجسدَ، وقراءةُ القرآنِ والسواكُ[2] يُذهِب البلغم . ومن أراد البقاءَ — ولا بقاءَ — فليُباكِرِ الغَـداءَ، وليُقلِّل غِشْيانَ النّساء، ويُخَفِّف الرداء ، وليَلْبَس الحذاء . قيل : وما خِفّةُ الرّداء فى البقاء ؟ قال : قِلّة الدَّيْنِ .

قيل لرجل : إنك لحَسَن السَّحْنة، فقال : آكُل لُبَابَ البُرّ بِصغار المَعزِ، وأدّهِنُ بِحام[3] البنفسج، وألبَسُ الكَتّان .

ويقال : ثلاثة أشياء تُورِثُ الهُزالَ : شربُ المـاءِ على الرِّيق، والنومُ على غير وِطاءٍ، وكثرةُ الكلام برفعِ الصوتِ .

ويقال : أربَعُ[4] خِصالٍ يَهْدِمن العُمْرَ وربما قتَلْنَ : دخولُ الحمّـامِ على بِطْنةٍ ، والمجامعة على الامتــلاءِ، وأكل القَدِيدِ[5] الجـافّ ، وشربُ المـاء البارد على الرِّيقِ؛ وقيل : ومجامعة العجوزِ .

(١) الكدنة (بالكسر وقد يضم) : غلظ الجسم وكثرة اللحم . وفى الأصل : «الكدية» بالياء المثناة من تحت، وهو تحريف . (٢) كذا فى الأصل، والعبارة غير واضحة، ولعلها محرّفة . (٣) كذا بالأصل، ولعلها «بحمّ البنفسج» والحم : ما أذيبت إهالته، والمراد به دهن البنفسج وهو زيته الذى يستخرج منه . (٤) هى من نصائح تياذوق الطبيب للحجاج كما فى طبقات الأطباء، ونسبها صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) لبزرجمهر . (٥) القديد : اللحم المجفف، وقيل ما قطع منه طولا .

وفى الحديث : "ثلاثةٌ أشـياءَ تُورث النّسيان أكل التّفاح الحـامض وسُؤْر الفأرة ونَبْذُ القملة"[١] . وفى حديث آخر "والحجامة فى النُّقْرة[٢] والبَوْل فى المـاءِ الراكد" .

ويقال : أربعـة أشياء تقصِد الى العقلِ بالإفساد : الإكثارُ من البصـل والباقِلاء، والجماع، والخُمَار .

٥ وقال النَّظّام : ثلاثةُ أشياء تُخْلِق العقل وتُفسِد الذّهنَ : طولُ النَّظر فى المِرآة، والاستغراب فى الضَّحِك، ودوام النَّظرِ الى البحر .

وكان يقال : عَشَاءُ الليلِ يُورِث العَشا[٣] .

ويروى فى الحـديث : "تَرْكُ العَشاءِ مَهْرَمة" . والعرب تقول : ترك العَشاءِ يذهب بلحم الأَلْيَتَيْنِ[٤] .

١٠ باب الحِمْيَـــة

قال الحارث بن كَلَدَة طبيب العرب : الدواء هو الأَزْم . يعنى الحِمْيَـة .

قال آخر : الحِمية إحدى العِلّتَيْنِ .

وقيل لجالينوس[٥] : إنك تُقِلّ من الطّعامِ؛ قال : غرضى من الطّعامِ أن آكُلَ لأَحْيا، وغرض غيرى من الطعامِ أن يَحيا ليأكُلَ .

---

١٥ (١) ورد هذا الحديث فى كتاب حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٣١١) هكذا : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «ست خصال تورث النسيان : أكل سؤر الفأر و إلقاء القملة وهى حيـة والبول فى الماء الراكد وقطع القِطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض» . (٢) النقرة : الوهدة فى القفا . (٣) العشا : أن يسوء بصر الانسان أو هو العمى، أو أن يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل . (٤) قال أبو زيد : مثنى الألية أليان كما تقول هما خصيان وواحده خصية وقد ورد أليتان فى شعر عنترة :

٢٠ متى ما تلقنى فردين ترجف * روانف أليتيـك وتستطارا

(٥) ردو هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) منسوبا لأبقراط .

وقال العمى[1] : من احتمى فهو على يقين من المكروه، وفى شك مما يأمل من العافية .

وكان يقال : ليس الطبيب من حمى الملك ومنعه الشهوات ، إنما الطبيب من خلاه وما يريد وساس بدنه .

وقال بعض الشعراء :

وربت حزم كان للسقيم علة ❊ وعلة برء الداء خبط المغفل

ويقال : الحمية للصحيح ضارة كما أنها للعليل نافعة .

وفى الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صهيبا يأكل تمرا وبه رمد، فقال له : "أتأكل التمر وبك رمد"، فقال : يا رسول الله، إنما أمضغ بهذه[2] .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده[3] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله يطعمهم ويسقيهم" .

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السهمى : حدثنا بعض أصحابنا يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال : "من استقل بدائه فلا يتداوين فإنه رب دواء يورث الداء" .

(١) هو عقبة بن مكرم (بضم أوله و إسكان الكاف وفتح المهملة) أبو عبد الملك البصرى الحافظ مات سنة أربعين ومائتين . (انظر الخلاصة فى أسماء الرجال) . (٢) يريد أنه يمضغ بناحية العين التى لا رمد فيها. ونص الحديث فى الجزء السابع من شرح الزرقانى على المواهب : «وفى سنن ابن ماجة عن صهيب قال : قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم و بين يديه خبز وتمر، فقال : «أدن وكل» فأخذت تمرا فأكلت، فقال : «تأكل تمرا وبك رمد» فقلت : يارسول الله أمضغ من الناحية الأخرى، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى لأنه إن كان يضره أكل التمر لم يفده المضغ من ناحية العين التى لا رمد بها .

(٣) كذا بالأصل ، ولعل هذه الكلمة زيادة من الناسخ ، لأن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روى عن أبيه، وجده مات مقتولا فى الجاهلية ، كما فى كتاب المعارف لابن قتيبة ، فلم تكن له رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت الحكماء تقول : إياك وشربَ الدواء ما حمَلت صحتك داءك .

وقالوا : مَثَلُ شُرْب الدواء مثل الصابون للثوب يُنْقيه، ولكنه يُخلقه ويُبْليه .

عن يزيد بن الأصمّ قال : لقيتُ [طبيب](1) كسرى شيخاً [كبيرا](1) قد أوثق حاجبيه بخرْقة ، وسألته عن دواء المَشْي(2) ؛ قال : سهمٌ يُرمى به في جوفك أخطأ أو(3) أصاب .

٥ قال ابقْراط : الدواءُ من فوقُ، والدواءُ من تحتُ، والدواءُ لا فوقُ ولا تحتُ .

وفسّره المفسّر فقال : من كان داؤُه في بطنه فوق سُرّته سُقِي الدواء ، ومن كان داؤه تحت سُرّته حُقِن ، ومن لم يكن به داءٌ لا من فوقُ ولا من تحتُ لم يُسْقَ الدواء، فإن الدواء اذا لم يجد داء يعمَل فيه وجد الصحّة فعمِل فيها .

قال أبو اليَقْظان : كان عبد العُزّى(4) بن عبد المُطّلب يشتكي عينَه وهو مطرِقٌ

١٠ أبدا، وكان يقول: ما يِعْنِي بأس، ولكن كان أخى الحارث اذا آشتكت عينُه يقول: آكحَلُوا عينَ عبد العُزّى معى فيأمُرُ(5) من يكْحَلنى معه ليُرضيَه بذلك فأمْرَض عينى .

قال ابن أحمر حين شُفِي بطنُه :

شرِبتُ الشُّكاعَى(6) وآلتددْتُ أَلِدّةً * وأقْبلتُ(7) أفواهَ العروق المكاوِيَا

شرِبْنا وداوَيْنا(8) وما كان ضارنا * إذا الله حَمّ المرءَ أنْ لَا تَدَاوِيَا

١٥ وفى الحديث : "داوُوا مَرضاكم بالصّدقة وحصِّنوا أموالكم بالزّكاة وآستقبلوا(9) أنواعَ البلايا بالدعاء" .

(١) التكلمة عن أسد الغابة . (٢) المشى : الإسهال ودوائه المَشِىّ وهو المسهل . (٣) فى الأصل : « أم » . (٤) هو أبو لهب . (٥) لعل الفاعل «أبى» أو نحوه ممن له ولاية الأمر عليه . (٦) الشكاعى : من دق النبات وهى دقيقة العيدان صغيرة خضراء يتداوى بها الناس . قال سيبويه : هو واحد وجمع ، وقال غيره : الواحدة منها شكاعة . وآلتددت ألدة

٢٠ من قولهم التدّ الرجل اذا ابتلع اللدود وهو ماسقى فى أحد شقى الفم ، جمعه ألدّة . (٧) أقبل المكواة الداء : جعلها قبالته . (٨) كذا فى الشعر والشعراء ص ٢٠٨ وفى الأصل : « لما » . (٩) فى الجامع الصغير : « واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع » .

الحَدَثُ والحُقْنة والتُّخَمَة

عن وَهْب قال قال لُقْمان لابنه : إن طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارةَ إلى الرأس، ويُورِث الباسُورَ وتِيجَع له الكبد[1]، فاجلس هُوَيْنَى وقم هوينى . فكتبتُ حكمتَه على باب الحُشّ[2] .

وكان يقال : إذا خرج الطعام قبل ستّ ساعات فهو مكروه ، وإذا بَقِيَ أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو مرض .

وكان أبو ذُفافَةَ الباهليّ اشتكى ، فأشار عليه الأطبّاء بالحُقْنة فامتنع ؛ فأنشأ أعرابيّ يقول :

لقد سرّني — واللهُ وقّاك شَرَّها — * نِفَارُك منها إذْ أتاك يقودُها
كفى سَوْءَةً ألّا تزالَ مُجَبِّيًا[3] * على شَكْوَةٍ[4] وَفْرَاءَ فى آسْتِك عُودُها

وأشاروا على عُبَيْد الله بن زِياد بالحُقْنة فتفحّشها ؛ فقالوا : إنما يتولّاها منك الطبيبُ ؛ فقال : أنا بالصاحب آنَس .

قال المَدائنيّ : سأل الحجّاجُ جلساءَه : ما أذهبُ الأشياءِ للإعياء ؟ فقال بعضهم : أكْل التَّمْر، وقال بعضهم : الحمام، وقال بعضهم : التَّمْريخ[5] .

وقال فَيْروز : أذهبُ الأشياءِ للإعياء قضاءُ الحاجة .

---

(١) تيجع من وجع يوجع (بقلب الواو ياء) اذا مرض وتألم . (٢) الحش : البستان وقيل : النخل المجتمع ، ويكنى به عن بيت الخلاء لأنه كان من عادتهم التغوط فى البساتين .

(٣) مجبيا : منكبا على وجهه ، وفى الأصل : « محببا » . (٤) الشكوة : وعاء من جلد . ووفراء : ملأى .

(٥) التمريخ : التدهين .

وحدّثنى بعضُ الأطِبّاء أن رجلًا شَرِب خَبَثَ الحديد المعجون فبَقِى فى جوفه، فآشتدّ عليــه وجَعُه ؛ فسُحِقَتْ له قِطْعَةٌ من المغناطيس وسُقِى إيّاه ، فتعلّق بالخَبَث وخرج مع الغائط .

قال : وقال تياذوق[1] طبيب الحجّاج للحجّاج : إنّ اللحم على اللحم يقتل السِّباع فى البرِّيّة . ثم قال لى جعفر : قالت جارية لنا : كان لى ظَبْىٌ فمرّ بعجينٍ قد هُيِّئَ للخُشْكَان[2] ، فأكل منــه فخَفَس — والخَفْسُ : الخَبَطُ وآنتفاخُ البطن — فسـايخ فوُجِد قــد شَرِق بالدم . وقال يونس (طبيب لنا) : هكذا يُصاب[3] الإنسان اذا بَشِمَ .

الأصمعى : قال بعض الأعراب : اللّهمّ إنى أسألك مِيتةً كمِيتةِ أبِى خارجة، أكل بَذَجًا[4]، وشَرِب مُعَسَّلًا[5]، ونام فى الشمس، فلَقِى الله شبعانَ ريّانَ دَفْآن .

وقال آخر من الأعراب : اللهم آجعلِ التُّخَمة دائى وداءَ عيالى .

قال آبن شَبَابَةَ مولى بنى أسد : من بال ولم يَضْرِط كُتِبت آسْتُه من الكاظمين الغيــظ .

---

(١) فى الأصل «دياذوق» وقد صححناه فيا مر . أنظر صفحة ٢٧٠ حاشية رقم ١

(٢) الخشكان كلمة فارسـية ؛ ومعناها : الخبز الجاف ؛ أو هى ضرب من الحلوى .

(٣) فى الأصل : « يصيب » . (٤) البذج : الحمل . (٥) المعسل : شراب معمول بالعسل ، ومنه قول الشاعر :

اذا أخذت مسوا كها منحت به * رضابا كطعم الزنجبيل المعسّــل

باب القىء

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإنسان أكول يقىء [1] اذا أكل : لا تفعل، فإن المعدة تضفز [2] الى القىء كما تضفز الدابة الى العلف، فلا ينضج الطعام .

وأخذ مزبّد شاربا فاستنكهه [3]، فأتى به الوالى فاستنكهوه، فقالوا [4] نكهته لا تنبئ عنه، قال مزبّد : إن لم أقئ نبيذا فمن يضمن لى عشاء .

رئى الجمّال يأكل فقيل له : ما تأكل؟ قال : قىء كلب فى قحف [5] خنزير .

النكهة

سُئل تياذوق عن البخر فقال : دواؤه الزبيب يعجن بسعتر [6] ثم يؤكل أسبوعين أو ثلاثة . فجرّب فذهب .

وتقول الروم فى الكرفس : إنه يطيّب الفم ويذهب البخر، ويحتاج إلى أكله من يشاهد السلطان ومحافل الناس وكان أكثر كلامه السرار [7] .

قالت الأطباء : الجزر المشوىّ والخبز المقلوّ بالزيت أو بالسمن إذا مضغ وربى بثفله [8] قاطعٌ لرائحة البصل من الفم . والفوم [9] إن أكله آكلٌ فأحبّ أن يقطع رائحته مضغ ورق الزيتون الطرىّ وتمضمض بعده بالخلّ .

(١) فى الأصل : «ليق» . (٢) تضفز : تثب . (٣) استنكهه : شمّ ريح فمه، وأمره أن ينكه ليعلم أشارب هو أم غير شارب . (٤) فى الأصل : « قالوا » .

(٥) القحف : ما انفلق من الجمجمة فبان أى انفصل، ولا يدعى قحفا حتى يبين أو ينكسر منه شىء .

(٦) السعتر : نبت طيب الرائحة حريف زهره أبيض إلى الغبرة . (٧) السرار : المسارّة .

(٨) الثفل : ما سفل من كل شىء وهو خثارته . (٩) الفوم : الثوم .

والسُّعْد[١] قاطع لرائحة النبيــذ من الفم . وحَبّ الأُتْرُجّ مطَيِّب للنَّكْهة . والبَخَر لا يكاد يكون فى الملاّحين لأكلهم المُلاّح[٢] .

وقرأت فى الآيين : أن رئيس الحرم أمر جوارىَ الملك ألّا يأكُلْن الثُّوم والبصل والكرّاث واللُّفّاح[٣] والحِمّص الرّطْب والمشمش، فإنه يُورث البخر .

باب الميـاه والأَشْرِبة

قالت الأطِبّاءُ : معرفة خِفّة المـاء بأن يكون سريعَ الغَلَيان ويكونَ سريعَ البَرْد . وأحْمَد الميـاه ما كان قِبالَةَ المشرق ومجراه مجرى الشمال ومروره على الطين الأحمـر وعلى الرمل . قالوا : وممّـا يُصَفِّى من المـاء الكَدَرَ فيصـفو سريعاً أن يُلْقَى فيـه قِطَعٌ من خشب السّاج[٤] أو قطعٌ من آجُرّ جديد .

قال بعض المُحْدَثين :

يمنع أمّـــه بالشمال * وماؤها البارد الزلال
يصيح فيهـا وقايتونا * يجرى به الثلج فى مثال[٥]

---

(١) السعد نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة . وفى الأصل : «السغد» .

(٢) فى الأصل : « لأكلهم الملاحين » ولم نجد له معنى مناسبا ، فلعلها محرّفة عما أثبتناه . والملاح : ضرب من نبات الحمض أو حمضة مثل القُلّام فيه حمرة .

(٣) اللفاح : نبات يقطينىّ أصفر شبيه بالباذنجان .

(٤) الساج : شجر يعظم جدّا لا ينبت إلا ببلاد الهند، وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه .

(٥) كذا بالأصل ، ولم نعثر على هذين البيتين ولم نوفق الى تصويبهما .

وقال صاحب الفلاحة : من أراد أن يَعْذُبَ له الماءُ الزُّعَاقُ[(١)] جعله فى قِدْر جديدة من خزَف وغطّى فاها بأسحال[(٢)] ثم أوقد تحتها حتى تَغلى ويَحْصُلَ فيها نصفُ ذلك الماء ثم صفّاه وتركه، فانه يَجده شَرُوباً[(٣)] .

وقالوا : ماء دِجْلة يَقْطَع شهوةَ الرجال ويذهبُ بصهيل الخيل ونشاطها، ومن لم يأكل الدسم عليه انحلّ عظمُه ويَبِسَ جِلْدُه، وهو مع هذا أَهْضَمُ للطعام من غيره ٥ من المياه وأسرَعُها بردا .

قال : والنّيل يستقبِل الشَّمال وينصُبُّ فى وقت زيادة الأودية ويزيد فى وقت نقصانها . وزيادة أوّله وآخره معها ؛ ولا تكون التماسيحُ إلا فيه ؛ قال الشاعر :

أضمرتُ للنيــــل هِجْرانًا ومَقْليــــةً * إذ قيل لى إنما التمساح فى النيـــلِ

فمن رأى النيل رأىَ العين من كَثَبٍ * فما أرى النيل إلا فى البواقيـــلِ[(٤)] ١٠

والسَّقَنْقُورُ[(٥)] أيضا لا يخرج إلا منه .

---

(١) الزعاق : المرالغليظ . (٢) أسحال : جمع سحل وهوالخرقة البيضاء . وفى الأصل : «سحال» ولم يرد هذا فى جمع سحل وانما جمعه أسحال وسحول وسحل . (٣) الشروب : الماء دون العذب يصلح للشرب مع بعض كراهة . (٤) البواقيل — كما فى معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوربا) — : كيزان يشرب منها أهل مصر . وقد روى فى شفاء الغليل و زهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : ١٥ «البراقيل» بالراء وفسره الخفاجى بأنه جمع برقال وقال إنه كوز من الزجاج . ولم نجد هذين البيتين فى ديوان أبى نواس وهو الذى نسب له البيتان . (٥) السقنقور كما فى خطط المقريزى (ج ١ ص ٦٦) : صنف يتوالد من السمك والتمساح فلا يشا كل السمك لأن له يدين ورجلين ، ولا يشا كل التمساح لأن ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس ، وذنب التمساح سخيف مضرس . وذكره ابن البيطار فقال : هو شديد الشبه بالورل يوجد بالرمال التى تلى نيل مصر فى نواحى صعيدها وهو مما يسعى فى البر و يدخل ٢٠ فى الماء — يعنى النيل — ولهذا قيل له الورل المائى لشبهه به ولدخوله فى الماء .

ورُوى فى الحديث عن الضحّاك بن مُزَاحِم أنه قال قَذَفَ[1] الفُرات فى المَدّ رُمَّانَةً كأنها البعير البارك، وتحدّث أهلُ الكتاب أنها من الجَنَّة .

وقال ابن ما سـويه : ينبغى للماء الغليظ الذى ليس يَعـذُب أن يُطبَخ حتى يَذْهب منه نِصفُه، ثم يُطرَح فيه السَّويقُ أو الطينُ الأحمرُ فانه يلطّفه و يُذهب غائلتَه ويُعَذِبه و يمنع كدَرَه .

قالت الأطبـاء : الفُقَّاع[2] المُتَّخَذُ من دقيق الشعير نافع من الجُذَام . والجُلَّاب[3] قاطع لكثرة دم الحيض، . والسَّـكَنْجَبِين[4] نافع من الذُّبْحة اذا كانت من حرارة، يُشرب و يُتغرغَر به .

باب اللُّحمان وما شاكلها

قالت الأطباء : لحمُ المـاعز يُورث الهمّ، ويُحرك السوداءَ، و يُورث النسيانَ، ويَخبِل الأولاد، و يُفسد الدم، وهو ضارٌّ لمن سكن البـلادَ الباردةَ . وأَحْمَدُ اللُّحْمان ماخُصِىَ من المَعز . والضأنُ نافع من المِرَّة السَّوداء[5]، إلا أن المَمْرورين الذين يُصْرَعون، اذا أكلوا لحمَ الضأن اشتدّ بهم ذلك حتى يُصْرَعوا فى غير أوانِ الصَّرع . وأوانُ الصَّرْع الأهِلَّةُ وأنصافُ الشهور .

---

(١) فى معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٨٦١) : « ومما يروى عن السدىّ، والله أعلم بحقه من باطله، قال : مدّ الفرات فى زمن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه، فألقى رمانة قطعت الجسر من عظمها، فأخذت فكان فيها كُرّ حبّ، فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وكانوا يرونها من الجنة . وهذا باطل لأن فواكه الجنة لم توجد فى الدنيا . ولو لم أر هذا الخبر فى عدّة مواضع من كتب العلماء، ما استجزت كتابته » اهـ .

(٢) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير، سمى بذلك لما يعلوه من الزبد . (٣) الجلاب : باللام مشدّدة ومخففة : العسل أو السكر، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد . (٤) السكنجبين : شراب من خل وعسل، ويراد به كل حلو وحامض . (٥) المرّة السوداء : خلط من أخلاط البدن .

قال الشاعر[١] :

كأن القومَ عُشّــوا لحمَ ضأنٍ * فهم نَعِجون[٢] قــد مالت طُلَاهم

قالوا : واللحم أقلّ الطعام نَجْواً[٣] . ولحم الدَّجاج الهَرِم شرُّ اللُّحمان وأغلظُها .

والبيْضُ إن سُلِق بالخَلِّ ثم أُكِل بالسُّمَّاق[٤] وحبِّ الرمّان المُفَلَّق والملح والمُــرِّيّ[٥] عقَل الطبيعةَ .

والزُّبْدُ إن طُلِي على منابت أسنان الطفل كان مُعِيناً على نبــاتها وطلوعها ، والمخّ والدِّماغ يفعلان ذلك .

مَضارّ الأطعمة ومنافعها

الكَمْأة[٦] والفُطْر[٧] — عن أبي هريرة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يذكرون الكَمْأةَ وبعضُهم يقــول جُدَرِيّ[٨] الأرض ، فقــال : "الكَمْأةُ من المَنّ[٩] وماؤها شِفَاءٌ للعينِ والعَجْوةُ من الجنّةِ وهى شِفاء من السُّقْم" .

---

(١) هو غيلان بن عقبة العدوىّ المعروف بذى الرمة . (٢) كذا فى اللسان (مادة نعج) ، ونعجون : ثقل أكل لحم الضأن على قلوبهم ، يريد أنهم قد اتخموا من كثرة أكلهم الدسم فمالت طلاهم (أعناقهم) ، وفى الأصــل « بعجون » بالباء الموحدة وهو تحريف . (٣) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط . (٤) السماق : (بالتشديد) من شجر القفاف والجبال وله ثمر حامض عناقيد فيها حب صغار يطبخ ، وهو شديد الحمرة . (٥) المرىّ : يعمل عمل الملح الا أنه أقوى منه وألطف . وفى مفردات ابن البيطار : «وليس يوافق البيض وخاصة المسلوق منه أصحاب المعدة الضعيفة فان اضطر الى إدمان أكله فليؤكل بالملح والفلفل والمرىّ» . وفى الأصل : «والملح المشوى» وهو تحريف .

(٦) الكمء : نبات مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الغبرة والســواد ، يوجد فى الربيع تحت الأرض . وهو عديم الطعم وأنواعه كثيرة يؤكل نيئا ومطبوخا . (٧) الفطر : ضرب من الكمأة قتال . (٨) شبهت الكمأة بالجدرى ، وهو الحب الذى يظهر فى جسد الصبى ، لظهورها من بطن الأرض كما يظهر الجدرى من باطن الجلد ، ويراد بذلك ذمها (انظر النهاية لابن الأثير) .

(٩) معنى الحديث أن الكمأة شىء أنبته الله من غير سعى ولا مؤونة من أحد ، وهو بمنزلة المنّ الذى كان ينزل على بنى اسرائيل .

الأصمعىّ عن بعض مشايخه قال : ثلاثة أشياء رُبَّمـا صرَعت أهل البيت عن آخرهم : الجرادُ، ولحوم الإبل، والفُطْر .

وتقول الأطبّاء: إنّ أردأ الفُطْرِ ما نبَت تحت ظلال الشجر، وأردأه كلّه ما كان فى ظلّ شجر الزيتون فإنّه قتّال .

٥ قالوا : والكُمَّثْرَى إذا طُبِخ مع الفُطْر أذهب ضررَه .

قالوا : والفُطْر يُورِث الذُّبْحَة[1] .

قدِم أعرابىٌّ المِصْرَ فأكل فُطْرا، فأصابتْه ذُبْحةٌ، فقيل له : إن الطبيب بعث أن يُحْلَب فى فيك، فقال : ما زلت أسمع باللئيم الرَّاضِع[2] ولا والله لا أكونه، قالوا : فتموت إذًا، قال : وإن متُّ .

١٠ وتقول الأطباء : إنْ أكل آكِلٌ الفُطْرَ فأَضرَّ به، سُقِى الكُرُنْبَ المعصورَ وسُقِى من خُرْءِ الدَّجاج وزنَ درهمين مع خَلّ وعسلٍ مطبوخ وقُيِّئَ به .

قالوا : والكَمْأَة تُورِث وجع القُولَنْج[3] والسَّكْتَةَ والفالِجَ ووجَع المَعِدة .

قالوا : والذباب لا يَقْرب قِدْرًا فيه كَمْأَةٌ .

ومن أراد ٱتخاذَ الكمأةِ اليابسةِ جعلها فى الطين الحُرِّ يومًا وليلةً ثم غسلها ١٥ وٱستعملها .

بلغنى عن فتًى من أهل الكتاب أنه قال : كنا فى طريق مكّة بالخُزَيْمِيَّة[4]، فأتانا أعرابىٌّ بكمأةٍ فى كِساءٍ قَدْرَ ما أطاق، فقلنا : بِكَم الكمأةُ ؟ قال : بدرهمين ،

(١) الذبحة : داء يأخذ فى الحلق وربما قتل . (٢) سيذكر المؤلف أنه الذى يرضع الحالب فلا يحلبه فى الاناء لئلا يسمع صوت الحلب، وقال بعضهم : لئلا يضيع من اللبن شىء .

٢٠ (٣) القولنج : مرض معوىّ مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح ، والفالج : الشلل .

(٤) الخزيمية : منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية بالكوفة وقبل الأجفر، وقال قوم : بينه و بين الثعلبية آثنان وثلاثون ميلا، وقيل : إنه : "الحزيمية" بالحاء المهملة .

فاشتريناها منه ودفعنا الثمنَ إليه ، فلما نهَض قال له بعضُنا : « فى آسْتِ المَغبُون عُود »[١] ، قال : بل عودان ، وضرب الأرضَ برجله ، فاذا نحن على الكَمْأة .

قال بعض الشعراء :

جَنَيْتُها تملأ كفَّ الجانى * سوداءَ ممّا قد سَقَى السَّوانى[٢]

* كأنها مدهونةٌ بالبانِ[٣] *

٥

وهذه صفة أجود الكَمْأة وأقلّها أذًى .

البصـــل والثّـــوم

دخل داخِلٌ على نَصْر بن سـيَّار وحوله بَنُونَ له صِـغارٌ ، فقال : هل تَدرُونَ ما ولَدى هؤلاء ؟ هؤلاء بنو البصل ، وكان يأكله نِيئاً ومشوِياً ومطبوخا .

والأطِبّاء تقول فى البصل : إنه يشهّى الى الطعام إن أُكِل مشوياً أو نِيئًـا ، ويشهِّى الى الجِماع . وإن دُقّ وشُمّ عطّس وشَهَّى الطعامَ . وإن آكتُحِل بمائه مع العسل جلا البصرَ . وإنْ وُضع مع الملح والسَّذابِ[٤] على عَضّة الكَلْب الذى ليس بكَلِبٍ نَفَع . والإكثارُ منه يُفسد العقلَ . والمسلوقُ منه يُدِرّ البولَ والدمعة .

١٠

(١) مثل يضرب لمن غبن . (٢) السوانى : جمع سانية وهى ما يسق عليه الزرع والحيوان من بعير وغيره . (٣) البان : شجر يسمو و يطول فى استواء مثل نبات الأثل ، وورقه هدب كهدب الأثل ، وخشبه خوّار رخو خفيف ، وقضبانه سمجة خضر ، وهدبه ينبت فى القصب ، وهو طويل أخضر شـديد الخضرة ، وثمرته تشـبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها شـديدة وفيها حبـه ، واذا انتهى انفتق وانتثر ، حبه أبيض أغبر مثـل الفستق ومنه يستخرج دهن البان . (راجع مفردات ابن البيطار) .

١٥

(٤) السذاب : بقل يفترع فروعا تطلع من ساق له قصيرة تتشعب عليه شعب مثـل الأغصان ، ويحمل فى أطراف أغصانه رءوسا تتفتح عن ورد صغار الورق أصفر ، واذا انتشر سقط منـه الحب ، وله طبائع وخواص مذكورة فى كتب الطب .

٢٠

العصافير إن أكلت بالزنجبيل والبصل هيجت شهوة الجماع وأكثرت المنى .

عن طارق بن شهاب قال : بعث سليمان النبيّ عليه السلام بعض عفاريته وبعث معه رجلا وقال : ردّه إلىّ وانظر الى صنيعه . فمرّ على أهل بيت يبكون فضحك ، ودخل الى السوق ونظر الى الناس فرفع رأسه الى السماء وهزّه ، ونظر الى الثوم وهو يكال [كيلا] والفلفل [وهو] يوزن وزنا ، فضحك . فلما ردّه الى سليمان عليه السلام وأخبره بما جرى منه ، قال : لم ضحكت من أهل البيت ؟ ولم هززت رأسك حين نظرت الى السوق ؟ ولم ضحكت من الثوم والفلفل ؟ قال : أمّا أهل البيت فإنّ الله أدخل ميتهم الجنّة وهم يبكون عليه ؛ ونظرت الى الناس فى السوق والملائكة من فوق رءوسهم ، والناس يملّون والملائكة سراعا يكتبون ، فهززت رأسى ؛ ونظرت الى الثوم وهو شفاء يكال كيلا ، والى الفلفل وهو داء يوزن وزنا . وعن وهب : أنّ سليمان عليه السلام قال : مم كنت تضحك؟[1] قال إنى مررت برجل يشترى خفّين ويقول لصاحبهما : شرطى عليك أن ألبسهما عشر سنين لا يتخرّقان ؛ فعجبت كيف شرط أمله ونسى أجله . ومررت بعجوز دهريّة[2] تتكهّن وتخبر الناس بما لا يعلمون ، والّذى سخّر لك الريح وأذلّ لك الجنّ وعبّدلك الشياطين ، إنّى لأعلم فى بيتها تحت فراشها مطمورة[3] فيها قناطير من ذهب وفضّة وهى لا تدرى ما تحتها ، وقد ماتت هزلا[4] وجوعا وحاجة . ومررت بأخرى دهريّة لتطبّب وكان بها

(١) فى قصص الأنبياء (ص ٢٤٣ طبع بولاق) : «أن سليمان عليه السلام دعا صخرا الجنىّ لنحت الجواهر من غير تصويت ، فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان ، فسأل سليمان رسله عما أحدث صخر فى طريقه ، فقالوا : يا نبى الله إنه كان يضحك فى بعض الأحايين من الناس ، فقال له سليمان ... الخ» وقد ورد فى الحكاية تقديم وتأخير مع اختلاف فى بعض الألفاظ . (٢) الدهرية (بضم الدال) : هى التى أتى عليها الدهر وطال عمرها . (٣) المطمورة : الحفيرة تحت الأرض . (٤) الهزل : الضعف .

مرّة داءٌ، فأكلت البصل فصادفتْ منه بُرءًا، فظننّت أنه حَسَم داءَها وشفاها، فهى تَصِفُه للناس من كل داء، وقد كانت فى ظهرها ريحٌ حُبِستْ منذ زمانٍ[1] فأكلتِ الثُّوم أحدًا وعشرين يومًا فشُفيتُ منه؛ فعَجِبتُ لها كيف تدَعُ أن تَصِفه. ومررت برجلٍ على شاطئ نهرٍ يستقى منه فى قُلّة له ومعه بغلة، فلما سقَى البغلةَ ملأ القلّة وربَط البغلةَ بِأُذن القُلّة وذهب لبعض حاجته، فنفرتِ البغلةُ وكسرت القلة؛ فجعل يلعن الشيطان، وبرّأ عقلَه ونسِى فعلَه. ومررتُ بقومٍ يذكرون الله فاجتهدوا ونَصِبوا وابتهلوا، فلما أظلّت الرحمةُ ملّ رجل منهم فقام، وجاء آخر لم يَنصَبْ معهم فجلس مجلسه، فنزلت الرحمةُ فدخل فيها معهم وحُرِمَها الأوّلُ؛ فعَجِبتُ من سعادة هذا وشقاوة هذا.

وتقول الأطبّاء: إنّ الثُّوم إذا شُوِيَ بالنار ووُضِع على الضِّرس المأكول ودُلِكتْ به الأسنان التى يَعرِض[2] فيها الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيها بإذن الله من الوجع.

قال: وهو ينفع من العَطَش الحادث من البلغم، ويقوم مقام التِّرياق فى لَسْع الهوامّ، والأمراضِ الباردة.

وتقول الرومُ فى الثُّوم: إنه دواء لمن أصابه وجَعُ السَّقْيِ[3] فى بطنه. وإن أكلَه مَنْ ظهر [فيه][4] حَرّةٌ من شَرى[5] أو غيره أبرأه. وإن دُقّ الثُّوم يابسًا فأُغلِي بسَمْنٍ ولبن ثم جعَلَه مَن يشتكى ضِرسَه فى فيه سُخْنًا فأمسكه ساعة، ذهب وجَعُ ضرسه؛ وهو نافع لمن اجتوى[6].

(١) وردت هذه الجملة فى الأصل محرّفة هكذا: «جتهازمان».

(٢) يعرض: يظهر. (٣) السقى: ماء أصفر يقع فى البطن وهو المعروف فى الطب بالاستسقاء أو الصفار. وفى الأصل: «السقيا». (٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) الشرى: بثور بعضها صغار وبعضها كبار حكاكة مكربة مائلة الى الحمرة مائية. (٦) اجتوى بالجيم: من الجوى وهو داء السل أو داء يأخذ فى الصدر أو هو كل داء يأخذ فى الباطن لا يستمرأ معه الطعام.

الكــراث

قالت الأطباء : الكُرّاث النَّبَطِىّ اذا أُدمن كانت فيه أحلامٌ رديئة ، وولّد بُخارًا في الرأس رديئًا . وإن صُبّ فى مائه خلٌّ ودُقاق كُنْدُر(١) وآستُعِطَ به سَكَّن الصُّداع . وإن سُلِق أو طُحِن وأُكِل أو ضُمِّد به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نفَع منها .

وماءُ الكرّاث إذا خُلِط بمثله من ألْبانِ النساء ودُهْنِ الوردِ والكُنْدُرِ وكُحِّل به عينُ من أصابتْه غَشَاوةٌ فى عينه فلم يُبْصر ليلًا نفعه . وأكلُ البصل نافعٌ لذلك أيضا .

الكُرُنْبُ والقُنَّبِيط

قالوا : الكُرُنْبُ مُعِينٌ على الإكثار من النبيذ إذا أُكِل ، وهو مُدِرٌّ للبول . وقالت الروم : بين الكُرْنبِ والكَرْم عداوةٌ ، ولا يكاد يَصْلُح الكَرْمُ والكُرُنْبُ اذا تجاورا . قالت الأطباء : إن آحتملت [المرأةُ](٢) بِزْرَ الكُرُنْب بعد الحَيْض أسهل المَنِىّ وأفسده ولم يكن معه حمل ، وشربُ مائه مع الشِّيح الأرْمَنِىّ غير المطبوخ أو ماءِ التُّرْمُس المُنْقَع مُخْرِجٌ لحَبِّ القَرْعِ(٣) من البطن . والقُسْطُ(٤) أيضا خاصّةً بِزْرُه يُفْسِد المَنِىّ إذا آحتملتْهُ المرأة بعد طُهْرِها ، ومقدارُ ما يُحْتَمَل وزنُ درهمين .

وتقول الروم : الكُرُنب إن طُبِخ وخُلِط ماؤه بالحَنْدَقُوق(٥) وسُقِى المرأةَ التى تأخّر حَيْضُها حاضت لحينها .

---

(١) الكندر : ضرب من العلك وهو اللبان الذكر .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) حب القرع : اسم دود يكون فى البطن . (ابن البيطار ج ١ ص ١٥١) . (٤) القسط : عود هندىّ يتداوى به . (٥) الحندقوق : بقلة وحشيشة كالفث الرطب (شجر ينبت فى السهول والآكام وله حب كالحمص) وقيل هو الهبيد ، والهبيد : الحنظل ، نبطىّ معرّب و يقال لها بالعربية : الذرق .

قالوا : واذا خاط ماءُ الكُرُنب بالبَنْج(١) كان نافعا للسُّعال .

قال أبو محمد : شكوتُ الى حُنَيْنٍ الطبيب عِلّةً كنتُ أجِدُها فى حَلْقى لا أكاد أبتلِعُ معها رِيقى؛ فقال : هى بيّنة فى عينك . فتغرْغَرْ بعَقِيد العنب مع خميرٍ ثلاثة أيام فى كل يوم ثلاثَ مرات ؛ ففعلتُ ذلك يوما واحدًا فذهب .

قالوا : واذا دُقّ الكُرُنب وخُلِط به شئٌ من زاج(٢) الأساكفة وشئٌ من خلّ ، فأُوجِف(٣) ذلك بالخطْمِىّ(٤) ، ثم طُلِى به بَرَصٌ أو جَرَبٌ نفع باذن الله تعالى .

السَّلْجَمُ(٥) والفُجل

تقول الأطباء فى الفجل : إنه مهيّج للجماع زائدٌ فى المَنِىّ ، وبِزْرُه نافعٌ من السموم قالوا : والفُجل هاضِمٌ للطعام ، فإن أُكِلَ بِزْرُه بعسل كان دواء من السُّعال والفُوَاق ؛ واذا شُدِخَتْ(٦) قطعةُ فجل فطُرِحت على عَقْرب ماتتْ ، وماؤُه وبِزْرُه للسموم بمنزلة التِّرْياق . واذا طَلَى أحدٌ يدَه بمائه ثم قبض على حيّةٍ أو غيرها من الهوامّ لم يُضارّ ذلك

(١) البنج : هو الشيكران بالعربية ، وهو نبت له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة الطول مشققة الأطراف الى السواد ، عليها زغب وعلى القضبان ثمر شبيه بالجلنار مملوء ببزر شبيه ببزر الخشخاش (ابن البيطار ج ١ ص ١١٧) .

(٢) الزاج : الشب اليمانى ، وجاء فى مفردات ابن البيطار أن الزاج العراقى هو المعروف بزاج الأساكفة . (٣) أوجف : حرك . (٤) فى الأصل كالخطمى . والخطمى نبات ينفع الأمراض الصدرية . (٥) السلجم : يلاحظ هنا أنه لم يتكلم عنه فى هذا الباب من هذا الكتاب ، وربما كان ذلك عن نقص فى النسخ . ونحن ننقل هنا باختصار ما قيل عنه فى كتاب الجامع لابن البيطار إتماما للفائدة قال : السلجم ، وقد تعجم سينه ، هو اللفت . وبزر هذا النبات يهيج شهوة الجماع لأنه يولد رياحا نافخة ، وأصله نافخ عسر الانهضام ويزيد فى المنى ، وقلوب ورقه تؤكل مطبوخة فتدر البول ، وبزره يستعمل فى أخلاط بعض الأدوية المعجونة النافعة من لسع ذوات السموم ، واذا عمل السلجم بالماء والملح كان أقل لغذائه اذا أكل ، غير أنه يحرّك شهوة الطعام . (٦) كذا فى مفردات ابن البيطار . وفى الأصل «واذا شدخ والرطب فطرحت» وهو تحريف .

الموضعُ . قالوا : وإن دُقّ بِزْره مع الكُنْدُر وطُلِي به البَهَقُ الأسودُ فى الحمّام أذهبه . وإن شُرِب ماءُ ورَقِهِ نفَع من الأَرَقانِ[1] الحادِث من الطِّحال .

البَاذِنْجان

قالوا : والباذِنْجان مُكْلِف[2] للوجه يُورِث داءَ السَّرطانِ والأورامَ الصُّلْبَة . وحدّثنى أبى عن أبى الحارث جُمَّيْزٍ أنه سمعه يقول فى الباذِنْجان : لا آكُلُه ، لون العقرب وشَبهُ المِحْجَمة[3] . قيل له : فقد رأيناك تأكله على خِوَانِ فلانٍ ! قال : كان مَيْتةً وأنا مُضْـــطَرّ .

٥

الخِيَار والقِثّاء

قالوا : شَمّ الخِيَار نافع لمن أصابه الغَشْيُ[4] من الحرارة . وبِزْر القِثّاءِ اذا شربه من به حُمّى الأسى[5] نفعه . وإن أصابت رضيعا حُمّى فألزقت به خِيارتينِ تمسّان جلده إحداهما عن يمينه والأخرى عن شِماله ، أقلعت الحُمّى عنه .

١٠

السِّـــــلْق

قالوا : والسِّلق إن دُقّ مع أصله وعُصِر ماؤُه وغُسِل به الرأسُ ذهب بالأتربة وأطال الشعر .

١٥

(١) الأرقان : لغة فى اليرقان وهو ، كما فى اللسان والقاموس وشرحه ، داء يصيب الناس يصفرّ منه الجسد ، وفى الأصل « الأرقال » باللام وهو تحريف . (٢) مكلف : مغير للوجه بحمرة كدرة تعلوه تسمى الكلف وتعرف بالنمش . (٣) المحجمة : قارورة الحجام .

(٤) الغشى بالفتح ويضم : تعطّل أكثر القوى المحرّكة والحساسة لضعف القلب من الجوع أو الوجع .

(٥) كذا بالأصل . ولعله « الأُسر » وهو احتباس البول .

الهِلْيَوْن (١)

قالوا : والهِلْيَوْن مُدِرٌّ للبول، نافع من القُولَنْج .

القَــــرْع

قالوا : إذا شُوِى القرعُ بالنار ثم عُصِر فجُعِل من مائه فى أُذُن من آشتكى أُذُنَه نفعه . وإن دُهِنت منابت شعر اللِّحْية بدهن القَرْع المُرّ، وقِثّاءِ الحمار (٢) مُذاباً فيه شِيحٌ أَرْمَنِيّ أسرع فيها نباتُ الشّعر .

البقــــول

قالوا : والجِرْجِيرُ زائد فى البـاه والإنعاظ مُدِرّ للبول . وتذكر الروم أنّ من أكل الجرجير ثم ضُرِبَ بالسِّياط هَوّنَ عليه بعضَ ذلك الجَـلْد . قالوا : وهو ينفع من ذَفَر (٣) الإِبِطَين إذا أُكِلَ على الريق وطُلِيَ الإِبطان بمائه . وتزعم الروم أنّ ماءه ينفع من عَضّة (٤) آبن عِرْس .

وقال بعضُ الأطباء : إن ذُرَّ بِزْرُ الجِرْجِير مدقوقًا فى البيض وحُشِيَ كان ذلك زائدا فى الباه والإنعاظ زيادة بيّنة . قال أبو حاتم عن القَحْذَمىّ قال: أكله أعرابىّ فأنعظ شهرا، فقال الفرزدق يَفْخَر به :

(١) الهليون : نبت ورقه كورق الشبت ولا شوك له البتة وله بزر مدور أخضر ثم يسودّ و يحمرّ (مفردات ابن البيطار، ج ٤ ص ١٩٥) . (٢) قثاء الحمار: نوع برى من أنواع القثاء . وفى الأصل «قثاء الخيار» وهو تحريف . (٣) الذفر : رائحة الإبطين الكريهة . (٤) كذا فى نهاية الأرب للنويرى فى باب الخضراوات والبقول ومفردات ابن البيطار فى اسم الجرجير . وفى الأصل وردت هذه اللفظة هكذا «عضة ابن مقرص» وهو تحريف .

ومنا التميمىُّ الذى قام أيْرُه * ثلاثين يومًا ثم زَادَهُم عَشْرَا[1]

قالوا : والسَّذَاب[2] قاطع لشهوة الجمـاع . وقالت الروم : إن أُكِلَتِ آمرأةٌ حاملٌ أربعةَ مثاقيلَ[3] كلَّ يوم بمـاء سُخْنٍ أو نبيذٍ خمسةَ عشر يوما أسقطتْ ولَدَها .

وقال بعض الشعراء :

كم نعمةٍ للسَّـذَابِ * جَليـلةٍ فى الرِّقابِ
النـاسُ عنها غُفُولٌ * إلّا ذَوِى الألبـابِ
فالحمـد لله شكرًا * لولا مكانُ السَّذَابِ
لَغَيَّبَ[4] الأرضَ نسلُ الـ * ـمُسْتَغْنِيات القِحابِ

قالوا : والبقلةُ[5] الحمقاء اذا مُضغت أذهبتِ الطَّرَش ، واذا أُكلت أذهبتْ شهوةَ الجماع . والروم تقول : إن نظر ناظرٌ عنـد رؤية الهلال الى الهِنْدِباء[6] ثم حلف بإله القَمَرِ ألّا يأكلَ هِنْدِباءَ ولا لحمَ فرسٍ ، سَـلِمَ فى كلّ شهر يحلِف فيه من وجع الضـرس .

قالت الأطباء : الخَسُّ اذا أُكِلَ على الريق نافعٌ لتغيير المـاء ومن يتأذّى باحتلام . واذا شُرِب بِزْره بمـاءٍ باردٍ [قطع شهوة الجماع][7] .

(١) كذا بالأصل ولم نجد هـذا البيت فى ديوان الفرزدق ، ولعله أجرى الأيام مجرى العاقل أو لعلها «ثم قد زادها عشرا» أو «ثمّ أتبعها عشرا» أو نحو ذلك . (٢) تقدّم شرح هـذه الكلمة فى ص ٢٨٣ من هذا المجلد . (٣) تمـام الكلام يحتاج الى أن يكون بعـد كلمة «مثاقيل» من «السذاب» أو «من بزر السذاب» . (٤) فى الأصل : «تغيب الأرض» . (٥) يقال : بقلة الحمقاء بالاضافة على تأويل بقلة الحبة الحمقاء ، والبقلة الحمقاء بالنعت . قال ابن سيده : هى التى تسميها العامة الرجلة . (٦) الهندباء : صنفان برى وبستانى والأول أعرض ورقا من الثـانى ، والبستانى صنفان : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآخر أدق ورقا منه وفى طعمه مرارة (مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ١٩٨) . (٧) التكملة عن ابن البيطار فى كلامه على الخس .

قالوا : والخَرْدل إن أُكْثِرَ من أكله أورثَ ضعفا فى البصر، وهو مُكَثِّر للبن مُدِرٌّ للبول، وهو نافع من الصَّرْع . وإن آكْتُحِل بمائه بعد أن يُغْلَى عليه ويُصَفَّى جلا البصرَ الضعيفَ من الرطوبة . وتزعم الروم أن ماءَه يَصْلُح للأطفال من الحُمَّى اذا أصابتهم . وهو يُفسِد الذهن ويُورِثُ النِّسيانَ ويُضعِفُ البصرَ .

قالت الأطباء : النَّعْنَاع يُسَكِّن القىء، وينفع من الفُوَاق الحادث من البلغم اذا شُرِب مع النَّمَّام.(١)

وتقول الروم : الحَبَق(٢) الذى على شطوط الأنهار نافعٌ للرَّمَد اذا دُقّ ونُخِل واكْتُحِل به، وإن مضغه ماضغٌ ووضعه على عينه نفعه .

وأما الفُوذَنْجُ(٣) النَّهرِى — [فإنه] يُدِرُّ الطَّمْث(٤) . وإن أُخِذَ من الفُوذَنْج الجبلىّ أُوقِيَّةٌ وطُبِخ بنصف رِطل من ماءٍ حتى يبقى الثلثُ ويُشرَب، سهل السَّوْداء .

وقالت الأطباء : الحَنْدَقُوقُ(٥) يُورِثُ وَجَع الحَلْق، ويَذْهَب بضرره مَن يأكل بعده الكُزْبَرَة الرَّطْبَة والبَقْلَة الحَمْقاء والهِنْدِباء .

والطَّرْخُون(٦) يُؤْكل مع الكَرَفْس .

قالوا : والراسَن(٧) ينفع من قِطَار البول اذا كان من بَرْدٍ، ويُقَوِّى المثانةَ .

(١) النمام : نبت ورقه كالسذاب، له بزر كالريحان، عطرى قوىّ الرائحة، سمى بذلك لسطوع رائحته .
(٢) الحبق : نبات طيب الرائحة .
(٣) الفوذنج : نبت، معرّب عن پوذينه، ويقال فيه : فوذنج (باهمال الدال وضم الأوّل والرابع) . وأجناسه ثلاثة : برى ونهرى وجبلى ولكل منها أوصاف وخواص تجدها مفصلة فى مفردات ابن البيطار .
(٤) الطمث : دم الحيض .
(٥) تقدم شرح هذه الكلمة فى ص ٢٨٦ من هذا المجلد .
(٦) قال ابن البيطار : الطرخون : بقلة معروفة عند أهل الشام وهى قليلة الوجود بمصر . وقال أبو حنيفة : ورقه طوال دقاق .
(٧) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل .

قالوا : والكَشُوثُ(١) يَذهب بالأَرَقان .

قالوا : وعِنَبُ الثعلب قاطعٌ لدم الحيض إن شُرِب أو ٱحْتُمِل .

وقالوا : الكَرَفْسُ(٢) اذا طُبِخ وشُرب كان دواءً من وجع الكُلْيَتَيْن ومن الأُسْر(٣) .

باب الحبوب والبزور

تقول الأطبّاء فى حَبّ الفُلْفُل : اذا خُلِط بالسِّمْسِم وعُجِن بعسلِ الطَّبَرْزَد(٤) يَزيد فى الجماع .

والعرب تزعُم أنّ الحبّة الخضراءَ وشُرْبَ ألبان ٱلإِيَّلِ عليها تبعَثُ الشَّهوةَ .

قال جرير :

أجِعْثِنُ(٥) قد لاقَيْتِ عِمرانَ شارِباً(٦) * على الحبّة الخضراءِ ألبانَ إيَّلِ(٧)

والحِمّص زائد فى الجماع، مُكْثِرٌ للمَنِىّ، محسِّن لِلّون، زائدٌ فى لبن المُرْضِع، يُدِرُّ دَم الحيض، وإن خُلِط بالباقِلّاء أسمَنَ .

---

(١) الكشوث (بالفتح وهى أفصح لغاته) قال ابن البيطار : هو شىء يتعلق بالنبات مثل الخيوط يشرب من ماء النبات الذى يتعلق به ولا أصل له فى الأرض ولا ورق، لكن فى أطراف فروعه ثمر لطاف وهو يسمو فى الشجر وتتشبك فروعه، ويكثر فى الكروم الرطاب، وكثيرا ما يفسد النبات ... الخ .

(٢) الكرفس : (بفتح أوله وثانيه وسكون ثالثه) : نبت معروف وهو من أحرار البقول عظيم المنافع .

(٣) الأُسْر : احتباس البول . (٤) الطبرزد : السكر الأبيض . (٥) جعثن : اسم امرأة وهى أخت الفرزدق . (٦) كذا فى لسان العرب مادة « أول » وفى الأصل : «ساريا» بالسين والياء وهو تحريف . (٧) الإيل (بكسر الهمزة وفتح الياء المشدّدة) : جمع أيل (بفتح الألف وكسر الياء المشدّدة) (وهو الذكر من الأوعال) . واختير الجمع هاهنا على الإفراد مع أن بكليهما يتزن الشعر، «لجمع ألبان»، إذ لو كان واحدا لقال ابن أيل (انظر اللسان مادة أول) .

الأصمعيّ قال : قلت لآبن أبي عُطارد : بلغني أنّ أباكَ كان ذا منزلةٍ من آبن سِيرين، فما حَفِظتَ عنه؟ قال قال أبي : قال لي آبن سيرين : يا أبا عُطارِد، إن سَوِيق العَدَس بارد وهو يَدفعُ الدَّمَ .

قالت الأطبّاء : إنّ الخَرْدَلَ نافعٌ من حُمّى الرِّبْع (١) والحُمِّيَات المتقادِمة ووجع الأرحام ويُجَفِّف (٢) ... من البلغم، ويُنْزِل الرطوبةَ من الرأس، وإن أُكِل مع السِّلْق المسلوق نفع من الصَّرْع، وإن طُلِيَ البَرَصُ به زال .

وقالت الأطباء : الحُرْفُ (٣) يُخْرِج حَبّ القَرْع من البطن، وينفَع من عِرْق النَّسَا ووَجع الوَرِك . وإن سُخِّن بالماء الحارّ وشُرِب منه وزنُ أربعةِ دراهمَ أو خمسة أسهلَ الطبيعةَ ونفَع من القُولَنْج .

وقال رجل من قُدماء الأطبّاء في البَاقِلاء (٤) : إنه اذا أُدْمِن أَكلُّ البصَر، وأحال الأحلامَ أضغاثًا لا يُنْتَفَعُ بها ولا يجد عابرُ الرؤيا الى تأويلها سبيلا .

ودهن الشَّاهْدَانِج (٥) نافعٌ لوجع الأُذن العارض من البَرْد والعِلَل المتقادِمة منها .

---

(١) حمى الربع هي التي تأتي في اليوم الرابع، وذلك أن يحمّ يوما ويترك يومين لا يحم ويحم في اليوم الرابع .

(٢) لم نتبين مكان هذه النقط في الأصل فقد وقعت في أول الصفحة ولم تظهر بالتصوير . وفي مفردات ابن البيطار في الكلام على خواص الخردل أنه « يجفف اللسان الثقيل من البلغم » .

(٣) الحرف (بالضم) : حب الرشاد .

(٤) أنظر شرحه في ص ٢٥٦ من هذا الجزء .

(٥) الشاهدانج (ويقال فيه شاهدانك وشاهدانق وشهدانج بغير ألف بعد الشين) : القنب (بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة) وهو نبات ذو قضبان طويلة فارغة منتن الرائحة وله حب مستدير يؤكل وتتخذ منه حبال قوية .

باب الفاكهة

عن مَعْمَر بن خُثَم عن جدّته قالت : سمعت عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : اذا أكلتُم الرُّمَّانَ فكلوه بشَحْمه فإنه دِباغ للمَعِدة ، وذلك يومَ الجمعة على المِنْبر .

٥ الأصمعيّ : قيل لأعرابيّ : لِمَ تُبْغِض الرمّانَ؟ قال : لأنه مَبْخَرة[1] مَجْفَرة مَجْعَرة .

قال : وقال يحيى بن خالد : شيئانِ يُورِثانِ القملَ : التّينُ اليابس اذا أُكِلَ ، وبخار اللُّبان اذا تُبُخِّر به .

وقالت الأطبّاءُ : ورقُ الخوخ وأقماعه إن دُقّ وعُصِر وشُرِب أسهل حبَّ

١٠ القَرْع والدِّيدانَ والحيّاتِ المتولِّدَة فى البطن ، وإن صُبّ ماءُ ورقه فى الأُذن أمات الدّيدانَ فيها ، وإن تُدُلِّك بورقه بعد النُّورة[2] قطع ريحَها .

وحُمّاضُ الأُتْرُجّ[3] إن لُطِخ به الكَلَفُ والقُوبُ أذهبه . وحَبُّ الأُتْرجّ نافعٌ من السّموم .

---

(١) مبخرة : مظنة للبخر وهو تغير ريح الفم . ومجفرة أى أنه يذهب شهوة الجماع . ومجعرة : يريد

١٥ يبس الطبيعة أى انه مظنة لذلك ، ومنه حديث عمر رضى الله عنه : «وإياكم ونومة الغداة فانها مبخرة مجفرة مجعرة» . (انظر اللسان والقاموس موادّ بخر وجفر وجعر) . (٢) النورة (بضم النون) : حجر الكلس ، ثم غلبت على أخلاط تضاف الى الكلس من زرنيخ وغيره ، وتستعمل لإزالة الشعر . قيل عربية وقيل معرّبة ، قال الشاعر :

فابعث عليهم سنة قاشوره * تحتلق المال كحلق النوره

٢٠ وسنة قاشورة : مجدبة تقشر كل شىء (انظر المصباح المنير مادة نور) . (٣) حماض الأترج : ما فى جوفه ، قال ابن البيطار فى مفرداته نقلا عن أبى حنيفة الدينورى : الأترج كثير بأرض العرب وهو مما يغرس غرسا ولا يكون بريا ، وأخبرنى بعض الأعراب أن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل وحملها مرّة واحدة فى السنة ، وورقها مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة ، فقاحه شبيه بنور النرجس إلا أنه ألطف منه .

وورق التُّفّاح الغضّ إن دُقّ بالرّفق أيّامًا خمسةً أو ستّةً ثم ضُمِد به الوَشْمُ قلعه من غير أن يَقْرَحَ موضعه .

عن الزُّهرىّ قال : حدّثنى رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من بات وفى بطنه جَزَرةٌ أو جَزَرتانِ أو ثلاثٌ أَمِنَ القُولَنْج والدُّبَيْلة(١) " .

والفُسْتُق : إن دُقّ وشُرِب بالمطبوخ الشديد نفع من لَسْع الهَوَامّ . ٥

واللُّفّاح(٢) : سمّ ، وربما قتل آكله . وتُدفع مضرّته بالقىء بالشَّراب والعسل والإسهال وشمّ(٣) الفُلْفُل والخردلِ والجندبادستر(٤) والسَّذاب والتَّعَطُّس .

قال وحدّثنى شيخٌ من الدَّهاقين عالمٌ بأيام العجم : أنْ بُزُرْجِمْهر قال لأهل الحبس : سلُوا الملك أن يرزُقكم مكان الأُدْمِ الأُتْرُجَّ ، ليكون القشر لطيبكم ، ولحمته لفاكهتكم ، والحُمّاض لصباغكم ، والحَبّ لدُهنكم . فكان ذلك أوّل ما عُرِفت به حكمته . ١٠

---

(١) الدبيلة (وزان جهينة) : خراج ودمّل كبير ، تظهر فى الجوف فتقتل صاحبها غالبا .

(٢) اللفاح (وزان رمان) : ثمر اليبروح ، وهو أصفر طيب الرائحة فيه حب شبيه بحب الكمثرى . واليبروح صنفان : أحدهما يعرف بالأنثى ولونه الى السواد و يقال له ريوفس أى الخس لأن فى ورقه مشاكلة لورق الخس إلا أنه أدق من ورقه وأصغر ، وهو زهم ثقيل الرائحة ينبسط على وجه الأرض وليس له ساق . والآخر ١٥ يعرف بالذكر له ورق بيض ملس كبار عراض شبيهة بورق السلق ولونه كالزعفران ، طيب الرائحة مع ثقل ، وتأكله الرعاة فيعرض لها يسير سبات وليس له ساق أيضا ، واللفاح أيضا : نوع من البطيخ صغير جسمه مخطط ورائحته طيبة الشم . (٣) فى ابن البيطار فى الكلام على اليبروح أن ضرر اللفاح يعالج بأكل الفلفل وشرب الجندبادستر والسذاب والخردل . (٤) كذا فى مفردات ابن البيطار . وفى الأصل : «الحندجدستر» . ٢٠

وخيرُ البيْضِ بَيْضُ الشَّوابِّ من الدَّجاج، ولا خيرَ فى بَيْضِ الهَرِمةِ . وأخفُّ البَيْضِ الرقيقُ، وأثقلُه البيضُ الصلب .

ولا يُعْرَضُ من الرأسِ للدِّماغِ ولا لِلِّسانِ، ولا الغَلْصَمةِ[1] ولا الخَراطِيمِ .

ولَحْمُ العَنْقِ خفيفٌ سريعُ الانهضامِ . وفى الحديثِ المرفوع : "العُنُقُ هاديةُ[2] الشاةِ وهى أبعدُها من الأذى" .

والفُقَّـاعُ[3] : يُشرَبُ قبل الطَّعامِ ولا يُشرب بعده .

واللَّـــبَنُ : لا يُؤكَلُ ولا يشرب إلا بعد وضْعِ الشاة بشهرٍ ونحوه .

والبَـاقلَّى[3] : يُؤكَل بعده الفُوذَنْجُ[3] فإنه يَذْهَب بنفختِه .

اللُّوبياءُ[4] : يؤكل بعــده الخَرْدَلُ الرَّطْب ، ويُشرب بعــده ماء الرُّمَّانِ والسَّكَنْجَبِينِ[5] المعمول بالسكرِ .

الهَرِيسةُ[6] : تُؤكَل بالفُلْفُل الكثيرِ والمُرِّى[7] ولا يُجعل فيها السَّمْنُ .

والمَضِيرةُ[8] : تُطْبَخ بالفُوذَنْج والسَّذابِ والكَرَفْس .

(١) الغلصمة : رأس الحلقوم بشواربه (عروق فى الحلق) وحرقدته (عقدة الحلق) . (٢) الهادية من كل شىء : أوّله . (٣) تقدّم تفسيره فى صفحة ٢٨ من هذا المجلد . (٤) اللوبياء (بالمدّ والقصر، ويقال أيضا اللوبا، وهو مذكر) نبات معروف . (٥) السكنجبين : شراب من خل وعسل، ويراد به كل حلو وحامض، وهو معرب . (٦) الهريسة : طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم . (٧) المرىّ : الذى يؤتدم به، والعامة تخففه نسبة الى المرارة، ويسمى الكامخ، وهو عند الأطباء من الأدوية القـديمة، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير . وقد ذكر خواصـه ابن البيطار فى مفرداته وداود فى تذكرته، فراجعهما . (٨) المضيرة : اللحم المطبوخ باللبن الماضر أى الحامض . كان أبو هريرة تعجبه المضيرة فيأكلها مع معاوية، فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه؛ فاذا قيل له فى ذلك قال : مضيرة معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل؛ فقيل له شيخ المضيرة . (راجع مطالع البدور) .

الزَّيْتُ الرِّكابِيّ : اذا خُلِط بالخَلّ أو أُغْلِيَ على النار ثم رُفِعت رِغْوتُه عاد كالمغسولِ . وفى الحديث : أن عمر رضى الله عنه قال : عليكم بالزَّيْت، فإن خِفتم ضَرَره فا مْخنوه بالماء فإنه يصير كالسَّمْن .

عن عُقْبَة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "عليكم(1) بالشّجرة التي نادَى اللهُ منها موسى عليه السلام زيتِ الزّيتون آدَّهِنوا به فإنه شِفاءٌ من البَاسُــورِ" .

الخَرْدَلُ : يُعْجَن بالخَلّ ويُغسل بالماءِ ورَمادِ البَلُّوط أو رمادِ الكَرْمِ مِرارًا بعد أن يُنْعَمَ دَقُّه ونَخْلُه ، ثم يُغسل بالماءِ القَرَاح ويُرَشّ بالماء حتى تخرُجَ رغوته ويكثر خلُّه ، ويُخْلَط معه اللَّوزُ الحُلْو أو ماءُ الرُّمّانِ الحامِض وماءُ الزَّبيب .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التى نقل عنها الأصل الفتوغرافى] .

تم كتاب الطعام وهو الكتاب التاسع من عيون الأخبارِ لابن قتيبة ، ويتلوه فى الكتاب العاشِر كتابُ النساءِ . والحمد لله ربّ العالمين، وصلاتُه على خيرِ خَلْقه محمدٍ وآله أجمعينَ .

وكتبه الفقيرُ الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن عليّ الجزريّ الواعظ ، فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

نجز كتاب الطعام ويتلوه فى الجزء العاشر كتاب النساء .

(1) ورد هذا الحديث فى الكشاف للزمخشرى (ج ٢ ص ٨٣ طبع مصر) والجامع الصغير هكذا : «عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور» .

جاء بعـــد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التى نقـل عنها الأصل الفتوغرافى ما يأتى :

قال الأصمعىّ : دخلتُ على هارونَ الرشيد و بين يديه بَدْرةٌ، فقال : ياأصمعىّ ، إن حدّثتَنِى بحديثٍ فى العَجْزِ فأضحكتنى وهبتُك هذه البدرة ؛ فقال : نعم ياأمير المؤمنين ؛ بينا أنا فى صَحَارَى الأعرابِ فى يومٍ شديدِ البردِ والرّيح واذا بأعرابىٍّ قاعدٍ على أجَمَةٍ وهو عُرْيان ، قد آحتملت الرِّيحُ كساءَه ، فالقَتْه على الأجمة ؛ فقلت له : يا أعرابىّ ؛ ما أجْلَسَــك هاهنا على هــذه الحـالة ؟ فقال : جاريةٌ وعدتُها يقال لهـا سَلْمى ، أنا منتظر لهـا ؛ فقلت : وما يَمْنَعُك من أخذِ كسائِك ؟ فقال : العَجْز يوقِفُنى(١) عن أخْذِه ، فقلت له : فهل قلت فى سَلْمى شيئا ؟ فقال : نعم ؛ فقلت : أسمِعنى لله أبُوك ! فقال : لا أُسْمِعك حتى تأخذ كسائى وتُلقيه علىّ ؛ قال : فأخذتُه فألقيتُه عليه ، فأنشأ يقول :

لعلّ الله أن يأتى بسلمى * فيَبْطَحَها ويُلْقِينى عليهـا
ويأتى بعد ذاك سَحَابٌ مُزْنٍ(٢) * تُطَهِّرنا ولا نَسْــعَى إليها

فضحك الرشيدُ حتى آستلْقى على ظهره ، وقال : أعطوهُ البَدْرة ، فأخذها الأصمعىّ وانصرف .

---

(١) كذا بالأصل ، وأوقفه يوقفه لغة رديئة ، والفصحى : «وقفته» بغير الهمزة .

(٢) السحاب : الغيم ، وهو اسم جنس جمعىّ ولذلك يوصف بالمفرد مراعاة للفظه كقوله تعالى : «والسحاب المسخرِ بين السماء والأرض» وبالجمع مراعاة لمعناه كقوله تعالى : «وينشئُ السحابَ الثقال» ويعامل الفعل معه معاملته مع أمثاله من أشباه الجموع فتقول : أفرغ السحاب ماءه ؛ وأفرغت السحاب ماءها . ولذلك قال : تطهرنا على الوصف بالجمع .

ويُروى أن الحسن بن زَيْد لما وَلِيَ المدينةَ قال لابن هَرْمة : إنى لستُ كمن[1] باعك دينَه رجاءَ مدحِك أو خوفَ ذمّك، فقد رزقنى الله بولادة نبيّه عليه السلام الممادح وجنّبنى المقابح، وإنّ من حقه علىّ ألّا أُغضى على تقصيرٍ فى حق ربّه . وأنا أُقسم لئن أُتيتُ بك سكرانَ لأضربنّك حدًّا للخمر وحدًّا للسكر، ولأزيدنّ لموضع حُرمتك بى . فليكنْ تركُك لها لله تُعَنْ عليه ، ولا تَدَعْها للناس فتُوكَل اليهم؛ فنهض ابن هَرْمة وهو يقول :

نَهانى ابنُ الرسولِ عن المُدَام * وأدّبَنى بآدابِ الكِرامِ
وقال لِيَ اصطبِر عنها ودَعْها * لخوفِ اللهِ لا خوفِ الأنامِ
وكيف تَصَبُّرى عنها وحبّى * لها حبٌّ تمكّن فى عظامى
أرى طِيبَ الحلالِ علىّ خُبْثا * وطِيبَ النفسِ فى خُبْثِ الحَرامِ

ذكر هذا الخبر أبو العباس المبرّد فى كتاب الكامل .

---

(١) كذا فى الكامل للبرد (طبع ليبزج ص ١٣٨) وفى الأصل «ممن»